العرب (الثقافي)

سلام إبراهيم: الثقافة في العراق محتقرة ورجال الدين يقودون المجتمع إلى الخراب

زكي الصدير: الحداثة السعودية وصولا إلى «اللامنتمي»

سعد القرش: عبد الحليم حافظ لم يكن رومانسياً

أمير العمري: أصغر فرهادي والإفلات من الرقابة الإيرانية

مارغريت أووتود: المرأة في لوحة الإعلان تطارد الرجال

محمد حياوي: الجنس والأدب

ناهد خزام: صوت الصحراء في رمضان القاهرة

ص11 إلى 16 »

وجوه

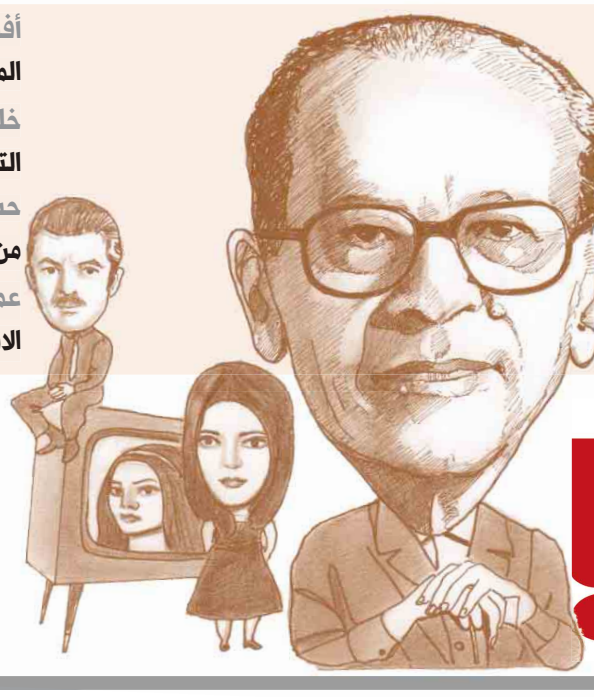

أفراح القبة — ص 9 »
المسلسل الذي يعيد للدراما المصرية رونقها

خليفة بن سلمان آل خليفة — ص 7 »
التنمية والأمن ردا على التهديدات

حسن الحسن — ص 8 »
من داخل داعش يبحث في «البيئة الحاضنة»

عمر الأنسي — ص 10 »
الانطباعي الذي انتقل من الصحراء إلى بحر لبنان

العرب

alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2016/06/26 – الموافق لـ 21 رمضان 1437

السنة 39 العدد 10318

Sunday 26/06/2016

39th Year, Issue 10318

أردوغان وسيطا بين إسرائيل وحماس

● شعارات المزايدة تنتهي بالسلطان إلى التودد لاستعادة ثقة الخصوم

من الشعارات.. إلى التطبيع

❑ **إسطنبول** – تخلّى الرئيس التركي رجب طيب أردوغان تماما عن تصريحات سابقة بدا فيها مهدّدا لإسرائيل ومتضامنا مع قطاع غزة الذي ما يزال سكانه ينتظرون الوعود التركية الكثيرة والتي لم يتحقق منها شيء بعد.

ولا يبحث الرئيس التركي عن تطبيع علاقات بلاده بإسرائيل فقط، بل يرتّب لصفقة بينها وبين حماس كانت محور لقائه الأخير برئيس المكتب السياسي للحركة خالد مشعل.

والتقى أردوغان مشعل في وقت تتحدث فيه الصحف التركية عن اجتماع وشيك لتطبيع العلاقات التركية الإسرائيلية.

ولم يعد التغيّر في مواقف الرئيس التركي يثير استغراب المراقبين، فالرّجل عرف بمواقف متناقضة ومتضاربة، فضلا عن افتعال معارك إعلامية ودبلوماسية مع بلدان ذات وزن، ثم البحث عن وسطاء لتطويق الأزمات التي بدأ بعضها يأخذ مجرى تصعيديا مثلما جرى مع روسيا.

ويبدو أن المقابل، الذي سيدفعه أردوغان لضمان عودة العلاقات مع إسرائيل، هو جرّ حركة حماس إلى تنفيذ خطة تهدئة طويلة المدى مع إسرائيل مقابل امتيازات اقتصادية تفكّ عنها الحصار وتقوّي وضعها في مواجهة السلطة الوطنية الفلسطينية بقيادة محمود عباس الذي يعيش حالة عدم تواصل مع رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو.

وكشفت صحيفة يديعوت أحرونوت النقاب عن أن الرئيس التركي رجب طيب أردوغان التقى مع مشعل في إسطنبول لمناقشة اتفاق المصالحة مع إسرائيل.

وأوضحت أن "أردوغان ومشعل ناقشا جهود حلّ الخلافات بين الفلسطينيين علاوة على المساعدات التي ستقدمها تركيا لحماس مقابل الالتزام بالاتفاق مع إسرائيل".

وذكر تقرير إخباري أن رئيس جهاز الاستخبارات الخارجية الإسرائيلي (الموساد) يوسي كوهين التقى رئيس جهاز الاستخبارات التركي هاكان فيدان وبحث معه نشاطات حماس في تركيا.

وتضع إسرائيل المطالبة بتجميد أنشطة حماس وتسليم القيادات الهاربة في تركيا، والتي تتهمها بتنفيذ عمليات إرهابية، عنصرا رئيسيا في الاتفاق المفترض.

وستجعل المطالب الإسرائيلية أنقرة في إحراج كبير ليس فقط مع قيادات حماس بل مع قيادات التنظيمات الإخوانية المستقرين بإسطنبول والذين سيرون في ذلك تهديدا لبقائهم وأن أردوغان يمكن أن يأمر بتسليمهم لبلدانهم الأصلية في أيّ وقت.

ومن السهل على أردوغان إقناع حماس بالحصول على مزايا اقتصادية مقابل تهدئة طويلة سعت إليها عبر قنوات أخرى ولم توفّق إلى ذلك، خاصة أنها تأتي في وقت يمر به خصمها عباس بوضع صعب.

وكانت تقارير تحدثت عن خطة لوقف إطلاق النار طويل الأجل بين حماس وإسرائيل تقف وراءها قطر وتركيا، وتقوم على السماح بميناء عائم قبالة غزة لاستقبال المساعدات الإنسانية، والمواد الطبية، ومواد البناء. ما سيمكنها من تجنب المرور عبر معبر رفح الذي تشدد فيه السلطات المصرية إجراءاتها ضد المواد الداخلة للقطاع.

ويتم تفتيش مختلف الشحنات في ميناء بقبرص قبل وصولها إلى ميناء غزة ثم إلى داخل القطاع.

وقال مراقبون إن سعي الرئيس التركي إلى استثمار ورقة حماس في تسهيل عملية التطبيع مع إسرائيل يعطي دليلا آخر على أن الرجل لا يدافع عن قضية وإنما يبحث عن تلميع صورته والظهور بمظهر "السلطان القوي" ليس أكثر.

تصعيد على عدة جبهات يمنية على وقع تعثر مفاوضات الكويت

صالح البيضاني

❑ **صنعاء** – شهدت معظم جبهات القتال في اليمن اشتباكات هي الأعنف منذ انطلاق مشاورات السلام بالكويت.

يأتي هذا فيما جدد الرئيس السابق علي عبدالله صالح المطالبة بحكومة انتقالية تتولى استعادة المدن والأسلحة والتحضير لانتخابات قادمة.

وقالت مصادر سياسية مطلعة لـ"العرب" إن التصعيد الذي شهدته معظم مناطق اليمن مرتبط بمؤشرات فشل جهود التسوية السياسية، في ظل تعنت الحوثيين ورفضهم تقديم أيّ تنازل في مشاورات الكويت.

وكان زعيم حزب الله اللبناني حسن نصرالله قد حذر الحوثيين في كلمة الجمعة مما أسماه تسليم رقابهم للسعودية مطالبا بعدم تسليم الأسلحة أو الانسحاب من المدن.

واعتبرت تصريحات نصرالله رسالة للجناح الراديكالي في الجماعة الحوثية المتشبّث بخيار الحرب والرافض للانخراط في أيّ حوارات سياسية، وتعزيزا لموقف التيار الواسع والمؤثر داخل الجماعة الحوثية الذي لازال يراهن على الدعم الإيراني.

وتماهت تصريحات أمين عام حزب الله مع خطاب مشابه ألقاه زعيم الجماعة الحوثية عبدالملك الحوثي دعا فيه أنصاره للنفير في خطاب وصف بأنه إعلان حرب.

وأكدت مصادر خاصة لـ"العرب" قيام الحوثيين بخرق الهدنة في معظم الجبهات، في محاولة لتغيير موازين القوى على الأرض، وقد تمكن الحوثيون من تحقيق تقدم طفيف وفقا للمصادر في الجبال الواقعة بين محافظتي تعز ولحج جنوبا وسيطروا على جبال كهبوب القريبة من باب المندب، وهو ما استدعى تدخل قوات التحالف التي قصفت مواقع الحوثيين في كل من القبيطة والوازعية والمضاربة.

وفي محافظة البيضاء تمكّنت المقاومة الشعبية من السيطرة على مبنى مديرية القريشية في منطقة رداع إثر هجوم مباغت على الميليشيات الحوثية المرابطة في المديرية. كما تمكن الجيش الوطني من تحقيق انتصارات مهمة في الجبهات الأكثر حساسية.

وقال الناطق باسم مقاومة الجوف عبدالله الأشرف، في اتصال مع "العرب"، إن الميليشيات الحوثية قامت بالهجوم على مواقع الجيش والمقاومة في حام شمال المتون في محاولات مستميتة للتقدم الذي باء بالفشل.

وأضاف الأشرف أن الجيش الوطني والمقاومة تمكنا من تحرير أهم المواقع من جبل حام الأسفل وجرف الذلان وسلسلة صفر الحنية، وأنهم يقتربون الآن من أكبر ترسانة عسكريه للحوثي وهو معسكر حام الأعلى الذي أصبح تحت نيران المقاومة بمسافة لا تزيد عن كيلومتر ونصف.

وأحرز الجيش الوطني والمقاومة الشعبية انتصارات وصفت بالحاسمة في جبهة نهم بمحافظة صنعاء والتي تعد أبرز الجبهات نظرا لقربها من العاصمة.

وأكد الناطق الرسمي باسم مقاومة صنعاء عبدالله الشندقي، في تصريح لـ"العرب"، سقوط أكثر من عشرين قتيلا وعشرات الجرحى في صفوف ميليشيات الحوثي وحليفهم صالح التي حاولت الهجوم على موقع جبل رشح التابع للجيش الوطني في جبل يام بنهم.

ولفت الناطق باسم مقاومة صنعاء، في تصريحه لـ"العرب"، إلى أن المقاومة والجيش الوطني لديهما القوة الكافية لحسم معركة صنعاء عسكريا لكن ذلك يتطلب صدور قرار سياسي.

وعن التطورات في منطقة بيحان بمحافظة شبوة، قال رئيس مجلس أبناء بيحان علي المصعبي، لـ"العرب"، إن الجيش الوطني والمقاومة تمكنا من استعادة عده مواقع مهمة كجبل بلبوم وحيد بن عقيل وجزء هام من الصفراء والمناطق المحيطة بالسليم بالإضافة إلى منطقه الساق التي تقع في محيط مديريه العليا.

وأعلن المؤتمر الشعبي العام الذي يقوده الرئيس السابق عما أسماه خارطة طريق لإحلال السلام في اليمن تدعو إلى إيقاف العمليات العسكرية، والاتفاق على سلطة تنفيذية توافقية تمارس مهامها وفقا للدستور النافذ لفترة انتقالية لا تمدد.

ودعا الحزب الحاكم سابقا إلى تشكيل لجنة عليا للانتخابات وإجراء انتخابات برعاية دولية، ولجنة عسكرية تضمّ وزيري الدفاع والداخلية وخبراء دوليين من أميركا وروسيا وعُمان تتولى اللجنة الإشراف على الانسحاب من المدن واستلام الأسلحة الثقيلة والمتوسطة.

وقد أعلن صالح عن هذه الخطة السبت في مؤتمر صحافي وقال إن وفده في الكويت قدمها رسميا.

● غضب يمني من عجز المبعوث الأممي عن فرض اتفاق وقف إطلاق النار ص 3

البحرين تكشف العراق

خيرالله خيرالله

ص 6 »

الاتحاد الأوروبي للبريطانيين: أخرجوا بسرعة

● عريضة مليونية تطالب بإعادة التصويت، وأسكتلندا تحضر لإجراء استفتاء ثان للاستقلال

❑ **لندن** – تعيش بريطانيا، منذ الإعلان عن نتيجة الاستفتاء انقساما عميقا وضعها في موقف قلق زاد من حدّته مطالبة شركائها الأوروبيين "السابقين" بتحديد جدول زمني سريع لانفصالها عن الاتحاد الأوروبي بعد أن أحدث تأييد الناخبين البريطانيين لانسحاب بلادهم صدمة في أوروبا وسط مخاوف من أن تنتشر عدوى الانفصال في الجسد الأوروبي.

يأتي هذا فيما يسيطر عامل المفاجأة والارتباك على السياسيين البريطانيين دعاة الخروج، ويبدو أنهم عاجزون عن الإتيان بخطة تستجيب للتحديات التي ظهرت أمامهم خلال الساعات الأولى للفوز "التاريخي".

وفي أول ردّة فعل رسمية على نتيجة التصويت لصالح الخروج أعلنت نيكولا ستورجيون، رئيس حكومة أسكتلندا، السبت بعد اجتماع لمجلس الوزراء، عن الاستعداد لإجراء استفتاء ثان للاستقلال عن بريطانيا وفتح محادثات مع الاتحاد الأوروبي.

وأوضحت ستورجيون أنه قد تم تجهيز كل الخطوات القانونية اللازمة لإجراء استفتاء ثان للاستقلال بعد ذاك الذي أجري في 2014.

وقال أستاذ العلوم السياسية مالكولم هارفي "إذا انضمت أسكتلندا مستقلة إلى الاتحاد الأوروبي الذي خرجت منه إنكلترا، فستقام حدود بين الأمتين مع كل التبعات التي يمكن أن تنجم عن ذلك".

ووقع أكثر من 40 ألف شخص عريضة تطالب ببقاء لندن في الاتحاد الأوروبي مع إعلان رئيس بلدية لندن صادق خان أن المدينة يجب أن تكون لها كلمة في مفاوضات الانفصال.

وفي المقابل، تجاوزت عريضة ثانية على الإنترنت موجهة إلى البرلمان البريطاني للمطالبة بإجراء استفتاء ثان حول الاتحاد الاوروبي عتبة المليون توقيع.

وتطالب العريضة بإجراء استفتاء جديد بعد استفتاء الخميس. وتعكس الانقسامات العميقة التي ظهرت في بريطانيا على ضوء الاستفتاء، ولا سيما بين الشباب والمسنّين، وبين أسكتلندا وإيرلندا الشمالية ولندن من جهة، وأطراف المدن والأرياف من جهة أخرى.

وعلى غرار أسكتلندا ولندن، صوت الناخبون في أيرلندا الشمالية بنسبة 55.7 بالمئة مع البقاء في الاتحاد الأوروبي.

وقوّت النتيجة النزعة الانفصالية في هذه المنطقة حيث يطالب الحزب الجمهوري لأيرلندا الشمالية باستفتاء على توحيد أيرلندا.

وقال زعيم الحزب ديكلان كيرني "جرفنا تيار التصويت في إنكلترا"، مؤكدا أن "الشين فين سيمارس الآن ضغوطا من أجل استفتاء حول الحدود".

وقال رئيس وزراء أيرلندا إندا كيني إن الحكومة "تأسف بشدة" من نتيجة الاستفتاء معبرا عن مخاوف رئيسية تنتاب الحكومة الأيرلندية نتيجة هذا الاستفتاء "تتعلق بالتداعيات المحتملة على التجارة والاقتصاد بالنسبة إلى أيرلندا الشمالية ولمنطقة السفر المشتركة وللاتحاد الأوروبي نفسه".

وازدادت حدة اللهجة حيث طالب المسؤولون الأوروبيون بريطانيا بالخروج على الفور، ما يزيد من حيرة البريطانيين، وخصوصا دعاة الخروج الذين يبدون متفاجئين بما حققوه. ففوزهم اعتمد أكثر على الشعارات "العاطفية" ودون خطط.

وقال رؤساء المجلس الأوروبي دونالد توسك والمفوضية الأوروبية جان كلود يونكر والبرلمان الأوروبي مارتن شولتز، في بيان مشترك شديد اللهجة يعكس وفق المراقبين قلقا أوروبيا من حالة التشويش التي أتت بها نتيجة الاستفتاء، "على حكومة المملكة المتحدة أن تنفذ قرار الشعب البريطاني وتسرّع في مفاوضات الخروج التي سيشرف عليها من الجانب الأوروبي الدبلوماسي البلجيكي ديدير سيوز".

ولفت البيان إلى أن التسويات التي تم الاتفاق عليها بعد مفاوضات شاقة أجراها رئيس الوزراء ديفيد كاميرون من أجل أن يدعم بقاء بلاده في الاتحاد باتت لاغية.

وتريد بروكسل تفادي إطالة فترة عدم الاستقرار التي ستنجم عن المفاوضات حول "اتفاق انسحاب" بريطانيا.

ونقل موقع بزفيد الأميركي عن مسؤول في الاتحاد الأوروبي قوله إن ردات الفعل الأوروبية تستهدف توضيح أن بقية دول أوروبا لا ترغب في إطالة مدة عملية خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي أو الاتفاق على تقديم تنازلات جديدة لبريطانيا.

الخوارج والحسن الصباح

أحمد عدنان

ص 6 »

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلس – الامارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

الجيش الليبي على أبواب تحرير كامل بنغازي

القضاء على أيوب التونسي أمير داعش في عاصمة الشرق

الجيش الليبي في حاجة أكيدة لانتصار عسكري يعزز ثقله على الساحة الليبية خاصة بعد النتائج التي حققتها الفصائل الإسلامية الموالية لحكومة الوفاق ضد داعش، وهذا ما يفسر وفق المتابعين، إطلاقه لعملية "بدر الكبرى" لتحرير كامل بنغازي.

التفجيرات سلاح المنهزم

❑ **بنغازي (ليبيا)** – تمكن الجيش الليبي بقيادة اللواء خليفة حفتر من السيطرة على مناطق جديدة في محافظة بنغازي، شرق طرابلس، بعد معارك وصفت بالعنيفة مع كل من تنظيمي أنصار الشريعة المبايع للقاعدة وداعش.

وسقط خلال هذه المعارك أيوب التونسي، أمير تنظيم الدولة الإسلامية في بنغازي، وفق ما أكده الناطق باسم الكتيبة 21 للجيش.

وكان قد تم اعتقال أيوب التونسي عام 2012 وتم تسليمه لرئاسة الأركان الليبية في ذلك الوقت، قبل أن يفرج عنه في ظروف غامضة.

وتتخذ عمليات الجيش ضدّ الجهاديين في المحافظة الليبية منحى تصاعديا، وتعكس عزمه على استعادتها، لتأكيد وزنه وثقله في المشهد الليبي بعد الإنجازات التي حققتها الفصائل والتشكيلات التابعة لحكومة الوفاق الوطني خاصة في سرت (450 كلم شرق طرابلس).

وتشهد محافظة بنغازي اشتباكات عنيفة في عدة محاور بين قوات الجيش والوحدات المساندة له من شباب المناطق من جهة، وتحالف مجلس شورى ثوار بنغازي وتنظيمي داعش وأنصار الشريعة من جهة ثانية.

وارتفعت وتيرة المعارك، بدءا من الأربعاء الماضي، بعد أن أطلق اللواء خليفة حفتر، عملية عسكرية سميت بـ"بدر الكبرى"، بهدف "تحرير آخر معاقل تنظيم داعش" في بنغازي.

وقال العقيد أحمد بشائر المسماري، المتحدث العسكري باسم القيادة العامة للجيش الليبي، "تمكنت قواتنا الجمعة من السيطرة الكاملة على منطقة قاريونس بالكامل، بعد انطلاق عملية تحرير كامل مناطق المحور الغربي لمدينة بنغازي قبل يومين".

وأضاف "تم خلال يومين من العملية العسكرية السيطرة على قرية الجوازي، وشركة الجوف ومحيطها في منطقة قنفودة (غرب المدينة) ومستشفى العقم في القوارشة، وأبنية تابعة لشركات صينية وتركية، ومعسكر الدرع، وقتل من كان فيه".

وأشار المسماري أن "إعلان تحرير كامل غرب بنغازي سيتم خلال فترة زمنية قصيرة، أو ربما ساعات، بعد أن انحصرت تلك المجموعات عند بوابة القوارشة، أهم معاقلها منذ سنوات".

وحول حصيلة القتلى في صفوف عناصر الجيش، قال المتحدث العسكري "خسرنا 16 عسكريًا أثناء العمليات، جميعهم قضوا نتيجة الألغام التي زرعتها الجماعات الإرهابية في المواقع التي هربت منها"، وفق تعبيره.

وإزاء هذا التقدم الذي يحققه الجيش في بنغازي، يسجل تحول في استراتيجية الجماعات المتشددة عبر شن ضربات منتقاة، بسيارات مفخخة في محاولة لتخفيف الضغط عنها.

وهذه الاستراتيجية ليست بجديدة فسبق وأن اعتمدها خاصة تنظيم الدولة الإسلامية في العراق، عندما اشتد عليه الخناق من قبل القوات العراقية.

ولقي 4 أشخاص مصرعهم على الأقل، وأصيب 14 آخرون بجروح، جراء انفجار سيارة مفخخة، في وقت متأخر من مساء الجمعة، أمام بوابة مستشفى "الجلاء" للحروق والحوادث بمدينة بنغازي.

وقالت فاديا البرغثي، مديرة مكتب الإعلام بمستشفى الجلاء ببنغازي، إن "سيارة مفخخة انفجرت أمام بوابة قسم الزيارة للمستشفى، وأسفرت بحسب الحصيلة الأولية عن مقتل 4 أشخاص وجرح 14 آخرين".

ولم توضح المسؤولة في المستشفى هوية ضحايا الانفجار، إن كانوا مدنيين أو عسكريين، خاصة وأن المستشفى يستقبل جرحى الجيش، الذين يتعرضون لإصابات مختلفة جراء المعارك الدائرة بالمدينة مع تنظيمي "أنصار الشريعة" و"داعش".

> إعلان تحرير كامل غرب بنغازي سيتم خلال فترة زمنية قصيرة بعد أن انحصرت الجماعات الجهادية عند بوابة القوارشة، أهم معاقلها منذ سنوات

وفيما لم تعلن جهة مسؤوليتها عن الحادث حتى عصر السبت، اتهم وليد العرفي، مدير مكتب الإعلام بالإدارة العامة للبحث الجنائي الليبي (قوات الأمن التي تؤمّن بنغازي حاليًا) ، من وصفهم بـ"التنظيمات الإرهابية من داعش وأنصار الشريعة بالوقوف وراء الحادث".

وقال وليد العرفي إن "التنظيمات المتطرفة التي يحاصرها الجيش في بعض مناطق بنغازي، هي من قامت بتفجير السيارة، كون أن مستشفى الجلاء يستقبل جرحى الجيش الليبي، وأن تلك المنطقة التي انفجرت بها السيارة، تشهد في العادة تجمّعا لجرحى الجيش كل مساء، أثناء أوقات زيارة ذويهم".

إلى ذلك، أدان منسق الأمم المتحدة الإنساني وممثل منظمة الصحة العالمية، سيد جعفر حسين، الهجمات الأخيرة التي استهدفت المرافق الصحية في مدينة بنغازي شرقي ليبيا، معربًا عن قلقه حيال حوادث التفجير في بنغازي، التي تشهد معارك مسلّحة منذ عام ونصف.

وحث حسين في بيان له نشرته الصفحة الرسمية لبعثة الأمم المتحدة للدعم في ليبيا، جميع الأطراف على الامتناع عن استهداف المرافق الطبية واتخاذ جميع الاحتياطات الممكنة لمنع وقوع ضحايا بين المرضى والعاملين. واستهدف مستشفى بنغازي الطبي (حكومي)، الشهر الماضي، أكثر من خمس مرات بالقذائف، ما أسفر عن مقتل وإصابة مدنيين.

ويتوقّع مراقبون أن يحسم الجيش الليبي قريبا المعركة لصالحه في بنغازي، ويضيف المحللون أن الجيش في حاجة أكيدة للانتصار هناك لتثبيت وزنه على الساحة الليبية، في ظل مساع من حكومة الوفاق لتقزيمه والتسويق للغرب على أنه لا يعدو أن يكون سوى مجموعة من التشكيلات العسكرية وليس جيشا قائما بحدّ ذاته.

كما أن إنجازات القوات الموالية لحكومة الوفاق خاصة في سرت ضد تنظيم داعش والتي لاقت صدى كبيرا دوليا، تشكل دافعا قويا لتحقيق مثل هكذا انتصار في بنغازي كبرى المدن الليبية.

وفي منتصف أبريل الماضي، أعلن الجيش سيطرته الكاملة على جامعة بنغازي ومنطقة الهواري، فيما أعلن يوم 23 فبراير الماضي، السيطرة على منطقة الليثي، أهم معاقل تنظيم أنصار الشريعة في بنغازي، وعشرة مواقع أخرى بينها ثلاثة معسكرات.

وكان القائد العام للقوات المسلحة اللواء خليفة حفتر، قد أطلق في 16 مايو 2014، عملية عسكرية باسم "الكرامة"، ضد "كتائب الثوار" وتنظيم "أنصار الشريعة"، متهمًا تلك الأطراف بـ"الوقوف وراء تردّي الوضع الأمني في بنغازي والقيام بسلسلة اغتيالات"، طالت نشطاء ومثقفين.

وقد استنكرت حكومة طرابلس التي تسيطر عليها جماعة الإخوان المسلمين آنذاك العملية المذكورة، واعتبرتها "انقلابًا على الشرعية كون العملية انطلقت دون إذن من الدولة". فيما أبدى مجلس النواب المعترف به دوليا والمنعقد في مدينة طبرق (شرق)، بعد انتخابه في يوليو 2014، دعمه للعملية التي يقودها حفتر، وعيّنه قائدًا للجيش.

الإجراءات الأمنية جزء من رسالة ترويجية للسياحة التونسية

❑ **تونس** – عزّزت قوات الأمن التونسي خلال شهر رمضان من انتشارها وسط العاصمة تونس، والمناطق السياحية، تفاديا لأيّ طارئ أمني قد يودي بالموسم السياحي.

ويأتي هذا الاستنفار الأمني اللافت بعد عام على مقتل 38 سائحا أوروبيا في هجوم دموي على فندق في مدينة سوسة الساحلية.

وتسعى تونس لاستعادة ثقة السياح بتكثيف إجراءات الأمن والترويج لما اتخذته من تدابير أمنية.

ويسجل السائح حضورا كثيفا لرجال الأمن وهم يجوبون الشواطئ على دراجات رباعية العجلات أو خيول، وانتشار بوابات إلكترونية لكشف المعادن بالفنادق والمطارات.

وتكبدت تونس خسائر فادحة بسبب العمليات الإرهابية المتواترة، خاصة في قطاع السياحة الذي يعدّ الركيزة الأساسية لاقتصادها.

وقال أنيس السويسي مدير المبيعات بفندق "روايال" بمنطقة "ياسمين الحمامات" في شمال شرق البلاد إلى الجنوب من العاصمة "منذ هجوم سوسة أنفقنا كثيرا على الأمن، (..) في السابق كنا نبيع الشمس والبحر فقط، أما اليوم فأصبحنا نبيع الشمس والبحر والأمن"، مشددا على أن "الأمن أصبح عنصرا مهما لبيع الخدمات السياحية".

وفي 26 يونيو 2015 قتل التونسي سيف الدين الرزقي (23 عاما) برشاش كلاشنيكوف 38 سائحا بينهم 30 بريطانيا بفندق "أمبريال مرحبا" في سوسة، في اعتداء تبناه تنظيم الدولة الإسلامية.

وحصل هذا الهجوم في وقت لا تزال فيه البلاد تتعافى من اعتداء استهدف في 18 مارس 2015 متحف باردو وسط العاصمة تونس، وأسفر عن مقتل شرطي تونسي و21 سائحا أجنبيا، وتبنّاه التنظيم نفسه.

وألحق الاعتداءان أضرارا بالغة بالسياحة، إذ تراجعت إيراداتها في 2015 بنسبة 35 بالمئة، وعدد السياح عامة بنحو 31 بالمئة وعدد السياح الأوروبيين بنحو 54 بالمئة مقارنة بسنة 2014 وفق إحصائيات رسمية.

وفرضت وزارة الداخلية، بعد هجوم سوسة، إجراءات أمنية غير مسبوقة في المطارات والمنشآت والمناطق السياحية من فنادق ومطاعم وشواطئ ومناطق أثرية ومسالك سياحية.

والشهر الحالي، نشرت الوزارة 1500 عنصر أمن سياحي وركزت أكثر من 70 مركز أمن "رملي" (متنقل) على طول شواطئ المناطق السياحية، بمناسبة عطلة الصيف التي تتزامن مع ذروة الموسم السياحي.

وقال شرطي يعمل في مركز أمن متنقل بياسمين الحمامات "أي شخص يثير لدينا شبهة، حتى وإن كان مصطافا، نوقفه ونطلب هويته ونمررها على منظومة الأمن المعلوماتية للتحري" مذكرا بأن منفذ هجوم سوسة تظاهر بأنه سائح وأخفى كلاشنيكوف في مظلة شمسية".

وكانت أجهزة الأمن قد تعرضت لانتقادات كبيرة بسبب تأخّرها في التدخل في هجومي سوسة وباردو.

وقد أقر رئيس الحكومة الحبيب الصيد، إثر هجوم باردو بوجود "إخلالات" في عمل قوات الأمن، كما أقر بعد هجوم سوسة بـ" تباطؤ" الشرطة في التدخل.

واليوم، أصبحت "كل" الفنادق في تونس مرتبطة مباشرة بمديريات الأمن عبر خط هاتفي خاص تتصل به عند الحاجة "فيكون التدخل سريعا" بحسب رضوان بن صالح رئيس النقابة التونسية لأصحاب الفنادق.

وألزمت وزارة الداخلية، بعد هجوم سوسة، كل الفنادق في تونس بتركيز "منظومة أمن ذاتية".

وأوضح أنيس الشملي مدير فندق "أيبيروستار" في جربة، "كنا نعمل بـ8 حراس و16 كاميرا مراقبة، (وبعد هجوم سوسة) صار عندنا 16 حارسا مجهزين بهواتف لاسلكية، و64 كاميرا بالإضافة إلى 4 كلاب حراسة بوليسية وبوابة إلكترونية لكشف المعادن".

وفي هذا الفندق لا يسمح لأيّ سيارة بالدخول إلا بعد فحصها بجهاز لكشف المعادن.

ولا يجازف الحراس المكلفون بهذه المهمة بالتقصير في أداء عملهم لأن الكاميرا تصوّر كل شيء ومدير الفندق أو معاونوه يراقبون ما يحدث من مكاتبهم عبر شاشات مرتبطة بكاميرات المراقبة.

وأضاف أنيس الشملي أن الفنادق في منطقة جربة-جرجيس السياحية اشترت لقوات الأمن 8 دراجات نارية رباعية العجلات لتسيير دوريات على شواطئ المنطقة.

ولفت الشملي إلى أنه "رغم الأزمة وتراجع الإيرادات، فقد استثمرنا في الأمن وهذا عبء مالي إضافي".

من ناحيته، أفاد أنيس السويسي أن فندق "روايال" في ياسمين الحمامات خصص 30 بالمئة من استثماراته الجديدة في 2015 للأمن وتدريب الحراس واقتناء تجهيزات المراقبة الإلكترونية.

وقال محمد بوجدارية المندوب الجهوي للسياحة في ياسمين الحمامات إن إدارته تنظم يوميا حملات تفقد لمراقبة مدى احترام الفنادق للإجراءات الامنية.

وأصبحت هذه الإجراءات الأمنية المختلفة المفروضة في الفنادق والمناطق السياحية "المحور الرئيسي" لحملات الترويج لسياحة تونس في الخارج بحسب عبداللطيف حمام مدير عام الديوان الوطني التونسي للسياحة.

وقال المسؤول "نقوم باستدعاء صحافيين ومتعهدي رحلات ووكالات أسفار حتى يعاينوا بأنفسهم وبشفافية تامة الإجراءات الأمنية المعتمدة. في مارس الماضي استدعينا 440 وكيل أسفار روسيا إلى جربة (..) ونتوقع بلوغ 300 ألف سائح روسي على الأقل هذا العام مقابل 50 ألفا فقط في 2015".

ونظمت وزارة السياحة في الأشهر الأخيرة 27 رحلة نحو تونس لحوالي 1900 وكيل أسفار ومتعهد رحلات تم استقدامهم من 14 سوقا لإطلاعهم على ظروف الأمن في الفنادق والمناطق السياحية.

وأشار عبداللطيف حمام إلى أن "جهودنا بدأت تؤتي ثمارها، والأمور تتحسن وقد أعيد فتح نحو 60 من جملة 100 فندق أغلقت" بعد هجوم سوسة.

وأوصى رضوان بن صالح بأن يكون الأمن "جزءا من رسالة ترويجية متكاملة للسياحة التونسية تشتمل كذلك على التعريف بالخصوصيات الطبيعية والثقافية" للبلاد لأن "الاقتصار فقط على الجوانب الأمنية قد يكون غير مُجْد".

الاستجمام الآمن

شهية الحوثيين مفتوحة للقتال وليس للسلام

غضب يمني من عجز المبعوث الأممي عن فرض اتفاق وقف إطلاق النار

لا يبدي المتمردون الحوثيون أيّ اهتمام بإنجاح مفاوضات السلام الجارية في الكويت، وهو ما يترجمه التصعيد العسكري اللافت من قبلهم في العديد من الجبهات باليمن وخاصة في الجنوب، وهذا الأمر يثير غضب اليمنيين.

الغلبة لمنطق السلاح

□ **صنعاء** – تشهد الساحة اليمنية تصعيدا عسكريا لافتا بين المتمردين الحوثيين والجيش اليمني وعناصر المقاومة الموالية له في العديد من الجبهات، الأمر الذي يهدد بنسف جهود المبعوث الأممي إسماعيل ولد الشيخ أحمد الذي أعلن في وقت سابق من هذا الشهر، عزمه طرح خارطة طريق لحل الصراع في هذا البلد.

ويأتي هذا التصعيد الذي فجّره الحوثيون، وسط معطيات عن ترتيبات عسكرية يعدّ لها التحالف العربي، في حال فشلت مفاوضات الكويت في حسم الصراع سياسيا.

وتتنامى الشكوك في إمكانية تحقيق مفاوضات الكويت برعاية المبعوث الأممي إسماعيل ولد الشيخ أحمد لاختراق في جدار الأزمة.

وكان المبعوث الأممي قد أعلن في وقت سابق من هذا الشهر عزمه طرح خارطة طريق لحل الصراع إلا أن ذلك لم يتحقق إلى حد الساعة رغم دخول المفاوضات يومها الـ67.

وتتضمن الخارطة، وفقا لولد الشيخ، "تصوراً عملياً لإنهاء النزاع وعودة اليمن إلى مسار سياسي سلمي"، منوها، في بيان، إلى أن هذا التصور يتطرق إلى "إجراء الترتيبات الأمنية التي ينص عليها القرار الأممي 2216 وتشكيل حكومة وحدة وطنية تعمل على إعادة تأمين الخدمات الأساسية وانعاش الاقتصاد اليمني".

ودفع التناقض الحاصل بين مساعي ولد الشيخ والأوضاع على الأرض خبيرا سياسيا يمنيا إلى اعتبار "خارطة الطريق"، التي يعتزم ولد الشيخ طرحها، "بيعا للوهم" إلى اليمنيين، ورأى أنه لا يمكن حلّ الأزمة السياسية في اليمن قبل نزع فتيل الحرب المتصاعدة في الميدان.

> الحديث عن خارطة سياسية في الوقت الذي احتدمت فيه الحرب في سائر الجبهات، هو وضع للعربة قبل الحصان

وقال الكاتب والمحلل السياسي اليمني، خالد عبدالهادي، إن "الحديث عن خارطة سياسية في الوقت الذي احتدمت فيه الحرب في سائر الجبهات، هو وضع للعربة قبل الحصان، وقفز على مهمة وقف المعارك، التي بدون تحقيقها يغدو الحديث عن خارطة لتسوية سياسية تبشيراً محضاً يقترب من بيع الوهم".

ورأى عبدالهادي أن إطفاء نيران الحرب، التي التهمت أرواح 6 آلاف و444 يمنيا، وشردت 2.8 مليون نسمة، وفقا لآخر إحصائيات أممية، ينبغي أن يكون "أولوية" للأمم المتحدة ومبعوثها الخاص إلى اليمن الذي يرعى مشاورات سلام "عقيمة" منذ أكثر من شهرين.

ومنتصف ليل العاشر من أبريل الفائت، أعلنت الأمم المتحدة عن هدنة إنسانية هي الرابعة في عمر الحرب المتصاعدة منذ 26 مارس 2015، وعلى الرغم من تماسك قرار وقف إطلاق النار أكثر من أي وقت مضى ونجاحه في الحد من الاقتتال وخصوصا في أسابيعه الأولى، إلا أن الأيام الأخيرة شهدت ترنحا للهدنة؛ ما يجعل البعض يعتقد بأن الحرب عادت كما كانت في أيامها الأولى.

وأخفقت لجان التهدئة التي شكلتها الأمم المتحدة، لمراقبة وقف إطلاق النار داخل ستّ محافظات يمنية ملتهبة هي تعز، والبيضاء وشبوة (جنوب غرب)، والجوف وحجة (شمال غرب)، ومأرب (وسط غرب)، في القيام بمهامها على أكمل وجه، رغم احتوائها على أعضاء عسكريين من طرفي الصراع بالتساوي.

وحول ذلك، قال أحد الضباط الموالين لحكومة الرئيس اليمني، عبدربه منصور هادي، إن "اللجان المحلية للتهدئة لا يمكنها عمل شيء وسط تصاعد المعارك؛ فالأمر لا يتوقف عند تبادل لإطلاق الرصاص من كلاشينكوفات فحسب، بل هناك صواريخ بالستية تطلق على مواقع الجيش الوطني في الجوف ومأرب، وهناك دبابات يتم حشدها يوميا".

وأضاف الضابط، الذي ينتمي للمنطقة العسكرية الرابعة في تعز، "المدافع وصواريخ الكاتيوشا لم تتوقف، وشهية السيطرة لدى الحوثيين وقوات الرئيس السابق علي عبدالله صالح لم يتم كبحها. هناك قتلى وجرحى يسقطون يوميا، وهناك تعزيزات عسكرية ضخمة تصلهم، وكأننا في الأشهر الأولى للحرب".

واعتبر المحلل السياسي اليمني، خالد عبدالهادي، أن "المشكلة الكبرى هي الحرب الناتجة عن اتساع شهية من استقووا بالسلاح على السياسة إلى المزيد من السيطرة والغلبة؛ لذلك حتى لو صاغت مفاوضات الكويت خارطة سياسية قبل حلّ هذه المشكلة الكبرى فلن يختلف مصير الخارطة عن الاتفاقات السابقة التي صاغها فريق أممي بين 2012 و2014 وسقطت ضحية للقوة المسلحة".

وجاء طرح "الخارطة الأممية" بعد جولات من المشاورات المباشرة وغير المباشرة قضاها المبعوث الأممي طيلة أكثر من شهرين مع طرفي الأزمة اليمنية (الوفد الحكومي والوفد المشترك للحوثيين وحزب المؤتمر الشعبي العام)، انتهت دون تحقيق أيّ اختراق جوهري وخصوصا في الملف الأمني.

الطيران الروسي يعاود جولاته الدموية في سماء سوريا

□ **دمشق** – بعد استراحة، لاقت تفسيرات عديدة ومتضاربة، عاود الطيران الروسي نشاطه في كل من حلب شمال سوريا ودير الزور شرقها.

وشنت طائرات حربية روسية وسورية غارات كثيفة على مدينة حلب والمناطق الواقعة إلى الشمال منها دعما لقوات النظام على الأرض التي تسعى لمحاصرة الفصائل المعارضة في الأحياء الشرقية.

وتعرضت الأحياء الشرقية الواقعة تحت سيطرة الفصائل إلى غارات جوية لم تتوقف طوال اليومين الماضيين.

وتتركز الغارات الجوية الروسية على طريق الكاستيلو في شمال المدينة والذي يعد المنفذ الأخير إلى الأحياء الشرقية.

وأوضح مدير المرصد السوري لحقوق الإنسان رامي عبدالرحمن "أن الطيران الروسي يدعم العملية البرية التي تشنها قوات النظام شمال المدينة في وقت يقصف الطيران السوري الأحياء الشرقية".

وقال أبو أحمد (38 عاما)، الذي يملك محل بقالة في حي بستان القصر، "لم نتمكن من النوم أنا وأولادي خلال اليومين الماضيين بسبب أصوات الانفجارات القوية التي لم أسمع لها مثيلا من قبل". وأضاف "لم تصلنا بضائع وخضروات بتاتا منذ يومين بسبب عدم إمكانية المرور عبر طريق الكاستيلو".

وتعرف مدينة حلب معارك منذ العام 2012 بين الأحياء الشرقية والأحياء الغربية الواقعة تحت سيطرة قوات النظام.

وشهدت المعارك في المدينة تصعيدا كبيرا خلال الأيام الأخيرة، حتى أن الأمين العام لحزب الله حسن نصرالله قد أعلن النفير إلى هذه المدينة التي وصفها بمعركة سوريا الكبرى. وبالتوازي مع دعم النظام في حلب، شن الطيران الروسي السبت غارات على مدينة دير الزور شرق سوريا.

وسقط 47 شخصا بينهم 31 مدنيا في الغارات التي استهدفت أساسا بلدة القورية في المحافظة التي يقبع الجزء الأكبر منها تحت سيطرة تنظيم الدولة الإسلامية.

وقال مدير المرصد السوري لحقوق الإنسان رامي عبدالرحمن "قتل 31 مدنيا وأصيب العشرات بجروح في ثلاث غارات شنتها طائرات حربية سورية وروسية واستهدفت بلدة القورية في ريف محافظة دير الزور الجنوبي الشرقي".

ويسيطر داعش منذ العام 2013 على الجزء الأكبر من محافظة دير الزور الحدودية مع العراق وحقول النفط الرئيسية فيها والتي تعد الأكثر إنتاجا في سوريا.

ويسعى منذ أكثر من عام للسيطرة على كامل المحافظة حيث لا يزال المطار العسكري وأجزاء من المدينة تحت سيطرة النظام.

الحشد الشعبي يلوح بسحق كل من يرفض مشاركته في معركة الموصل

□ **بغداد** – لوحت ميليشيات الحشد الشعبي بسحق كل من يعترض على مشاركتها في معركة تحرير مدينة الموصل (مركز محافظة نينوى شمال العراق) من تنظيم الدولة الإسلامية.

ويأتي هذا التهديد المتوقع من قبل الميليشيات الشيعية في ظل رفض واسع لمشاركتهم في المعركة الاستراتيجية الكبرى.

وبلغ بالمتحدث الرسمي باسم ميليشيات عصائب أهل الحق، جواد الطليباوي، حد القول إن "كل من يعترض على مشاركتنا سيسحق بالأقدام ولن يلوم أحد إلا نفسه".

وشدد الطليباوي على استعدادهم التام للمشاركة في المعركة غير عابئين بأيّ نداءات رافضة لوجودهم ضمن القوات العسكرية المدرجة لتحرير المدينة من براثن الدولة الإسلامية.

وقال إن "التحضيرات العسكرية جارية على قدم وساق وبهمة عالية قلّ نظيرها، وهي على أتم الاستعداد لبدء صولتها، لتحرير الموصل من عصابات داعش الإرهابية"، مشيرا إلى أن "الواجب الشرعي والوطني والأخلاقي يحتم علينا تحرير الموصل، وإنهاء معاناة أهالي المدنية، وعودة أهالي تلعفر، وسهل نينوى إلى مناطقهم بعد القضاء على داعش".

وفي وقت سابق أكدت هيئة الحشد الشعبي أن قواتها لن تنتظر ترخيصا من أحد لتحرير الموصل باعتبارها مدينة عراقية.

وكان مجلس المدينة قد صوّت منذ أيام على رفض مشاركة الحشد الموالي لإيران، في المعركة.

ومازال أهل السنة في العراق لم يستفيقوا بعد من هول التقارير والفيديوهات التي ترصد تعرض المدنيين الفارين من مدينة الفلوجة غرب العراق، لانتهاكات وحشية على أيدي عناصر الحشد الشعبي.

ويخشى من أن يلاقي سكان الموصل نفس مصير أهالي الفلوجة، الأمر الذي قد يدفع بعضهم لمناصرة تنظيم الدولة الإسلامية، وهو ما سيزيد من تعقيدات المعركة المصيرية.

وكان رئيس ائتلاف متحدون أسامة النجيفي قد حذّر منذ فترة من أن طبيعة معركة الموصل لا تحتاج لمشاركة الحشد الشعبي لمنع استغلال داعش الورقة الطائفية، لافتا إلى أن هذه المعركة تستوجب تحضيرات كبيرة أهمها زيادة عديد وتجهيزات الحشد الوطني ليكون لهم الدور الأساس بالتحرير ومسك الأرض.

وتقابل الحكومة التوجس الكبير حيال مشاركة الميليشيات الشيعية في معركة الموصل بالكثير من المراوغة، على غرار ما حدث في الفلوجة.

وأعلن وزير الدفاع العراقي خالد العبيدي، السبت، أن قوات الحشد الشعبي قد تشارك في تحرير الموصل إذا استدعت العمليات العسكرية ذلك.

وقال العبيدي، في مؤتمر صحافي عقده في مركز عمليات نينوى، إن "كل الأقليات ستشارك في معركة تحرير نينوى".

وأوضح وزير الدفاع العراقي أن "الحشد الشعبي قد يشارك في معركة تحرير مدينة الموصل من داعش إذا كانت هناك حاجة لذلك"، لافتاً إلى أن قوات البيشمركة الكردية قد تشارك في العمليات، مؤكدا على قرب الإعلان عن تشكيل الحشد الوطني.

وجاءت تصريحات وزير الدفاع خلال زيارة أداها رفقة رئيس البرلمان سليم الجبوري وعدد من النواب إلى مقر قيادة عمليات تحرير نينوى بقضاء مخمور للاطلاع على التحضيرات العسكرية لتحرير الموصل من سيطرة تنظيم الدولة الإسلامية، والخطط الموضوعة لتأمين خروج النازحين.

وأبدى رئيس البرلمان العراقي سليم الجبوري، في ذات المؤتمر الصحافي، تفاؤلا حيال العملية العسكرية في الموصل، رغم ما يشوبها من شد وجذب خاصة فيما يتعلق بإشراك الحشد الشعبي.

وقال الجبوري إن "عملية تحرير مدينة الموصل من سيطرة تنظيم الدولة الإسلامية بات قريبا جدا".

وكانت القوات العراقية شرعت بعملية أمنية انطلاقا من ناحية القيارة جنوبي الموصل لتحرير المدينة والمناطق المحيطة بالموصل.

الخوف من سيناريو الفلوجة

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977

أسسها

أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام

محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير

علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن
Al Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
Kensington Centre
66 Hammersmith Road
London W14 8UD, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

بريطانيا خارج مجال الأوروبيين

هل تنقسم المملكة المتحدة بعد أن تخلت عن الاتحاد الأوروبي

طالبت الدول الست المؤسسة للاتحاد الأوروبي بريطانيا، ببدء فوري لمفاوضات خروجها من الاتحاد، عقب نتائج الاستفتاء المؤيد للخروج الأمر الذي يزيد من تعقيد الوضع على المملكة المتحدة التي لاتزال تحت صدمة النتيجة القاضية بخروجها من التكتل الأوروبي ما يعني حرمانها من كل الامتيازات والتسهيلات والدخول في سنوات من عدم اليقين وعدم الاستقرار الاقتصادي والسياسي.

محمود القصاص
كاتب مصري مقيم في لندن

جاء التصويت لصالح خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي مثل الزلزال الذي أصاب بريطانيا وأوروبا، وامتدت توابعه إلى مناطق أخرى بدرجات مختلفة، فقد انخفض على الفور سعر صرف الجنيه الإسترليني بنسبة 10 بالمئة مرة واحدة ليصل إلى أقل مستوى له أمام الدولار منذ عام 1985، كما تراجعت مؤشرات البورصات العالمية يوم الجمعة 24 يونيو، مع إعلان نتيجة التصويت، لتفقد ما يقارب 2 تريليون دولار وسط مخاوف حول وضع الاقتصاد البريطاني، واعلان رئيس الوزراء البريطاني ديفيد كاميرون أنه سيستقيل في شهر أكتوبر القادم.

وبشكل عام هناك فإن حالة القلق وعدم اليقين المسيطرة على الأسواق العالمية سوف تستمر لفترة غير معروفة لعدة أسباب، منها كبر حجم الاقتصاد البريطاني، الذي يمثل خامس أكبر اقتصاد في العالم،

> حالة القلق وعدم اليقين المسيطرة على الأسواق العالمية سوف تستمر لفترة غير معروفة لعدة أسباب، منها كبر حجم الاقتصاد البريطاني، الذي يمثل خامس أكبر اقتصاد في العالم، والذي من المتوقع أن تتراجع نسب النمو فيه مع خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي

والذي من المتوقع أن تتراجع نسب النمو فيه مع خروج بريطانيا من الاتحاد، كما يرى الكثير من الاقتصاديين، وهذا بلا شك سيؤثر على فرص التوظف في بريطانيا، وفرص الاستثمار بها.

هذا بالإضافة إلى أن بريطانيا لا يمكنها بأي حال أن تبقى بعيدة عن السوق الأوروبية الموحدة، التي تمثل أكبر سوق في العالم، خاصة وان هذه السوق قريبة للغاية من بريطانيا، وتستقبل نحو نصف صادراتها، ومن ثم، يجب أن تجد بريطانيا صيغة مختلفة لاستمرار تجارتها مع هذه السوق.

ولن يتم التوصل إلى هذه الصيغة بين يوم وليلة، بل سيستغرق الأمر وقتا طويلا ومفاوضات شاقة مع الاتحاد الأوروبي. ومن الطبيعي أن يعيد المستثمرون في السوق البريطاني حساباتهم، وان يتمهلوا في ضخ أي استثمارات جديدة انتظارا لما سيكون عليه شكل العلاقة الجديدة بين بريطانيا والسوق الأوروبية.

قطاع آخر ينتظر ان يتأثر مع خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، وهو القطاع العقاري الذي يمثل أحد أبرز القطاعات التي يقبل عليها المستثمرون في السوق البريطاني. فقد حذر صندوق النقد الدولي من انخفاض حاد في أسعار العقارات في بريطانيا، وهو انخفاض قد يتراوح ما بين 10 بالمئة إلى 18 بالمئة خلال العامين القادمين حسب تقديرات وزارة الخزانة البريطانية. وفي نفس الوقت هناك توقعات بارتفاع سعر الفائدة، الأمر الذي يعني ارتفاع تكاليف القروض العقارية.

ووجود المملكة المتحدة نفسه أصبح مهددا بعد التخلي عن مشروع الوحدة الأوروبية، إذ ان أغلب الناخبين في أسكتلندا صوتوا لصالح الاستمرار في الاتحاد الأوروبي بخلاف أغلب الناخبين في إنكلترا. وبشكل عام فإن المزاج الشعبي في أسكتلندا أقرب كثيرا لأوروبا مما هو عليه الحال في إنكلترا. ومن ثم، أعلنت نيكولا ستورجيون، زعيمة الحزب القومي الإسكتلندي والوزيرة الأولى، انه من المطروح الآن إعادة التصويت على انفصال أسكتلندا عن المملكة المتحدة على أساس أن الأسكتلنديين لن يقبلوا التخلي عن أوروبا لأن هذه هي رغبة الناخبين في إنكلترا.

وترى ستورجيون أن هذا وضع غير ديمقراطي لأنه لا يعقل أن يُجبر الإسكتلنديون على الانفصال عن أوروبا خلافا لرغبتهم، وهو طرح يلقى قبولا وترحيبا بين الكثير من الإسكتلنديين، خاصة وان أحد أسباب رفض انفصال أسكتلندا عن بريطانيا في الاستفتاء السابق هو تحذير أوروبا من أن مثل هذا الانفصال سيجرم أسكتلندا من عضوية الاتحاد الأوروبي، وهو ما تغير تماما في الوقت الحالي.

وهناك مشكلة مشابهة في ايرلندا الشمالية، إذ صوّت أغلب ناخبيها بدورهم لصالح البقاء في الاتحاد الأوروبي. ولهذا طالب مارتين ماجينس، نائب الوزير الأول والقيادي بحزب "الشين فين"، باستفتاء على بقاء ايرلندا الشمالية في بريطانيا أو انضمامها إلى جمهورية ايرلندا. ويبدو الأمر أكثر تعقيدا بسبب الانقسام العميق بين الكاثوليك والبروتستانت في أيرلندا الشمالية. وكان الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي هو أحد الخطوات الهامة لنزع فتيل الأزمة بين الطرفين، التي استمرت لعقود طويلة، وذلك على أساس أن هذا الاتحاد السوق الأوروبية؟ ويبقى السؤال الأهم: هل تنتهي المملكة المتحدة كما نعرفها بعد أن تخلت عن الاتحاد الأوروبي؟ هذا هو السؤال الذي ينتظر كثيرون الإجابة عليه.

وتبقى أسئلة كثيرة بلا اجابة في الوقت الراهن: هل تبقى بريطانيا على حالها أم تنقسم إذا خرجت منها أسكتلندا أو ايرلندا الشمالية؟ وما هو شكل علاقة أسكتلندا إذا انفصلت بالاتحاد الأوروبي؟ وما مصير الملايين من الأوروبيين الذين يعيشون في بريطانيا؟ وبالمقابل كيف ستتعامل أوروبا مع البريطانيين الذين يعيشون على أراضيها؟ وفوق كل هذا ما هو شكل العلاقة الجديدة بين بريطانيا والسوق الأوروبية الموحدة؟ هل تكون شبيهة بالنرويج مثلا التي ظلت خارج الاتحاد لكنها تتمتع بحرية التجارة مع السوق الأوروبية من خلال المنطقة الاقتصادية؟ هل تكون شبيهة بنموذج سويسرا التي لها اتفاقات خاصة مع السوق الأوروبية؟ ويبقى السؤال الأهم: هل تنتهي المملكة المتحدة كما نعرفها بعد أن تخلت عن الاتحاد الأوروبي؟ هذا هو السؤال الذي ينتظر كثيرون الإجابة عليه.

بريطانيا في الاتحاد الأوروبي

المساهمة المالية في الاتحاد الأوروبي في عام 2014، بمليارات اليورو

المصدر: المفوضية الأوروبية، أرقام 2014

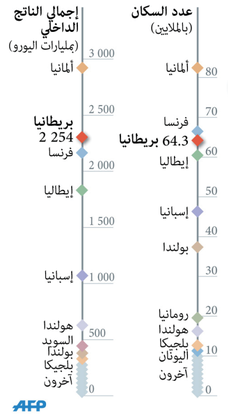

بريطانيا.. تخسر الاتحاد الأوروبي وحظوتها الدولية

عريضة تطالب باستقلال لندن

باراغ خانا
خبير استراتيجي أميركي

خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي يأتي ليكون بمثابة تكملة لتراجع الإمبراطورية التي كانت ممتدة في كافة أرجاء العالم وتتحدر إلى عالم الأموات الاستراتيجي خلف القوى العظمى، حتى أنها هبطت إلى رابطة الأمم التي تدعى إلى الاجتماعات الدولية بداعي اللياقة لا غير.

بريطانيا لن تكون بعد أن قررت الخروج من الاتحاد الأوروبي سويسرا أو سنغافورة العلاقة، فهذان البلدان أغنى مرتبة من المملكة المتحدة في القمرة التنافسية والابتكار. وعلاوة على ذلك ليستا في الواقع الجزيرتين السعيدتين المحررتين من القيود التنظيمية مثلما يتم تصويرهما بما أن سويسرا تربطها التزامات معمقة تابعة من المعاهدات التي عقدتها وروابط اقتصادية عبر أوروبا حتى بعد أن تراجعت عن الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي بسبب الخلاف نفسه حول مسألة الهجرة التي أشعلت حمّى خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي.

من جهتها تعتبر سنغافورة البطل الجديد في جمعية أمم جنوب شرق آسيا، وتتزعم كتلة جنوب شرق آسيا التي تطمح إلى أن تصبح اتحادا أوروبيا آسيويا. فهذا البلد يدفع الاستثمار في منطقته ويستفيد منه بدلا من الهروب منها.

ونظرا لأن زعيمتي منطقة اليورو فرنسا وألمانيا بدأتا في السخرية من بريطانيا وتهديدها بسبب الخلافات التي ستترتب بعد قرار الخروج من الاتحاد بالنسبة إلى المشاريع البريطانية على الأراضي الأوروبية، فإن حظوظ المملكة المتحدة في قيادة أوروبا من خارج القلعة ستصبح ضئيلة جدا.

وفي ذات الوقت من المستبعد أن تعوّل بريطانيا على زعامتها لمجموعة الكومنولث التي لم تعد متماسكة إذ لا تملك بريطانيا أيّ هيمنة على زمبابوي وكينيا صعيدي المراس، وليس لديها غير القليل من النفوذ على دخول وخروج البريطانيين من أصول باكستانية. كما حيدت كذلك حشودا من الهنود عن طريق قيود ثقيلة تصحب التأشيرات السياحية.

وفي الفترة الأخيرة وجهت ريطانيا اهتمامها إلى الصين فجلبت المليارات من الجنيهات إلى بنوكها والعقارات والتداول باليوان في أسواق لندن المالية النابضة بالحياة.

وبالتأكيد تحتاج بريطانيا للانفتاح التنظيمي لجذب رأس المال إلى بنيتها التحتية وقاعدتها الصناعية، لكن إذا لم تعد بريطانيا تساعد البلدان في تحويل الأموال إلى ألمانيا وإيطاليا وغيرهما من البلدان الأوروبية الكبرى، فإن أقصى ما ستحصل عليه هو ادخار المستثمرين الصينيين النقود في عقارات مهلهلة مثلما يفعلون عبر برنامج إ. ب5 الأميركي.

وعلى المدى البعيد ستكون الممتلكات الأوروبية الجنوبية أرخص وتحظى بدعم السيولة الأوروبية طويلة المدى. وقد تواصل بريطانيا الاحتفاظ بموقعها كوجهة استثمار أجنبي أساسية، لكن تعويدة بوريس جونسون التي تردد كثيرا بأن بريطانيا عندما تكون غير مقيدة يمكنها التفاوض حول الاتفاقيات التجارية "بمرونة أكبر" أصدق مما يدرك، إذ ان القوى الأكبر ستجبر بريطانيا على الخضوع مرة تلو الأخرى. وحاول أن تتخيل لندن تتحدى بكين في نزاع يتعلق بمنظمة التجارة العالمية بالشكل الذي تقوم به واشنطن أو بروكسل. في التجارة ليس من الحكمة أبدا المراهنة على داود ضد جالوت.

وقارن بوريس بريطانيا بعد الخروج من الاتحاد الأوروبي بكندا التي لديها اتفاقيات تجارة حرة دولية لكنها تضبط سياسة الهجرة لديها. لكن وجه الشبه ينتهي عند ذلك الحد طبعا، فكندا تستقبل قدرا من الاستثمار الأجنبي المباشر للفرد أكبر بكثير من المملكة المتحدة، وهي منفتحة بشكل حقيقي على الهجرة، ولديها معاملات تجارية تشطة واستثمارات مع ثاني أكبر اقتصاد في العالم رئيسا.. عاشت اللكسيت (أي خروج لندن)، الأمر بدأ على شكل مزاح، إلا أن عريضة طالب مارتين ماجينس، نائب الوزير الأول والقيادي بحزب "الشين فين"، باستفتاء على بقاء ايرلندا الشمالية في بريطانيا أو انضمامها إلى جمهورية ايرلندا. ويبدو الأمر أكثر تعقيدا بسبب الانقسام العميق بين الكاثوليك والبروتستانت في أيرلندا الشمالية. وكان الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي هو أحد الخطوات الهامة لنزع فتيل الأزمة بين الطرفين، التي استمرت لعقود طويلة، وذلك على أساس أن هذا الاتحاد السوق الأوروبية؟ ويبقى السؤال الأهم: هل تنتهي المملكة المتحدة كما نعرفها بعد أن تخلت عن الاتحاد الأوروبي؟ هذا هو السؤال الذي ينتظر كثيرون الإجابة عليه.

فضلا عن ذلك تدفع أوتاوا إلى تشييد جسر ثان بين ويندسور ودترويت، وفي المقابل يرمز خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي إلى التخلص من روابط اقتصادية لا شائبة فيها مع الكتلة الاقتصادية الوحيدة الأكبر من أميركا، أي منطقة اليورو.

وبالتأكيد هناك نخبة من الانتصارية البريطانية تحرك الموقف الداعم للخروج من الاتحاد الأوروبي، ففي النهاية تنتمي لندن إلى مضمار النخبة الشبيه بسباق فورميلا واحد للمدن العالمية التي تتعاون بنفس قدر تنافسها، حيث تنصهر البورصات وتتدفق المواهب في ما بينها بسلاسة.

قد تبقى لندن المدينة الأولى في عالم الأموال، لكن سيستمر باقي بريطانيا في الأفول. وانتقال العضوية الذي لا تتبعه عملية تجميع الولايات وبناء التماسك، قد يفتح الطريق أمام احتمالات مزعجة في المستقبل.

مضيفا انه مستفيدا من "النجاح الهائل" الذي حققته العريضة فإنه ينوي المطالبة سريعا بإعطاء المدينة مزيدا من الصلاحيات. ولم تبق مبادرة أومالي معزولة. فقد أطلقت عريضة أخرى مشابهة تحت شعار "لتبق لندن داخل الاتحاد الأوروبي" جمعت حتى ظهر السبت أكثر من 16 ألف توقيع.

وكان نحو 400 ناشط من المؤيدين لبقاء بريطانيا داخل الاتحاد الأوروبي سارعوا في تظاهرة مساء الجمعة في لندن تعبيرا عن رفضهم للخروج. وقالت الطالبة بولي باتلر (22 عاما) وهي تشارك في التظاهرة "نحن خائفون، وكل الأشخاص الرافعين هنا يشعرون بالخوف".

تمتد مدينة لندن الكبرى على مساحة 1500 كلم مربع وتضم مناطق ريفية على أطرافها. وفي وسط المدينة حيث الاكتظاظ السكاني كبير وصلت نسبة المصوّتين للبقاء داخل الاتحاد الأوروبي إلى أكثر من 75 بالمئة. وأصدر صادق خان بيانا الجمعة طالب فيه بإشراك مدينة لندن في مفاوضات الخروج من الاتحاد الأوروبي وبأن "تبقى عضوا في السوق الموحدة".

ومما قاله صادق خان في بيانه "من المهم جدا أن يكون للندن صوتها خلال هذه المفاوضات على غرار أسكتلندا وأيرلندا الشمالية". وأضاف موجها كلامه إلى الملايين الأوروبيين قائلا لهم إنهم "سيبقون على الرحب والسعة في لندن"، التي يسكنها 6.8 ملايين نسمة بينهم 37 بالمئة ولدوا في الخارج.

وقتل الأسبانية كارمن مارتينيز (37 عاما) التي تعيش في لندن منذ سنوات "إن لندن مدينة متنوعة لا يمكن مقارنتها بأي مكان آخر داخل بريطانيا حيث لا يلقى المهاجرون الترحيب. إننا لا نشعر هنا بأننا مهشمون". من جهتها قالت بيفرلي ديفيد (33 عاما) العاملة في مجال الموارد البشرية "إن هوية اللندنيين مختلفة عمّا هي في بقية مناطق البلاد. أشعر بأنني لندنية أولا ثم أوروبية ثم بريطانية".

وإذا كانت لندن لا تحبذ الخروج فذلك يعود أيضا إلى موقعها كواحد من أهم المراكز المالية في العالم. وكتبت صحيفة "ذي إيفننغ ستاندرد" السبت "إن اقتصاد العاصمة مرتبط كثيرا بالقطاع المالي الذي يرتبط بدوره بعلاقتنا بالسوق الأوروبية". وتحت وسم "لترك إنكلترا الصغيرة" كتب المهندس مارك ميدلتون على تويتر "أنا أدعم اللكسيت، ولتترك لندن المملكة المتحدة ولتبق عضوا في الاتحاد الأوروبي لتصبح مدينة دولة مزدهرة مثل سنغافورة".

> الاستفتاء يمثل محطة مهمة في مسار عمل الأحزاب والتيارات القومية الأوروبية المتطرفة في معركة كسب الشارع مرة أخرى. ولم يتأخر زعماء التيار الراديكالي في عموم أوروبا عن إطلاق الدعوات إلى إجراء استفتاءات في بلدانهم حول خروج محتمل من الاتحاد الأوروبي

خروج بريطانيا يعكس تمردا شعبيا على النخب في أوروبا وخارجها

مشروعية جديدة للأحزاب اليمينية لقيادة أوروبا نحو مزيد من الانغلاق

باريس – يرى خبراء أن الخيار التاريخي للبريطانيين بالخروج من الاتحاد الأوروبي يعكس "تمردا للشعوب" على نخبهم بهز دول الاتحاد الأوروبي وينهب أبعد منها مثل نجاح دونالد ترامب في الولايات المتحدة الأميركية. وقال دومينيك موييزي، من المعهد الفرنسي للعلاقات الدولية، "إنه التفسير الرئيسي لما حدث: البريطانيون قالوا لا لنخبهم. إنه تمرد الصغار على السلطة". وأضاف أن "الخصوصية المتعلقة بالاتحاد الأوروبي هي رفض المشروع الأوروبي" أي تأنيب الحاكمين على "استسلامهم لبروكسل".

وأشارت ميلاني سولي، المحللة السياسية البريطانية التي تقيم في النمسا، إلى ازدهار حزب الاستقلال يوكيب البريطاني المشكك في أوروبا وأحزاب مثله في دول أخرى بسبب غضب أناس يتجاهلهم الموجودون في السلطة، على المستوى الوطني والأوروبي على حد سواء. وأضافت ملخصة الوضع "يشعرون أنهم متروكون ولا شيء يصنع من أجلهم وخصوصا في مجالي الهجرة أو الاقتصاد".

وأكدت الرئيسة السابقة المحافظة للبرلمان الأوروبي الفرنسية نيكول فونتيين (1999–2002) أيضا إنها "لم تفاجأ بتصويت هؤلاء السكان الذين يعانون من أوضاع هشة". وترى أن السبب هو "أوروبا المريضة بعجزها الديموقراطي"؛ لذلك مثل الاستفتاء محطة مهمة في مسار عمل الأحزاب والتيارات القومية الأوروبية المتطرفة في معركة كسب الشارع مرة أخرى والعودة إلى قمة هرم السلطة في الدول التي عاشت أكثر من نصف قرن تحت رخاء القيم الكونية والإنسانية وأنتجت مجالات معرفية ودستورية ارتقت إلى نماذج يحتذى بها في العالم.

ودفع خروج بريطانيا إلى التساؤل عن إمكانية انتقال العدوى إلى دول أوروبية أخرى سبق وأن عبّر ممثلها المتطرّف والقومي عن موقفه السلبي من الوحدة الأوروبية. وقال دومينيك موييزي "قد تحدث عدوى خطيرة". ولا يعتبر هذا الخبير "مبالغة" تشبيه البعد التاريخي لخروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي بانهيار الاتحاد السوفييتي.

وقد لجأ إلى صورة سينمائية لتوضيح فكرته، قائلا "تذكروا في حرب النجوم: هناك الجانب المضيء للقوة وهناك الجانب المظلم. الجانب المضيء هو سقوط جدار برلين والجانب المظلم هو خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي".

ورحّب كل المشككين في جدوى الوحدة الأوروبية بالانتصار على "النخب المؤيدة لأوروبا"؛ فلم يتأخر زعماء التيار الراديكالي، بقيادة رئيسة الجبهة الوطنية الفرنسية مارين لوبان والنائب الهولندي غيرت فيلدرز والإيطالي ماتيو سالفيني، في إطلاق الدعوات إلى إجراء استفتاءات في بلدانهم حول خروج محتمل من الاتحاد الأوروبي.

ويبدو تقدم هذه الأحزاب الشعبوية واضحا في هولندا وفرنسا البلدان المؤسسان للاتحاد الأوروبي، وفي النمسا حيث أخفق اليمين المتطرف بفارق طفيف في الوصول إلى الرئاسة في مايو، وفي إيطاليا حيث فازت حركة النجوم الخمس ببلدية روما.

وقال اليمني المتطرّف فيلدرز، الذي تشير استطلاعات الرأي إلى أن حزبه يأتي في الطليعة في الانتخابات التشريعية الهولندية في مارس 2017، إن "البريطانيين رسموا لأوروبا الطريق إلى المستقبل والتحرير"؛ فيما أكد زعيم اليسار الفرنسي الراديكالي جان لوك ميلانشون أن "الدرس هو أن الاتحاد الأوروبي، إما أن نقوم بإصلاحه أو نتركه". وبدل ميلانشون جهودا كبيرة في استفتاء 2005 من أجل انتصار رفض الدستور الأوروبي، وهذا ما حدث.

وسار على نفس التوجه الانفصالي، حزب الشعب الذي ينتمي لليمين المتطرف في سلوفاكيا الذي قال إنه سوف يطلق عريضة لإجراء استفتاء على عضوية البلاد بالاتحاد الأوروبي بعدما صوّت الناخبون البريطانيون بالانسحاب من التكتل. وقال الحزب على موقعه الإلكتروني "مواطنو بريطانيا العظمى قرروا رفض الإملاء من بروكسل. حان الوقت لسلوفاكيا أن تغادر سفينة تايتانيك الأوروبية الغارقة أيضا".

وصرح رئيس الوزراء الإيطالي ماتيو رينزي في هذا السياق لصحيفة لاريبوبليكا قائلا "خروج بريطانيا فتح الباب أمام عنصرية بعض التيارات في إيطاليا لتعيد الحديث عن مشروعيتها في العمل على الانفصال من الاتحاد، وأرجو أن لا يكون لهذه الدعاية صدى في الشارع .

الأمر ذاته يحدث في فرنسا، فقد ذكرت زعيمة حزب الجبهة الوطنية اليميني المتطرف في فرنسا مارين لوبان أن خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي يمنح الشرعية لحملة حزبها لإجراء استفتاء بعد ساعات من إعلان نتيجة الاستفتاء في بريطانيا إن النقاش بشأن أوروبا سوف يلعب دورا مركزيا في الانتخابات الرئاسية الفرنسية في عام 2017.

وخارج أوروبا، طال هذا التيار دولا عدة مثل الفيليبين وغواتيمالا وخصوصا الولايات المتحدة حيث لم يكن أحد يتوقع قبل سنة فوز الملياردير دونالد ترامب في الانتخابات التمهيدية للحزب الجمهوري للرئاسة الأميركية. ووصلت حمّى الانفصال إلى ولاية تكساس الأميركية، حيث استفاق حاكم الولاية على دعوات من حركة تكساس القومية لتبني الأساليب التي اعتمدت عليها حملة مؤيدي الخروج لإقناع البريطانيين بالتصويت لصالحها ويطالبون باستقلال ولايتهم عن البلاد.

وقال دانيال ميلر، رئيس حركة تكساس القومية، إن التصويت الذي قاده المواطنون في بريطانيا يمكن أن يكون نموذجا لتكساس –التي كانت مقاطعة مستقلة في الفترة بين عامي 1836 و–1845 وسجتل اقتصادها المقدر بنحو 1.6 تريليون دولار سنويا مركزا بين كزافيه برتران رئيس الإدارة المحلية في منطقة الشمال حيث ينتظر الآلاف من المهاجرين فرصة التوجه إلى إنكلترا أن "الشعب البريطاني حسم أمره واطلب من الحكومة الفرنسية إعادة التفاوض حول اتفاقات توكيه".

وكان وزير الاقتصاد الفرنسي إيمانويل ماكرون حذّر مطلع مارس من أنه في اليوم الذي "تقطع" فيه العلاقة بين لندن والاتحاد الأوروبي "لن يبقى المهاجرون في كاليه".

وأكدت النائبة كريمة ديلي أيضا أن على الرئيس "فرنسوا هولاند نسيان اتفاقات توكيه".

تتضمن اتفاقية توكيه فقرة عن حالة الخروج من الاتحاد الأوروبي مع مهلة من سنتين وتنص على أن تتم إجراءات التدقيق الأولى للهجرة في بلد المغادرة. وقد أدت فعليا إلى انتقال الحدود البريطانية إلى المرافئ الفرنسية.

وقال فرنسوا جيمين، الأستاذ في معهد العلوم السياسية في باريس، "الآن وبما أن بريطانيا لم تعد في الاتحاد الأوروبي، ليس هناك أي سبب لتكون الحدود في كاليه"، معتبرا أن لندن "تتصلت من مسؤوليتها" بموجب هذا الاتفاق "الجائر لفرنسا وللمهاجرين".

وتابع أن "المفارقة هي أن التصويت مع الخروج من الاتحاد الأوروبي كان بأغلبيته تصويتا ضد الهجرة بينما يمكن أن تضطر بريطانيا لاستقبال المزيد من المهاجرين". كما أن لندن لم يعد بإمكانها إبعاد طالبي اللجوء إلى البلد الأول الذي قاموا بتسجيل بصماتهم فيه كما تنص اتفاقية دبلن.

وحول مخيم كاليه العشوائي الكبير، سيستغرق تبدل الوضع وقتا طويلا، كما قالت رئيسة بلدية المدينة ناتاشا بوشار. وهي تدعو إلى "إعادة التفاوض" حول اتفاقات توكيه بشكل يجعل البريطانيين أيضا يفتحون مخيما للمهاجرين على أرضهم.

صفحة تحتاج إلى إصلاحات ومراجعات لا إلى بكائيات

دعوات فرنسية إلى إلغاء اتفاق توكيه مع بريطانيا

باريس– تتم إدارة الحدود بين فرنسا والمملكة المتحدة بموجب اتفاقية ثنائية حول المهاجرين الذين يسعون للتوجه إلى الأراضي البريطانية عبر المانش، لكن يرغب عدد من المسؤولين الفرنسيين في إلغائها بعد اختيار بريطانيا الخروج من الاتحاد الأوروبي.

وإثر إعلان نتائج الاستفتاء في بريطانيا، ارتفعت أصوات في فرنسا تشكك في اتفاقية "توكيه" لإدارة الحدود التي وقعتها لندن وباريس في 2003. وكتب كزافييه برتران رئيس الإدارة المحلية في منطقة الشمال حيث ينتظر الآلاف من المهاجرين فرصة التوجه إلى إنكلترا أن "الشعب البريطاني حسم أمره وأطلب من الحكومة الفرنسية إعادة التفاوض حول اتفاقات توكيه".

وكان وزير الاقتصاد الفرنسي إيمانويل ماكرون حذّر مطلع مارس من أنه في اليوم الذي "تقطع" فيه العلاقة بين لندن والاتحاد الأوروبي "لن يبقى المهاجرون في كاليه".

وأكدت النائبة كريمة ديلي أيضا أن على الرئيس "فرنسوا هولاند نسيان اتفاقات توكيه".

تتضمن اتفاقية توكيه فقرة عن حالة الخروج من الاتحاد الأوروبي مع مهلة من سنتين وتنص على أن تتم إجراءات التدقيق الأولى للهجرة في بلد المغادرة. وقد أدت فعليا إلى انتقال الحدود البريطانية إلى المرافئ الفرنسية.

وقال فرنسوا جيمين، الأستاذ في معهد العلوم السياسية في باريس، "الآن وبما أن بريطانيا لم تعد في الاتحاد الأوروبي، ليس هناك أي سبب لتكون الحدود في كاليه"، معتبرا أن لندن "تتصلت من مسؤوليتها" بموجب هذا الاتفاق "الجائر لفرنسا وللمهاجرين".

وتابع أن "المفارقة هي أن التصويت مع الخروج من الاتحاد الأوروبي كان بأغلبيته تصويتا ضد الهجرة بينما يمكن أن تضطر بريطانيا لاستقبال المزيد من المهاجرين". كما أن لندن لم يعد بإمكانها إبعاد طالبي اللجوء إلى البلد الأول الذي قاموا بتسجيل بصماتهم فيه كما تنص اتفاقية دبلن.

وحول مخيم كاليه العشوائي الكبير، سيستغرق تبدل الوضع وقتا طويلا، كما قالت رئيسة بلدية المدينة ناتاشا بوشار. وهي تدعو إلى "إعادة التفاوض" حول اتفاقات توكيه بشكل يجعل البريطانيين أيضا يفتحون مخيما للمهاجرين على أرضهم.

شباب بريطانيا غاضب: الأكبر سنا صوتوا للمغادرة وسرقوا مستقبلنا

لندن – عبر الشباب البريطانيون عن غضبهم السبت من مواطنيهم الأكبر سنا المشككين بالاتحاد الأوروبي بعد أن بين استطلاع أن 60 بالمئة ممن هم فوق سن 65 عاما صوتوا مع الخروج في حين صوّت معظم الشباب مع البقاء.

وقالت ماري ترينين، وهي مستشارة تكنولوجيا في الثالثة والعشرين تعيش في حي راق في لندن "أشعر بالغضب. من صوتوا مع المغادرة لن يناضلوا من أجل المستقبل".

وأكد استطلاع شمل 12 ألف شخص نشره معهد مايكل أشكروفت لاستطلاعات الرأي أن 73 بالمئة ممن هم بين 18 و24عاما و62 بالمئة ممن هم في سن 25 و34 عاما صوتوا مع البقاء. في حين صوت غالبية من هم فوق 65 عاما مع المغادرة.

وقال ريتشي كزافيه، الذي يعمل نادلا وعمره 21 عاما "لا أشعر بأن من العدل أن يتحدث كبار السن باسمنا. سنعيش عمرا أطول منهم. ولهذا أشعر وكأن مستقبلي سرق مني". وايد بادي بيكا البالغ 21 عاما كلامه قائلا "كبار السنّ هم من صوتوا من أجل هذا، ولكن نحن من سيتحمل تبعاته".

وخلال اجتماع لحزب العمال المعارض في وسط لندن السبت عبّر كثيرون عن قلقهم من الشرخ العميق بين الأجيال، بين من لا يتذكرون بريطانيا خارج أوروبا، وأولئك الذين عاشوا فيها قبل ذلك. وقال زعيم حزب العمال جيريمي كوربين للحضور "الشباب الذين صوتوا من أجل البقاء لا ينبغي أن يسلبوا من مستقبلهم". وقال أصغر رئيس بلدية في بريطانيا تيرينس سميث البالغ من العمر 19 عاما إنه صوّت من أجل البقاء، مؤكدا "لا أزال أحاول تصور ما يخبئه لنا الغد". وأضاف رئيس بلدية غول في يوركشير، شمال إنكلترا، "هناك فجوة عميقة بين الأجيال سيتعين علينا ردمها".

وعبر الكثير من الشباب عبر مواقع التواصل الاجتماعي عن غضبهم بعد نتيجة استفتاء الذي فاز فيه مؤيدو المغادرة بنسبة 52 بالمئة. فكتب لوك تانسلي على تويتر "هذا التصويت لا يعبر عن جيل الشباب الذي يتعين عليه أن يتحمل النتائج". وكتبت إليانور "أرفض أن أكتم غضبي وخوفي وحزني بسبب قرار سيغير مستقبلي".

وكتبت ريبيكا "لقد قرر مستقبل بلادنا أناس يحنون إلى ماض لم يوجد قط وها هم قد خلقوا مستقبلا حالكا". وأضاف ماثيو فان در ميروي "الخميس عدنا إلى الوراء ومن غير الواضح كم من السنوات رجعنا. لقد زال الكثير من التفاؤل الذي كنت أتقاسمه مع غالبية أبناء جيلي هنا".

وأعرب كاتب شاب لم يذكر اسمه في صحيفة فايننشال تايمز عن قلقه من تحمل أعباء سداد خطط إنقاذ البنوك وصناديق التقاعد وتساءل "ما الذي نحصل عليه في المقابل؟ فقد حرية الحركة والدراسة والعمل والعيش والمساواة في المعاملة في أيّ بلد أوروبي". وختم "ما إن أنهي دراساتي سأغادر هذا البلد".

كبار السن هم من صوتوا من أجل الخروج ولكن نحن من سيتحمل تبعاته

البحرين تكشف العراق

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

❏ جديد الحملة التي تشنّها إيران وتوابعها على البحرين ليس جديدا. كان الجديد قديما إلى حدّ ما وحمل معه بعض الفوائد. جاء هذا الجديد ـ القديم ليؤكد ما بدا جديدا وحاول بعضهم التغطية عليه بطريقة أو بأخرى عن طريق الإيحاء بأنّ القرار العراقي ليس قرارا إيرانيا.

بعد الموقف الأخير لآية الله علي السيستاني، المرجع الشيعي الأعلى في العراق، لم يعد من مجال للشك في أن النظام في العراق جزء لا يتجزّأ من النظام الإيراني، كما أن لا مجال للرهان على أيّ مرجعية أو مسؤول في العراق من أجل استعادة البلد لبعض استقلاله.

جاء نزع الجنسية عن رجل الدين البحريني الشيخ عيسى قاسم ليؤكد مدى تورط النظام في العراق في التبعية لإيران. كانت هناك ممارسات عراقية تصبّ في هذا الاتجاه. في الماضي القريب وفي مناسبات مختلفة، عبّر المسؤولون العراقيون وعلى رأسهم رئيس الوزراء حيدر العبادي وقبله سلفه نوري المالكي، فضلا عن وزير الخارجية الحالي إبراهيم الجعفري، عن مدى انصياعهم لإيران، لكنّ كلام كل هؤلاء شيء، فيما السيستاني شيء آخر. كان هناك من يعتقد أن السيستاني، على الرغم من أصوله الإيرانية، سيراعي مصالح العراق ويدافع عن هذه المصالح لسببين. الأوّل أنّه مقيم في النجف منذ فترة طويلة ويدرك أهمّية هذه المدينة من كلّ النواحي. والآخر أنّه ليس من أولئك الذين يؤمنون بنظرية "ولاية الفقيه" التي له تحفظات عليها. هذا على الأقلّ ما بدر من تصرّفات معيّنة للمرجع العراقي، إلى أن اتصل أخيرا بعيسى قاسم متضامنا معه في وجه السلطات البحرينية. هذا على الأقلّ ما يوزّعه مقربون من عيسى قاسم. يقول هؤلاء إن السيستاني اتصل برجل الدين الشيعي، الذي نزعت منه الجنسية، وأبلغه أن سحب الحكومة البحرينية لجنسيته "لا يضرّ به" وأنّه "بعد الاطمئنان على صحّته، أعرب السيستاني عن مودّته الخاصة ومكانة قاسم في قلبه". الكلام كلام عام، لكن يبقى هل تمّ الاتصال أم لا؟

يمكن بالطبع مناقشة مسألة سحب الجنسية من مواطن، أيّ مواطن ما في أيّ بلد كان، وما إذا كان قرار السلطات البحرينية، التي تعاني من تجاذبات

إيرانيون يحكمون العراق

داخلية وافتقار إلى القدرة على التعاطي مع الإعلام العربي والعالمي، صائبا أم لا. هذا أمر متروك للبحرينيين أنفسهم الذين يقدّرون ظروف بلدهم ووضعه الأمني وما تشكله إيران من خطر على المملكة الصغيرة، إضافة بالطبع إلى الدور الذي قد يكون لعبه عيسى قاسم في إثارة القلاقل والحزازات المذهبية. ليس في استطاعة أيّ شخص يمتلك حدّا أدنى من الموضوعية تفادي التطرق إلى القرار البحريني ومدى صوابيته وتطابقه مع القوانين المعمول بها في البلد نفسه وشرعية حقوق الإنسان المعترف بها عالميا.

تظلّ الاعتبارات المتعلقة بالبحرين ومشاكلها الداخلية شيئا والحملة التي تشنّها إيران على المملكة مباشرة وعبر أدواتها شيء آخر. كان مفهوما الكلام الصادر عن قاسم سليماني قائد "فيلق القدس" في "الحرس الثوري الإيراني" بما تضمّنه من تهديدات للبحرين. فسليماني أخذ على عاتقه قتال أهل السنّة في العراق، وهو يشرف على عمليات التطهير ذات الطابع المذهبي في الفلوجة وغير الفلوجة. يُقال إنّ القائد العسكري الإيراني انتقل أخيرا إلى محيط حلب بعد سلسلة الهزائم التي لحقت بالميليشيات التابعة لإيران، وعلى رأسها "حزب الله" اللبناني، جنوب المدينة. هناك مصلحة إيرانية في التوسّع من منطلق مذهبي قبل أيّ شيء آخر. لذلك، يبدو رد فعل سليماني طبيعيا، بل أكثر من طبيعي، متى أخذنا في الاعتبار المهمّات التي يتولاها الرجل وطبيعة العلاقات التي يقيمها مع الجانب الأميركي.

كذلك، يبدو مفهوما ردّ "حزب الله" في لبنان وحملته على البحرين وعلى المملكة العربية السعودية. مهمّة "حزب الله"، هذه الأيّام، كما في الماضي إثبات أن لبنان جرم يدور في الفلك الإيراني وأنّه على استعداد لكل المغامرات إرضاء لما يصدر عن "الوليّ الفقيه" في طهران، حتّى لو كان ذلك يلحق كلّ أنواع الضرر بلبنان واللبنانيين. لبنان واللبنانيون آخر همّ لدى "حزب الله"، كما أنّهم مجرّد ورقة تستخدمها طهران في اللعبة التي تمارسها في المنطقة.

ما ليس مفهوما أن يذهب المسؤولون العراقيون بعيدا إلى هذا الحدّ في إظهار تبعيتهم لإيران من جهة ونفسهم المذهبي الذي يتحكّم بتصرفاتهم من جهة أخرى. كلّ ما يمكن قوله إن موقف السيستاني الذي لم ينف حصول المكالمة الهاتفية مع عيسى قاسم نزع ورقة التين عن النظام في العراق. لم يعد هذا النظام الذي يدّعي مقاتلة "داعش"، علما أنّه عمل كلّ شيء من أجل إيجاد حاضنة للإرهاب ذي الطابع السنّي، سوى ذراع من الأذرع الإيرانية. وكيف يمكن لبلد كبير مثل العراق أن يتحوّل ما يشبه إلى لواء في "الحرس الثوري" الإيراني مثله مثل "حزب الله" في لبنان؟

ليس التدخل في شؤون البحرين، عن طريق السيستاني، خرقا لما بقي من علاقات بين العراق والبلدان العربية، خصوصا دول الخليج. ما حصل يزيل أيّ وهم لا يزال قائما في شأن إصلاح الوضع العراقي عبر

> بعد الموقف الأخير لآية الله علي السيستاني، المرجع الشيعي الأعلى في العراق، لم يعد من مجال للشك في أن النظام في العراق جزء لا يتجزأ من النظام الإيراني، كما أن لا مجال للرهان على أي مرجعية أو مسؤول في العراق من أجل استعادة البلد لبعض استقلاله

إعادة إحياء ما بقي من مؤسسات الدولة. الجيش العراقي انتهى يوم اتخذ المفوّض السامي الأميركي بول بريمر قرارا بحله. حلّت الميليشيات المذهبية التابعة للأحزاب العراقية مكان هذا الجيش. هذه الميليشيات كانت تحارب إلى جانب إيران في حرب السنوات الثماني بين 1980 و1988. صار اسم الجيش العراقي "الحشد الشعبي" الذي ليس سوى مظلة للمشروع المذهبي الإيراني في العراق.

المفارقة أنّ هذا المشروع المذهبي الإيراني في العراق الممتد في اتجاه سوريا ولبنان ينفذ برعاية أميركية. لا اعتراض أميركيا من أيّ نوع على ما تقوم به إيران في العراق. كل ما هناك مباركة من باراك أوباما والمحيطين به لهذا المشروع الذي يصبّ في حروب مذهبية لا نهاية لها.

يُفترض، انطلاقا من ردود الفعل الإيرانية والعراقية واللبنانية (حزب الله تحديدا) على نزع الجنسية من رجل الدين البحريني استخلاص بعض العبر. ما يمكن استخلاصه أوّلا أن الرهان على أيّ تغيير في العراق قضيّة خاسرة. فالعراق صار محميّة إيرانية لا أكثر. وهل يستفيق الشيعة العرب في العراق يوما؟ هذا هو السؤال الكبير. هل يحصل شيء ما في إيران فتعود دولة طبيعية من دول المنطقة؟ هذا هو السؤال الأكبر.

إلى الآن لم يظهر حسن روحاني رئيس الجمهورية السابع لإيران أنّه يختلف في شيء عن "المرشد" آية الله علي خامنئي. أما في العراق، فلم يظهر حيدر العبادي أنّه مختلف في شيء عن نوري المالكي، كما لم يظهر السيستاني أنّه من مدرسة أخرى غير مدرسة العبادي والمالكي، بل هو مجرّد غطاء لهما وللمدرسة التي ينتميان إليها..

الخوارج والحسن الصباح

أحمد عدنان
صحافي سعودي

❏ تعرض الفضائيات العربية هذه الأيام مسلسلا راقيا حمل اسم "سمرقند" كتبه محمد البطوش وأخرجه إياد الخزوز، ولا علاقة للمسلسل بسمرقند أمين معلوف باستثناء التزامن التاريخي والجغرافي. وتطرّق المسلسل إلى شخصية جدلية عبرت في تاريخ المسلمين، هي الداعية الإسماعيلي الحسن الصبّاح.

وقد قرأت تغريدات عدة تعجبت مما ظنوه تلميعا للصبّاح، والموقف السلبي من الصبّاح مرده طائفي أو قيمي، فالصبّاح في نظر البعض ليس أكثر من زعيم ميليشيا مارست النهب والاغتيال والغدر وقطع الطريق، ومن غض الطرف عن هذه الزاوية، لم ينس أن الداعية الإسماعيلي كان موضع مواقف سلبية من السنة ومن الشيعة معا امتدادا لموقف الطائفتين من الفرق الباطنية، وحتى داخل الإسماعيليين حمل الصبّاح عنوان الانقسام بين النزاريين والمستعليين.

الحقيقة، أن المسلسل لم يروّج للصبّاح ولا لولاية الفقيه كما تجنى المغرضون، فقد أظهره كقاطع طريق وزعيم ميليشيا، وقد أدى الممثل السوري عابد فهد شخصية الصبّاح بتميز عجيب، وما أجاده فهد هو ما أثار نقمة بعض المتابعين العوام، إذ تمكن فهد من إظهار البعد الكاريزماتي للصبّاح بدقة وعمق، وتلك عين الحقيقة، فالصبّاح –شئنا أم أبينا– هو من أبرز مثقفي عصره بشهادة خصومه وأنداده، ولا شك في تمتعه بقوة جذب مكنته من استقطاب الأتباع ومن إقامة دويلته أو دويلاته، وكل الشخصيات المفصلية والإشكالية في التاريخ، سواء أخذت عنها تصورا إيجابيا أو سلبيا، ما تمكنت من ترسيخ موقعها التأريخي لولا صفات مميزة ومتميزة سخرتها في سبيل الخير أو في سبيل الشر، والأدق أنها سخرتها في هذا وذاك بحكم الطبيعة البشرية التي تتنازعها الفضائل والغرائز.

ولإعادة قراءة الصبّاح، أستند إلى كتاب مهم عنوانه "أدب الخوارج" لأكاديمي سوري لا يحضرني اسمه للأسف، استطاع الكتاب من زاوية الشعر الخارجي أن يعيد قراءة التاريخ الذي كتبه المنتصر، فالخوارج الذين شاع إسقاط الإرهاب المعاصر كامتداد لهم، ليس منطقيا أن نقرأ ظهورهم بضعف الوازع الديني أو بالانحراف العقدي، فما وجدناه في أدب الخوارج نزعة واضحة باتجاه التقوى والزهد، وفي ذلك الزمن إن لم يكن على يمينك صحابي فعلى يسارك تابعي، ولم يمرّ على دفن جثمان الرسول الأعظم أكثر من ربع قرن.

الجانب الآخر في تفسير ظهور الخوارج، هو فشل المشروع الاجتماعي للإسلام، أو فلنقل فشل تطبيقه، جاء الدين الحنيف واعدا بالمساواة وبالعدالة الاجتماعية، كانت البداية في سياسة تقسيم الغنائم في عهد الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– التي أسّست نوعا من الإقطاع الديني، ثم بعض الممارسات في عهد الخليفة الراشدي الثالث، عثمان بن عفان –رضي الله عنه– التي شكلت أسسا نقيضة لقيم الإسلام نفسه، فتعنصر بعض الولاة ضد العرب بتفضيل قريش على العرب، ثم تعنصروا بتفضيلها أو بتفضيل العرب على البشرية جمعاء، وقد أثارت ممارسة هؤلاء الولاة غضب العوام والخواص من العرب، ثم أثارت الضغينة بين العرب وبين الشعوب المتعددة التي انضوت تحت راية الإسلام بحكم الفتوحات.

ثم رأت بعض الشعوب بعد تلك العنصرية، أن صراعا يدور بين فخذين رفيعين من قريش على الحكم، هما بنو هاشم ممثلين في علي بن أبي طالب –عليه السلام– وبنو أمية ممثلين في معاوية بن أبي سفيان –رضي الله عنه– ولم يشبع خطاب الخصمين طموحات البعض في إدارة الشأن العام وتصوّرهم لشكل الدولة والمجتمع الذي يفترض أن يعبّر عن قيم الإسلام الجديدة، المساواة والعدالة الاجتماعية، فكان هذا الفشل تراكما على تلك العنصرية سببا لظهور الخوارج الذين جاؤوا من هوامش صراعات قريش والعرب والموالي ونظرية الإسلام وتطبيقه.

وبالعودة إلى الحسن الصبّاح، أطلب من القارئ أن يستحضر في ذهنه صدام حسين وأسامة بن لادن وحسن نصرالله وأبو بكر البغدادي وقاسم سليماني وعلي خامنئي وغيرهم، فمن وجهة نظري أنها شخصيات رسّخت موقعها في قائمة الشر، وأعرف أن غيري يراهم من الأبرار العليين، لكن القاسم المشترك بين كل هؤلاء هو الشخصية الكاريزماتية ومسببات موضوعية تضمنت ظروفا اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية شرّعت وجودهم التاريخي، وقد تمكنت كل هذه الشخصيات من اقتناص فرصتها التاريخية لتحقق وجودها المعنوي الذي تجاوز حضورها المادي، ثم امتد أثر بعضها وتأثيرها عقودا وقرونا وربما إلى يوم يبعثون.

من أجمل الأعمال الأدبية التي تناولت الحسن الصباح، تلك الرواية التي حملت اسم قلعته الشهيرة "آلموت"، للأديب السلوفيني فلاديمير بارتول، وقد لفتتني في هذا العمل قدرته على تشريح الحسن الصبّاح، إننا أمام رجل سبر الطبيعة البشرية من جذورها مدركا أثر عاطفة الدين أو غريزته فضلا عن تعلق المسلمين بالرسول الأعظم وآل بيته البررة.

شاهد الحسن الصباح كل من حوله يتاجرون بالإسلام لإقامة سلطانهم وثرواتهم، فلماذا يقع عليه الاستثناء؟ حكم الصبّاح باسم الإمام من دون أن يتساءل البعض أين الإمام أو هل هذا حكمه، والبعض لم يعرف من هو الإمام أصلا، وحال الصبّاح تماما كحال من هم اليوم يحكمون باسم الله أو باسم النبي.

على المدى الطويل خسر الصبّاح ومن ورائه الإسماعيلية معركتهم السياسية، فأصبح الداعية، أو ممثل الإمام، الحسن الصبّاح، مجرما منبوذا في صفحات المؤرخين، أما لو انتصروا لسمينا الصبّاح الإمام المجدد أو شيخ الإسلام كغيره من أغلب أصحاب المذاهب والطوائف الذين لا تختلف سيرتهم وجريمتهم عن سيرة الصبّاح وجرائمه، لكن الآخرين انتصروا وكتبوا التاريخ.

العلة في الجموع التي لا تتعظ

لم تكن العلة في رؤساء الطوائف أو في الصبّاح، إنما في الجموع التي لا تتعلم ولا تتعظ، والدليل أننا نرى أمثال الصبّاح يتكاثرون بأسماء مختلفة وتحت رايات إسلامية متنوعة وفي أزمان متعددة لم تستثن يومنا هذا، والضحية هو الإسلام والمسلمون، والإنسانية أيضا.

رئيس الوزراء البحريني الذي يثير غضب الإيرانيين

خليفة بن سلمان آل خليفة
التنمية والأمن ردا على التهديدات

إبراهيم الجبين

❑ **برلين** – لم ترد البحرين أن تكون جزيرة صغيرة معزولة في البحر، كما اختارت فئة لبريطانيا بعد الاستفتاء الأخير الذي أخرج المملكة المتحدة من الاتحاد الأوروبي. البحرين التي تتحدر من تاريخ طويل، جعل منها دولة ذات سيادة وحدود حضارية، قبل أن يسمع العالم بظهور الممالك الفارسية، وما دلمون والممالك التي كانت تحكم من جزيرة البحرين إلا دلائل على حضور قويّ، جعلها في قلب فضائها العربي والإسلامي والعالمي.

قوة مختلفة

لكن قوة البحرين تلك، مخالفة لمفهوم القوة الهمجي السائد اليوم، والذي تؤمن به دول مثل إيران وغيرها، محاولة اختراق المجتمعات بهويات غير وطنية، ومكرسة التقسيم الطائفي والعرقي لبسط نفوذها بأيّ وسيلة كانت.

في البحرين التي أرادت لنفسها أن تكون ملتقى للثقافات، تتجاور الحضارات في السوق والمكتبة والديوان والحارة، غير أن العدو الذي سبق له وأن بلغ باحتقانه حدود احتلال الجزيرة، لا يريد لها أن تكون مستقرة، وهو ما صرّح به علانية قاسم سليماني مدير العمليات الإجرامية في المشرق العربي، من العراق إلى سوريا وغيرها، حين اعتبر أن قرار السلطات البحرينية بإسقاط الجنسية عن عيسى قاسم أكبر مرجع شيعي في البحرين، يؤسس لقيام حركة مدمرة للنظام الحاكم في البحرين. وكذلك مضاعفة حكم بالسجن لمدة أربع سنوات كان قد صدر بحق زعيم جمعية الوفاق علي سلمان بتهمة التحريض على العنف. وأصدر الحرس الثوري بياناً واضحاً قال فيه إن القرار سيؤدي إلى إشعال ما أسماه "ثورة إسلامية".

> المحكمة الكبرى في مملكة البحرين تنظر في حل جمعية الوفاق الشيعية، بعد أن أصدرت حكمها بإغلاق مقراتها والتحفظ على حساباتها البنكية وأملاكها، حتى البت في قانونية نشاطها ومصادر تمويلها

ردت البحرين بالمزيد من الإجراءات بحلّ جمعية الوفاق الشيعية المعارضة، وإسقاط الجنسية ليس فقط عن عناصر تخريبية شيعية، بل أيضاً عن العشرات من المنتمين إلى تنظيم داعش السلفي.

وأكد رئيس الحكومة الأمير خليفة بن سلمان آل خليفة، على أن المنامة تواجه التهديد الإرهابي باستمرار. وأن بلاده بحاجة إلى أن تدعم جهودها الأمنية جهودٌ دبلوماسية وإعلامية لتطويق ما تحاول إيران ترسيخه من تشويه لسمعة البحرين واتهامها بالطائفية والتمييز بين مواطنيها.

الأمير خليفة بن سلمان آل خليفة، رجل دولة مخضرم، يصدر عن رؤية استراتيجية ومشروع تنموي كبير، ينظر إلى المستقبل ويخطّط له، كان على رأس اهتماماته وضع السباق التكنولوجي في خدمة التنمية المستدامة. وهو الحاصل على جائزة التنمية المستدامة من الاتحاد الدولي للاتصالات في العام 2015، تقديراً لمساهماته في الاستفادة من التكنولوجيا. لكن رئيس الوزراء يعتبر أن "أمن البحرين" يأتي أولاً. مشدداً على "أننا دولة قانون ومؤسسات" وأن شعب البحرين "بكل طوائفه" قد أرهقه الإرهاب وأعمال الحرق وتعطيل مصالح المواطنين وتهديد أمنهم واستقرارهم.

عداوة المناوئين

ولد الأمير خليفة بن سلمان في العام 1935 في المنامة. وكان حضوره مبكراً في الساحة السياسية للبلاد. فقد دخل مجلس المعارف في سن التاسعة عشرة. وتولى رئاسة بلدية العاصمة وصندوق النقد البحريني والمجلس الأعلى للهجرة، ومع بداية سبعينات القرن العشرين أوكل إليه منصب رئيس مجلس الدولة المنوط به الإشراف على السلطة التنفيذية. ولم تمض سنة واحدة، حتى عيّن رئيساً للوزراء بمرسوم من حاكم البحرين شقيقه الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة، وكتب عنه وقتها أنه قام بإعادة صياغة وتنظيم الوضع السياسي والإداري للبحرين.

كان خليفة بن سلمان حارس الجزيرة والحريص على النظام وكيان الدولة، وحين انتقل الحكم إلى ابن شقيقه حمد بن عيسى، واصل العمل معه رئيساً للوزراء، قبل وبعد أن تتحول البحرين إلى مملكة.

كل تلك المسيرة أكسبت الأمير خليفة عداوة المناوئين للدولة في البحرين، سواء كانوا من المعارضين المختلفين، أم من أولئك الذين ارتهنوا لإيران بحكم الولاء والمرجعية المذهبية. وحين حاولت إيران استغلال احتجاجات الربيع العربي، وصنع ثورة طائفية في البحرين، كان على رأس مطالب المتظاهرين الشيعة إقالة رئيس الوزراء الأمير خليفة بن سلمان من منصبه، فيما تمسك به تجمع الوحدة الوطنية البحريني الذي ينضوي تحته العديد من التيارات السياسية المختلفة.

ليست هذه هي المرة الأولى التي تعلن فيها إيران عن أهدافها ومطامعها العلنية الصريحة في البحرين، فقبل ذلك كان مندوب المرشد علي سعيدي قد قال "إن العمق الاستراتيجي لإيران يمتد من البحرين والعراق وحتى اليمن ولبنان وشواطئ المتوسط".

لكن سياسة البحرين اعتمدت على الدبلوماسية من جهة، وعلى الضبط الأمني وبسط سلطة الدولة، وتعزيز مكانتها لدى الجوار العربي وفي التحالفات العالمية من جهة ثانية، وهذا لم يكن سهلاً، فقد تطلب الأمر عمليات تطوير كبرى شملت كل المرافق، لا سيما التعليم، فقد تم تكريم الأمير خليفة بن سلمان من قبل اليونسكو لدوره في العملية التعليمية في البحرين، واعتبرتها المنظمة الدولية البلد العربي الوحيد الذي حقق أهداف التعليم للجميع دون أيّ تمييز أو فوارق بين الجنسين. علاوة على تحويل الجزيرة الصغيرة إلى قبلة مصرفية واقتصادية خلال فترات طويلة سابقة، ويستمرّ هذا حتى اليوم، بأكثر من أربعمئة مؤسسة مصرفية تعمل على الأراضي البحرينية. ورغم أن التجارة الخارجية على درجة من الأهمية بالنسبة إلى البحرينيين، إلا أن اقتصادهم يعتمد بشكل كبير على صادرات النفط التي تشكل النسبة الكبرى من واردات الحكومة، إضافة إلى السياحة وموارد أخرى، كالإنشاء الذي شهد نمواً سنوياً خلال العام 2015 تجاوز الـ3.6 بالمئة ليصل إلى 12.3 بالمئة.

وكان مجلس التنمية الاقتصادية البحريني قد توقع في تقريره الفصلي أنه من المرجح أن يفوق نمو الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي نسبة 4 بالمئة، حيث تشير التوقعات إلى نمو بمعدل 4.2 في المئة للاقتصاد ككل و4.6 في المئة للاقتصاد غير النفطي و2.9 في المئة للاقتصاد النفطي.

اتخذت البحرين القرار بالتخلص نهائياً، من كل ما كان يتسبب بزعزعة استقرارها، بعد صبر طويل. فالمناخ في المنطقة ما يزال متوتراً مليداً بالغيوم الطائفية التي تمطر عنفاً ودماراً وحروباً لا نهاية لها. وترك الحبل على الغارب لكل من ارتبط بإرادة خارجية، لم يعد مقبولاً بعد.

وباشرت المحكمة الكبرى في مملكة البحرين قبل أيام قليلة، النظر في حل جمعية الوفاق الشيعية. بعد أن أصدرت حكمها بإغلاق مقراتها والتحفظ على حساباتها البنكية وأملاكها، حتى البت في قانونية نشاطها ومصادر تمويلها.

القضاء على رأس الاضطرابات

تمكنت جمعية الوفاق، على الخط الإسلامي السياسي الإخواني، مع فارق المذهب والطائفة، من التسلل إلى صناديق الاقتراع، ودخول البرلمان، ليس لمواصلة اللعبة الديمقراطية، ولكن لتطبيق مبدأ ولاية الفقيه في البلاد، وجعلها فرعاً من إيران.

كانت جمعية الوفاق قد نشأت بعد فشل مشروع حزب الدعوة البحريني، النسخة الأخرى عن حزب الدعوة العراقي. يديرها المجلس العلمائي (غير المرخص في البلاد) الذي يقوده كل من عيسى قاسم ممثلاً لمرجعية الخامنئي وعبدالله الغريفي الذي كان يمثل مرجعية محمد حسين فضل الله وعلي السيستاني.

إلى جوار جمعية الوفاق تنشط جمعية "حق" بقيادة حسن مشيمع، وحركة "الوفاء" بقيادة عبدالوهاب حسين، والتيار الشيرازي يمثله كل من "جمعية الرسالة" التي اتخذت لها اسم "جمعية العمل الإسلامي" بعد أن كان اسمها "الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين".

في البرلمان البحريني شكّلت جمعية الوفاق كتلة كبيرة، لكن نوابها استقالوا جماعياً في العام 2011 مطالبين بحكومة يجري انتخابها لا تعيينها من قبل الملك. وكان من بين المطالبات التي رفعت حينها، وضع البحرين تحت الوصاية الدولية. وكتب الباحث الدكتور نبيل العسومي حينها مقالا يتساءل فيه "أيّ حكومة منتخبة في ظل قداسة الولي الفقيه؟". مضيفاً أنه "إذا كانت جمعية الوفاق تركز في مطالبها فيما تسميه المملكة الدستورية والحكومة المنتخبة معلنة بذلك بالادعاء بأنها مع بناء دولة مدنية، فإن المتفحص لهذه المعادلة يكشف ما فيها من تناقض وتحايل سياسي على المجتمع، فالمملكة الدستورية لها صور وأشكال عديدة في العالم وقد اختارت السلطة في البحرين أن تكون مملكة دستورية منذ أكثر من عقد من الزمان". فالمطالبة بالدستورية الملكية ستصطدم بفكر جمعية الوفاق ذاتها، الواقعة حسب العيسومي تحت "تأثير الولي الفقيه وتحت التأثير الإيراني".

ولطالما كان الأمير خليفة بن سلمان آل خليفة الصخرة التي واجهت مخططات الوفاق وغيرها. فلم يتمكنوا من إزاحته بالاضطرابات، ولا بالاعتصامات، ولا بالعمليات الإرهابية. لأنه مثّل كيان الدولة وهيبتها في تكوين النظام السياسي القائم في مملكة البحرين، إضافة إلى مكانة العاهل البحريني الملك حمد بن عيسى الذي تظلل جميع السلطات.

لذلك جاء التصريح الذي حمل الإشارة لجمعية الوفاق ذاتها، ومن خلفها إيران، على لسان رئيس الوزراء الأمير خليفة بن سلمان، الذي قال في الوقت المناسب خلال اجتماعه مع نوابه، ووزير الخارجية ووزير شؤون الإعلام وكبار المسؤولين في المملكة، بأنه لا يمكن السكوت على الذين ارتهنوا فكرياً وسياسياً للخارج.

> الأمير خليفة بن سلمان يعد حارس الدولة في الجزيرة الصغيرة، والحريص على النظام والسيادة، وحين انتقل الحكم إلى ابن شقيقه حمد بن عيسى، واصل العمل معه رئيساً للوزراء. قبل وبعد أن تتحول البحرين إلى مملكة

● جمعية الوفاق التي يقودها المجلس العلمائي بزعامة عيسى قاسم ممثلا لمرجعية الخامنئي وعبدالله الغريفي الذي كان يمثل مرجعية محمد حسين فضل الله وعلي السيستاني، تنشط إلى جوارها جمعية «حق» بقيادة حسن مشيمع، وحركة «الوفاء» بقيادة عبدالوهاب حسين. والتيار الشيرازي يمثله كل من «جمعية الرسالة» التي اتخذت لها اسم «جمعية العمل الإسلامي» بعد أن كان اسمها «الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين».

استراتيجية أميركا في الفلوجة تعيد صب الزيت على النار

حسن الحسن

من داخل داعش يبحث في ما تسمى «البيئة الحاضنة»

كندة قنبر

❑ **واشنطن** – أصدرت لجنة التحقيق الدولية المعنية بسوريا بتاريخ 16 يونيو الحالي تقريراً بعنوان "جاؤوا ليُدَمِّروا: جرائم داعش ضد الإيزيديين". يعتبر التقرير أن داعش ارتكب إبادة جماعية ضد الإيزيديين. وقد جاء صدور التقرير بعد الهجوم المسلح على ناد ليلي للمثليين في مدينة أورلاندو في فلوريدا، ويعدّ الاكبر في تاريخ أميركا. منفذ هذا الهجوم كان مواطناً أميركياً يدعى عمر متين من أصول أفغانية، كشفت التحقيقات عن ارتباطه بتنظيم داعش، حيث سارعت حسابات على مواقع التواصل الاجتماعي محسوبة على التنظيم المتطرف بنشر صور للعملية ومنفذها متبنية الهجوم.

> المتعاطفون مع داعش ينقسمون إلى فئات عديدة، منهم الذين دخلوا هذا التنظيم بدافع ديني وإيمان بالفكر الداعشي والذي يعتقدون أنه الإسلام الحقيقي، ومنهم الشباب المغرر بهم، الذين يتم تجنيدهم عن طريق وسائل الإعلام الاجتماعي. وآخرون يؤمنون بالمشروع السياسي للتنظيم، رغم عدم اتفاقهم مع ايديولوجيته

هذا العمل الإرهابي ليس الأول على الأراضي الأميركية، بل هو الثاني بعد أحداث سان برناردينو في ديسمبر العام 2015، وكان منفذها أيضا مواطنا أميركيا هو سيد فاروق. وقد أسفر الهجوم الإرهابي عن مقتل 14 شخصا وإصابة 24. ومع دخول الحرب على تنظيم دولة الخلافة، والتي تقودها الولايات المتحدة الأميركية مع أكثر من دولة غربية وأوروبية، سنتها الثانية ، ترى واشنطن نفسها أمام تحد كبير في حربها ضد هذا التنظيم وهو خطر ازدياد التعاطف معه وانتشار أيديولوجيته في العالم.

فكر داعش

نشر مركز كارنيغي للشرق الأوسط هذا الشهر دراسة للباحث السوري حسن حسن حملت عنوان "طائفية تنظيم الدولة الاسلامية: الجذور الأيديولوجية والسياق السياسي" وضح فيها أصول أيديولوجية ما يدعى بالدولة الاسلامية. وبينت الدراسة أن أيديولوجية تنظيم داعش متعدّدة المستويات، ولا يمكن أن ترتبط بشخص أو حركة واحدة أو بحقبة معينة. وأنه إذا أردنا فهم هذا التنظيم، فيتوجب فهم أصول هذا الفكر وتعاليمه.وفي لقاء "العرب" مع حسن حسن الخبير المقيم في معهد التحرير لسياسات الشرق الأوسط في واشنطن، وأحد مؤلفي كتاب "داعش: داخل الجيش الإرهاب"، أشار حسن إلى أن جذور أيديولوجية تنظيم الدولة تستند إلى الحركة الوهابية والتي تعد مع السلفية الوارث الفكري لعالم الدين الإسلامي الذي عاش في القرن الثالث عشر تقي الدين بن تيمية. وكذلك المذهب الحنبلي، كما فسّره ابن عبدالوهاب وخلفاؤه والذي تميز بالتقليدية والحرفية الشديدة الرافضة للمفاهيم الخاصة بعلم الكلام مثل المقاصد (روح الشريعة)، والكلام (الفلسفة الإسلامية)؛ والصوفية (الروحانية الإسلامية)؛ والعلل (دراسة المقاصد الدينية في القرآن والحديث) والمجاز (الاستعارة). والتمسك بمفهوم مواجهة البدعة والذي يحرّم ابتداع ممارسات دينية لا يقرّها الدين، واعتبار الممارسات الصوفية والشيعية شركاً.

اعتمد تنظيم الدولة قانون الجزاء و الولاء والبراء والردّة الذي يرتبط بمفهوم "الولاء للإسلام" والتوحيد (وحدانية الله) والتي تعد أكبر مساهمة من الوهابية في أيديولوجية الدولة الإسلامية.

ويؤكد حسن في دراسته على أن النظر إلى التنظيم من زاوية الوهابية، هو تبسيط لفكره، لأنه لم يعتمد فقط على الوهابية، بل على السلفية الجهادية والصحوة الاسلامية والمفهوم الثوري للإسلام السياسي الذي نشأ وازدهر ما بين ستينات القرن الماضي وتسعيناته.

و اعتبر الكاتب أن فكر داعش جزء من المدارس الفكرية التكفيرية التي خرجت من بطانة تنظيم القاعدة. ولكن الفارق هو في رؤية داعش إلى قضية العدوّ. فداعش يعتبر أن ألدّ أعدائه وأعداء الإسلام هم من في الداخل (المسلمون الذين لا يتبعون النهج) وكذلك الشيعة.

ويُجادل التنظيم بأن التركيز على العدوّ البعيد (الغرب) وتجاهل العدو القريب غير مجد في نشره للدعوة وإقامة الخلافة. وأنه بإعلانً الحرب على أعداء الداخل سيتم استدراج العدو الخارجي أي الغرب إلى المنطقة. وهذا بالفعل ما حصل عندما أعلنت الولايات المتحدة الأميركية تشكيل التحالف الدولي ضد الدولة الإسلامية والمؤلف من ستين دولة في يونيو من العام 2014.

وسائل جلب التعاطف

تعد وسائل داعش في استقطاب العديد من المتعاطفين معه، وخاصة من فئة الشباب وعبر وسائل التواصل الاجتماعي ووسائل الإعلام الخاصة به، ناجحة حتى الآن. وقد استطاع هذا التنظيم الوصول إلى عدد كبير من المتعاطفين معه في جميع أنحاء العالم.

لكن من المهمّ فهم ما هي درجات التعاطف وأنواعه، ففي تجربة على واحدة من منصات الإعلام الاجتماعي (فيسبوك) لرصد ردود الأفعال حول ما يسمّى "التعاطف"، يقول حسن "قمنا بنشر انتقاد واضح حول ممارسة التنظيم الإرهابية في ما يتعلق بالاتّجار بالنّساء والعبودية، وكانت لغة الانتقاد قاسية، هاجمنا فيها ممارسات العنف التي تتّخذ من الفكر الإسلامي الجهادي غطاء. فكانت ردة الفعل قوية، ولكن متعددة المستويات. ورغم عدم معرفتنا أيّ شيء عن هويات المتفاعلين على الفيسبوك وأعمارهم ودرجات تحصيلهم العلمي، كونهم شخصيات وجدت في العالم الافتراضي، إلا أن هذه التجربة عرضت على خبراء نفسيين وإعلاميين يدرسون لغة الخطاب. فخرج التحليل النفسي يقول إن هناك حالة من اللاوعي في ردود الأفعال التي بدت غاضبة، متخذةً منحىً الدفاع الشخصي عن النفس. وتم تعليل ذلك بالشعور اللاإرادي بالفوقية، الحرمة للدين والمساس به، الاضطهاد والشعور بالمظلومية، وضعف الهوية الوطنية، وتكوّن هوية عقائدية وصعود خطاب العنف والعنف المضاد".

الاضطهاد والمظلومية

تربى المسلم على أنه متميز عن غيره بسبب دينه منطلقا من مفهوم الآية القرآنية "كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر"، وهذا الشعور بالتميز ليس غريباً عن الأديان الأخرى، فاليهود يعتبرون أنفسهم "شعب الله المختار". وقد اعتادت التربية الإسلامية بشكل عام، على عدم الخوض بالدين لأن الفرد غير مؤهل لذلك، معتمدين في هذا الطرح على الآية القرآنية " وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ". كل هذا في ظل ضعف الشعور بالانتماء والهوية الوطنية أو المواطنة واختلاطها مع هوية العقيدة والشعور بالاضطهاد والمظلومية، حيث أنه ومما لا شك فيه أن فئة كبيرة من المسلمين تتعرض لهجمة قوية من الأنظمة القمعية أو الغرب، وقد تولّد لديها الشعور بالمظلومية، وأخذها إلى منحىً آخر نتيجة الأسباب التي ذكرت أعلاه.

يلعب الخطاب الإعلامي العنيف لتنظيم داعش دوراً كبيراً في تجييش المتعاطفين معه، ولكن في المقابل يوجد خطاب إعلامي لا يقل عنفاً عن داعش، بمعنى أنه خطاب صبغ المسلمين بلون واحد، وقد تكون له آثار عكسية تخدم أهداف داعش.

هذا ما ينتقد به المرشح الجمهوري دونالد ترامب وخطابه الإعلامي الذي يعتبر نوعاً من "العنف المضاد" بحق المسلمين، والذي يحرّض، بحسب الخبراء، على التعاطف مع الجماعات الإرهابية، وهو ما يصنّف على أنه البيئة الحاضنة للإرهاب.

يعد تنظيم داعش من أقوى التنظيمات الإرهابية في العالم. وتعلل قوته ليس فقط بسبب قدراته العسكرية، ولكن إلى وضوح فكرته وأيديولوجيته، وعدم قبوله المساومة.

يقول حسن لـ"العرب" إنه وبحسب بحثه ومقابلاته مع أعضاء من التنظيم، فإن المتعاطفين مع داعش ينقسمون إلى ست فئات، ولكنه يركز على ثلاث منها. الفئة الأولى تتكون من الذين دخلوا هذا التنظيم بدافع ديني وإيمان بالفكر الإسلامي الداعشي والذين يعتقدون أنه الاسلام الحقيقي، أي زمن الخلفاء الراشدين. وتتألف الفئة الأولى من الجماعات الجهادية التكفيرية والتي آمنت بهذا الفكر منذ زمن طويل وتستند إلى عقيدة واضحة تؤمن بالولاء و البراء. هذه العقيدة هي عبارة عن مزيج بين الوهابية والسلفية الجهادية والصحوة الإسلامية.

الفئة الثانية هي من الشباب المغرّر بهم الذين يتم تجنيدهم عن طريق وسائل الإعلام الاجتماعي وغيرها. يخضع هؤلاء الشاب إلى دورة تدريبة في معسكرات خاصة لمدة أربعين يوماً أو أكثر، يقومون فيها بدراسة المنهج الفكري وتعاليم الدين والمنهج السياسي لهذا التنظيم، بالإضافة إلى التعاليم الأمنية والقتالية.

ويقول حسن حسن إن من الكتب التي يستخدمها داعش في غسل الأدمغة هو كتاب "الجامع في طلب العلم الشريف" للإمام الشريف واسمه الحقيقي عبدالقادر بن عبدالعزيز. والكتاب الثاني هو كتاب "إدارة التوحش" للكاتب أبو بكر ناجي. ويعتبر كتاب "إدارة التوحش" كتاباً غير ديني ولكنه يبرر استعمال هذا التنظيم للعنف المفرط وذلك في سبيل تحقيق الخلافة، ويفصل الدين وعبادته عن واجب الجهاد. ويوضح أن الإسلام هو دين تسامح، ولكن في ما يتعلق بواجب الجهاد فهو أمر مختلف ويجب أن يكون عنيفاً من أجل الردع.

أما الفئة الثالثة فهي الفئة التي تؤمن بالمشروع السياسي الخاص بتنظيم الدولة. هذه الفئة مهمة ولا يستهان بها، وهي التي تعطي المنطق لخطاب داعش، وتتميز هذه الفئة بأنها واسعة. ورغم أنها لا تتفق مع أيديولوجية داعش، ولكن ترى فيه القوة والقدرة على الوقوف أمام النظام السياسي العالمي في المنطقة، والقادرة على تنفيذ حلم الخلافة. وتبرّر هذا الفئة العنف الذي يعدّ فكرا واستراتيجية وأداة ضرورية للتوسع، وتضرب أمثلة من التاريخ، كالدولة العباسية وارتكابها جرائم بحق الأمويين.

دور بريمر في العراق

يستند خطاب داعش إلى منطق مظلومية السنة التي تعد الفئة المستهدفة التي يقول تنظيم داعش إنه جاء لنصرتها. ورغم أن استراتيجية داعش طويلة، إلا أنها واضحة، تبرر العنف ليكون أداة رادعة وجامعة لكل التيارات الإسلامية من أجل الدخول تحت لوائها. ويرى حسن أن تنظيم داعش لا يحتاج إلى أعداد كبيرة تنضم إليه، ويمكن النظر لهذا التنظيم على أساس أنه "علامة" بالمفهوم التجاري، لها روادها الخاصون مهما غلا ثمنها. وسلّط كتاب "داعش: من داخل جيش الرعب" لحسن حسن بالتعاون مع الباحث الأميركي مايكل ويس، الذي صدر في العام 2015 الضوء على بنية تنظيم داعش العسكرية، والتي تضم جيشاً من المتطوعين. ويعتبر هذا الكتاب مهمًا للغاية، بسبب ضمه شهادات من أعضاء التنظيم نفسه، بالإضافة إلى مسؤولين أميركيين عملوا في العراق وخبراء مختصين بدراسة داعش. أوضح الكتاب مدى كره داعش لكل من هو من "غير السنة"، وكذلك إصراره على وجوب مقاتلة الشيعة وإشعال حرب طائفية.

يبين الكتاب أيضا كيف أن النظام السوري وإيران قاما بدعم أبي مصعب الزرقاوي وكيف أن النظام السوري عقد عددا من الصفقات لشراء النفط من جبهة النصرة وتنظيم داعش الذي يحتل مساحات كبيرة في السلة الغذائية السورية (الرقة، دير الزور والحسكة). وأشار الكتاب إلى أن تنظيم القاعدة وداعش قد ظهرا بسبب السياسات الطائفية التي اتبعها نظام صدام حسين والذي لم يكن نظاماً بعثياً وحسب بل طائفياً أيضاً، وكيف عمل صدام حسين على نشر التعاليم السلفية في جيشه السني ليكون أكثر ولاءً له، ولكن النتيجة جاءت عكس ذلك وأصبح الجنود أكثر ولاء للسلفية من صدام نفسه. وكيف أن سياسة واشنطن وبول بريمر لعبت دوراً في نشأة هذا التنظيم، وخاصة بعد تفكيك الجيش العراقي وطرد الكثير من الجنود من عملهم والتحاقهم بالقاعدة من أجل العيش وكسب المال.

ماذا تفعل أميركا

يستغل داعش المشهد السياسي العام في منطقة الشرق الأوسط، ولكي تنجح السياسة الأميركية في محاربة هذا التنظيم، يجب عليها تغيير سياستها وخطابها الإعلامي. ومن وجهة نظر حسن، فإنه على واشنطن استبدال خطابها حول داعش، والقول صراحة إنه ليس ممثلاً للإسلام السني كله، بل العكس، فألدّ أعدائه هم السنة. وعلى واشنطن الاستفادة من تجربتها في العراق في ما بين فترة 2006 و2007، حيث توجه الأميركيون إلى العمل مع الثوار السنة، الذين قاوموا احتلالهم نفسه ومن الفئة التي تكتس ثقة السكان المحليين.

بالعودة إلى تلك الفترة، نرى أن واشنطن لم تلجأ إلى مشايخ القبائل، بل توجهت إلى الثوار المقاومين من السكان المحليين، وعقدت نوعاً من الشراكة معهم، حيث استطاعوا خلال فترة وجيزة أضعاف تنظيم القاعدة آنذاك. ويؤكد حسن أن استراتيجية واشنطن غير ناجحة، وأن عليها أن تعي أنه لا تمكن مقاتلة داعش عن طريق تجنيد الحشد الشعبي الشيعي أو القوات الكردية فحسب، ولكن عليها خلق شريك سني في حربها هذه. ويعلل فشل استراتيجية واشنطن في مواجهة التنظيم باستخدامها الحشد الشعبي، وهي ميليشيات مدعومة من طهران وترفع شعارات طائفية في معركتها الأخيرة في الفلوجة، هذه المدينة السنية الرمزية في مقاومتها للاحتلال الأميركي للعراق. حيث استغلت داعش في خطابها الإعلامي التجنيدي وأثبتت لمتعاطفيها أن هناك صيرورة تاريخية بمعنى "ما أشبه الليلة بالبارحة" في كيفية عودة إيران وأميركا إلى منطقة الفلوجة لاحتلالها، لتكون جزءًا من الحرب السنية-الشيعية على المنطقة. وبهذا تخسر أميركا حربها في مواجهة داعش وبذلك يتزايد التعاطف المباشر وغير المباشر معها.

الطريق لإضعاف هذا التنظيم هو عن طريق دعم الثوار في المناطق التي يسيطر عليها داعش وهي برأي حسن القوات الوحيدة التي تستطيع مقاتلة تنظيم داعش وضربه استراتيجياً في سوريا على سبيل المثال. إن نظام الأسد غير قادر على القضاء على هذا التنظيم، لذلك يتوجب الاستثمار في الثوار الذين قاتلوا ضد نظام الأسد والذين يتمتعون بثقة مجتمعاتهم المحلية، ولديهم الشرعية والقدرة على التواصل مع بيئتهم، لما يمتلكونه من قدرة على الإقناع تفقد داعش مصداقيتها، وهي ميزات تمكّن هؤلاء من حكم مناطقهم.

● فكر داعش جزء من المدارس الفكرية التكفيرية التي خرجت من بطانة تنظيم القاعدة. ولكن الفارق هو في رؤية داعش إلى قضية العدو. فداعش يعتبر أن ألد أعدائه وأعداء الإسلام هم من في الداخل (المسلمون السنة الذين لا يتبعون النهج) وكذلك الشيعة وأبناء الطوائف المختلفة.

عالم تلفزيوني يقدم المسرح ويحتفي بنجيب محفوظ في رمضان 2016

أفراح القبة

المسلسل الذي يعيد للدراما المصرية رونقها

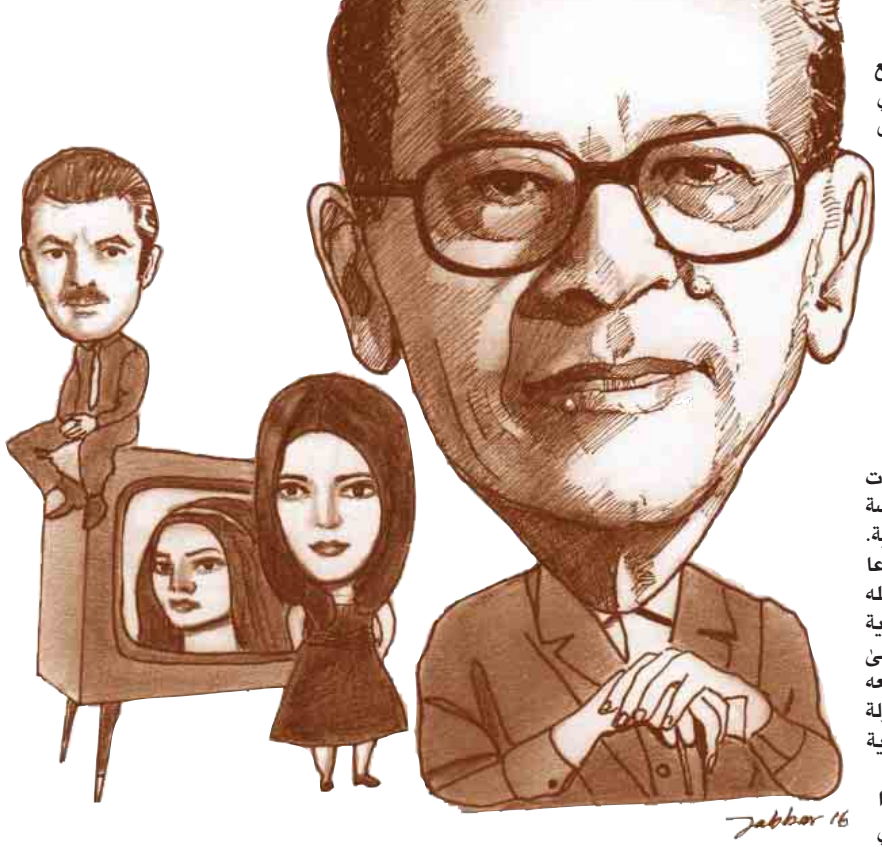

فادي بعاج

❑ **عمّان** – تمكن فريق عمل المسلسل المصري "أفراح القبة" المأخوذ عن رواية الراحل نجيب محفوظ، من حصد نجاح باهر، والاستحواذ على انتباه عدد كبير من الجمهور العربي منذ حلقاته الأولى في شهر رمضان المبارك الجاري. كما استطاع الابتعاد عن السباق الدرامي الرمضاني، والتفرد بمكانة متميزة عند المشاهد العربي. هو عمل ممزوج بفنون عدة، من المسرح إلى الدراما التلفزيونية، بإحساس سينمائي يشعرك بأنك داخل رواية وخيالك هو الذي يصور الشخصيات الحقيقية.

كل حلقة من حلقات "أفراح القبة" بمثابة عرض تشويقي لما ينتظرنا في الحلقات اللاحقة. فكتّاب السيناريو يرمون لنا شظايا من الحكاية تتكشف شيئا فشيئا، بإيقاع محكم ومدروس، وأداء مذهل من نجوم العمل؛ جمال سليمان وإياد نصار ومنى زكي وصبا مبارك وسوسن بدر وصبري فواز وصابرين ورانيا يوسف.

> ظاهرة لافتة للنظر يمثلها إقبال القراء من جديد على المكتبات لشراء رواية «أفراح القبة»، حيث أعلنت مكتبة الشروق في القاهرة منذ أيام، أن الرواية من ضمن أكثر 20 عملا مبيعا في هذه الفترة

مع هؤلاء جميعاً الشاب محمد الشرنوبي الذي يرسّخ خطواته على درب النجومية ويحفر له مكانا في الصدارة رغم حداثة تجربته الفنية، وهو مطرب بجانب كونه ممثلاً، يستغل هذه الموهبة في مشهد جميل عندما يصدح بمقطع من أغنية "الهوى غلاب" ليعزف على وتر جراح تحية، التي تشعر بالخذلان من طارق، ليهرب بعيداً عن مشاعره تجاهها.

مسرح سرحان الهلالي

في الحلقة الأولى من المسلسل، تتجول الكاميرا بين جنبات المسرح. لنتعرف على عالمه وأبطاله، ولتبدأ جلسة استماع بقيادة مدير المسرح سرحان الهلالي لمسرحية جديدة كتبها مؤلف شاب. سرعان ما يصيب الوجوم الأبطال، حينما يكتشفون أن المسرحية الجديدة ما هي إلا قصة حياتهم الحقيقية، تحكي حياتهم وفضائحهم وانكساراتهم.

في الرواية المطبوعة يقول نجيب محفوظ، على لسان أحد أبطاله "ما هي بمسرحية، إنها اعتراف، هي الحقيقة، نحن أشخاصها الحقيقيون"، بينما يقول على لسان أخرى واصفا مؤلف المسرحية إنه "مجرم لا مؤلف"، ورغم أن أبطال المسرحية يرفضون الواحد تلو الآخر التمثيل في هذه المسرحية الحقيقية، فإن مدير المسرح يصرّ على إخراجها مهما كلفه الأمر كنوع من التطهر.

أعد الرواية للاقتباس الكاتب محمد أمين راضي، مجرياً عملية تحويل النص الأدبي إلى نص درامي. لكنه اختلف بعد كتابته حول نصف الحلقات مع الشركة المنتجة والمخرج محمد ياسين، فقرر الانسحاب، وقد أكملت بعد ذلك الكاتبة نشوى زايد، رحلة تحويل الرواية التي تدور في أقل من مئتي صفحة، إلى مسلسل درامي في 30 حلقة، وهذا التحويل والاختصار هو التحدي الأهم، والذي سيظهر كفاءة المقتبسين.

إعادة السرد من وجهات نظر متعددة، هو الخط الأساسي الذي يلتقطه المسلسل، كما ظهر من حلقاته الخمس الأولى، ففي أول ثلاث حلقات، جرت الأحداث بإيقاع سريع ومشدود جدا، متماشية مع فكرة الرواية و المزيد من الغموض وتعقيد الشخصيات والتاريخ المضطرب الذي يعرض أمامنا، تحديداً في علاقة تحية عبده بالرجل الممثل طارق رمضان.

دراما طازجة

يقدم "أفراح القبة" دروسا في الكتابة الدرامية الطازجة، مع حرفة إخراجية وتمثيلية واضحة، قوامها النص والإضاءة والممثل والصراع بين الشخصيات الذي يقود الجميع الى مكان يولد من أجله الفعل الدرامي، حيث ينمو بدل أن تراوح هذه الشخصيات في أمكنتها، ويظل الصراع أحاديا وفي منحى واحد يغلق على العمل ويسقطه بالضربة القاضية.

يشهد العمل حالة فريدة من التألق الجماعي لأبطاله، وتشعر في كل مشهد بعشق كل نجم أو نجمة للدور لدرجة التقمص، فأداء نجوم "أفراح القبة" أشبه بعزف سيمفوني لا تتخلله نغمة نشاز واحدة، وسيبقى كل دور عالقا لسنوات طويلة في ذاكرة الجمهور.

القدرة على الإدهاش

على صعيد الإخراج يبدو أن قدرة محمد ياسين على إدهاش المشاهد تزداد مع كل عمل جديد يقدمه. وتزداد حركة كاميرته رشاقة وأناقة، كما تفيض كادراته حساسية وتلتحم صورته بحميمية لافتة مع وجوه شخوصه، دون إغفال تفاصيل المشهد بكل مكمّلاته من أزياء وإكسسوار وديكور، وموسيقى تصويرية يضيف فيها هشام نزيه نجاحا جديدا في مسيرة تميزه.

في "أفراح القبة" يضع المخرج محمد ياسين شخصيات مسلسله أمام تحدّ من نوع خاص، يتجلّى في إعادة لعب حياتهم على المسرح، لا الاكتفاء بمراقبتها، والشرور تنمو حولها، كأن العبور من هذا الباب ضروري لإعادة اكتشاف العالم. وهو إذ يفعل ذلك، إنما يترك لمالك الفريق المسرحي سرحان الهلالي أن يتحكم بمصائرهم في هذه اللعبة التي يتداخل فيها الخيال مع الواقع، بحيث لا يعود ممكنا التمييز بينهما، أيهما ينتمي إلى الخيال، وأيهما إلى الواقع، طالما أن الرغبة عند مؤلف المسرحية في العمل الانتصار لرؤيته في الفن مهما قامت وظيفته على قراءة كل بواعث الشر المحيط به.

هو هنا يغوص عميقا في ماضي أبويه، والماضي المحيط بالشخصيات نفسها التي ستؤدي العمل على خشبة المسرح، وإذ يغرق الجميع في "أفراح القبة"، ويبدو عليهم ممنوعا الخروج منها لأن ما يريده المخرج المسرحي من إكمال البروفات والعرض إنما لتضييق تلك الهوة بين الواقع الذي يعيشه هؤلاء المهزومين، وبين الخيال الذي يبدو حلاً سحريا للمأساة التي يعيشها المجتمع الذي ينتمون إليه، فمن ماضيه العائلي السيء ينطلق المؤلف المسرحي عباس كرم يونس في العمل لإعادة كتابة تاريخ هذه الشخصيات الملوّثة والمهزومة، وهو يعرض عليها تاريخها للتطهر من آثام الهزائم النفسية والاجتماعية التي تعيشها وسط خذلان إضافي تشكله السلطة التي تتحكم بمصائرها وتعيد رسم الطريق التي ينبغي المرور منها لتشكيل هذا التطهر.

المشاهد المشارك

تعدّ رواية "أفراح القبة" من الروايات الصوتية ذات الأبعاد والمدلولات الخاصة التي تعتمد على حكاية صوت الشخصية. وهي تتحدث بلغة المخاطب مثيرة بذلك نوعا من الجدل يأخذ بناصية الحديث، ويجعله يتنامى ويتصاعد من خلال موقف الشخصية شيئا فشيئا، والذي يصرّح بخيوطه الأولى بحذر شديد مما يجعل المتلقي يشارك معه في الإمساك بخيوط هذا الحدث، ومحاولة معايشته من خلال ممارسة الشخصية لطبيعتها على خريطة الواقع.

وتعتبر صياغة الشخصية في مثل هذا النوع من الروايات، المحكّ الأساسي في نجاح العمل، وفي إبراز الدال والمدلول اللذين يسير وراءهما الكاتب، وفي تحديد أبعاد الخط الرئيسي المكونّ لصلب الحدث.

وكان نجيب محفوظ قد أوضح في أحد لقاءاته الصحافية عن سبب احتفائه بهذا النوع من الروايات والذى ظهر واضحا في العديد من أعماله بالقول "تعلقي برواية الشخصيات، يرجع ذلك إلى الفسحة الرحيبة التي تتيحها لي عملية التجديد والتكرار في إعادة صياغة شخصيات جديدة، ويمكنها أن تحمل صيغا ومدلولات وقيما تقعد الشخصية الواحدة عن الإحاطة بها، بل يستحيل أن تتجمع هذه الصياغة في ذات إنسانية واحدة نظرا لتضادها وتنافرها".

لم تحوّل أعمال فنية لكاتب روائي، مثلما حدث مع الأديب العالمي وصاحب نوبل نجيب محفوظ، حيث يجد المؤلفون في أدبه أرضا خصبه لتقديم أعمال سينمائية ودرامية، لما يتمتع به أدب محفوظ من واقعية وبناء درامي وقوالب أدبية تشبه إلى حد كبير العمل الفني، من بداية ووسط ونهاية.

ورغم أن السينما نالت قدرا أكبر من التلفزيون في تحويل أدب نجيب محفوظ، وكان له نصيب الأسد من الأدب التلفزيوني، حيث قدم محسن زايد الثلاثية وقد بدأها عام 1987، وكانت بطولة محمود مرسى وهدى سلطان وصلاح السعدني ومعالى زايد وكمال أبو ريّة وأخرجها يوسف مرزوق، كما عالج محسن زايد أيضا رواية "الحرافيش" لمسلسل "السيرة العاشورية" بطولة نور الشريف في مطلع الألفية الثالثة وشارك نور الشريف البطولة إلهام شاهين وماجدة زكى وأحمد بدير، كما قدمت المخرجة علوية زكى رواية "قشتمر" لمسلسل بنفس الاسم عام 1994، ولعب البطولة كل من عبدالعزيز مخيون ومدحت صالح ومحمود الجندي وسوسن بدر وسمية الألفي، وفي عام 1998 قدم المؤلف محمد أبو العلا السلاموني رواية "اللص والكلاب" في صياغة تلفزيونية جديدة، لعب بطولتها رياض الخولي وبهاء ثروت ورانيا فريد شوقي وعبلة كامل، ورغم أن تلك الأعمال لاقت نجاحات كبيرة، فإن النجاح الأكبر والمستمر كان لمسلسل "حديث الصباح والمساء" الذي قدمه محسن زايد وأحمد صقر في قالب اجتماعي خاص جدا، ولا يمر موسم درامي إلا ونجد بعض القنوات التلفزيونية تعرضه، ولعب بطولته كمّ كبير من الأبطال على رأسهم ليلى علوي وخالد النبوي وإبراهيم يسري ومجدي كامل وغيرهم.

شهد مسلسل "أفراح القبة" إشادة كبيرة من رواد مواقع التواصل الاجتماعي، حيث أعرب الغالبية عن إعجابهم بالمسلسل واختيار النجوم وأدائهم لأدوارهم، فضلا عن الكتابة والإخراج.

العودة لشراء الكتاب

في ظاهرة لافتة للنظر تهافت القراء من جديد على المكتبات لشراء رواية "أفراح القبة"، حيث أعلنت مكتبة الشروق في القاهرة منذ أيام، أن الرواية من ضمن أكثر 20 عملا مبيعا في هذه الفترة.

"أفراح القبة" استطاع تحقيق المعادلة الصعبة في شهر رمضان المبارك الذي يعتبر الموسم الدرامي العربي الوحيد، فإلى جانب تحقيق نسبة مشاهدة عالية على القنوات التي يعرض عليها، نجح كذلك في حصد إعجاب النقاد الذين أشادوا به، معتبرين أنه "دراما مختلفة عن السائد"، وهو ما جعل منه الحصان الأسود لدراما هذا العام.

واعتبر نقاد ومخرجون أن سرّ نجاح المسلسل هو احترم عقل ووجدان المشاهد العربي، لما به من مقومات وعناصر تساهم في أن يحتل المرتبة الأولى. ومن بين النقاد الذين أشادوا بالعمل المخرج علي بدر خان، حيث اعتبر أن مسلسل "أفراح القبة" يعد لونا مختلفا عما تعود عليه المشاهد في متابعه الأعمال الدرامية، وهو ما يميزه عن غيره من المسلسلات، ورأى بدر خان أنه لو عرض العمل خارج السباق الرمضاني كان سيكون أفضل له، وهو ما يتيح للجمهور المشاهد متابعته بهدوء وتركيز أكثر.

من جانبه قال المخرج محمد فاضل إنه كان يتوقع نجاح مسلسل "أفراح القبة" قبل عرضه على الشاشة خلال شهر رمضان الحالي لأنه نص أدبي لروائي كبير مثل العالمي نجيب محفوظ، وأيضا لمخرج كبير ومتميز مثل محمد ياسين، يتمتع بقدرة ووعي فني، فهو يعلم ماذا يريد، وبالإضافة إلى وجود كوكبة كبيرة من الممثلين المتميزين.

والعمل من وجهة نظر الناقدة المصرية خيرية البشلاوي يقدم أجواء غير مستهلكة بالنسبة إلى المشاهد، فهو يحترم عقل ووجدان المتفرج، واحترامه لفكرة الدراما نفسها، فالعمل ليس به عنف أو ابتذال كما هو الحال في أغلب الأعمال الدرامية التي يتم عرضها.

أما الناقد السينمائي طارق الشناوي فقال عبر حسابه الشخصي على موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك إن مسلسل "أفراح القبة" يعدّ من أفضل المسلسلات التي نشاهدها حتى الآن، لأنه خرج على الشكل التقليدي والمتعارف عليه في الدراما، فهو حالة مغايرة وصادقة.

> نجيب محفوظ يقول في الرواية المطبوعة، على لسان أحد أبطاله «ما هي بمسرحية. إنها اعتراف، هي الحقيقة. نحن أشخاصها الحقيقيون»، بينما يقول على لسان بطلتها واصفا المؤلف بأنه «مجرم لا مؤلف»

أما الناقدة ماجدة موريس فقد قالت إنها تعتبر مسلسل "أفراح القبة" عودة للأعمال الأدبية على الشاشة وهو الطريق الصحيح بالنسبة إلى الدراما، لضرورة تقديم الأدب المصري للجمهور، وبالتالي تتسع قاعدة القراء، مع الحفاظ على الهوية الثقافية.

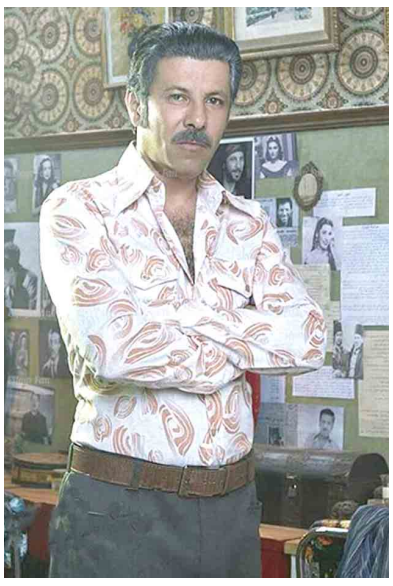
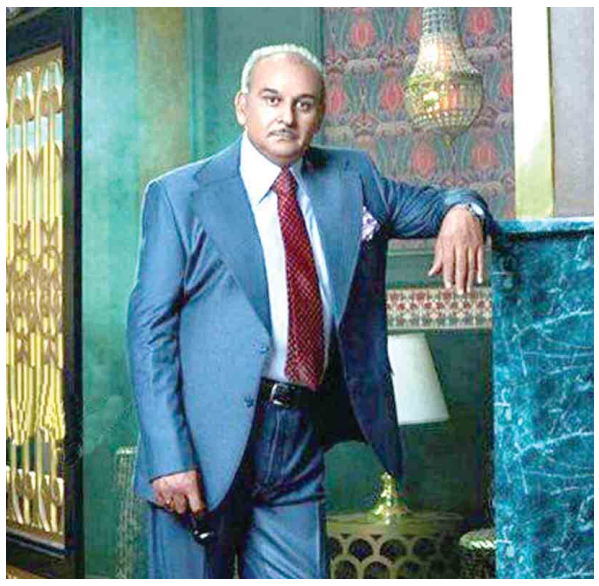

● أبطال المسرحية يرفضون الواحد تلو الآخر التمثيل في هذه المسرحية الحقيقية، لكن مدير المسرح يصر على إخراجها مهما كلفه الأمر كنوع من التطهر

بيروته لا تزال تسحر الناظرين

عمر الأنسي
الانطباعي الذي انتقل من الصحراء إلى بحر لبنان

فاروق يوسف

لندن – "سواك خُلق ليكون طبيبا. أنت خُلقت لتكون رساما"، جملة قالها له الفنان خليل صليبي حين رأى رسومه الأولى أحدثت انقلابا في حياته. بعد سنة واحدة من دراسة الطب جاءت تلك الجملة لتوقظ في أعماقه حساسية جده الذي كان شاعرا ولتغلق الباب أمام حلم أبيه الذي كان طبيبا.

انصرف حينها عمر الأنسي إلى الرسم تاركا الطب لسواه.

كان صليبي محقا. بسبب نصيحته أضيف اسم لامع إلى جيل الفنانين الرواد، مصطفى فروخ، جورج القرم، صليبا الدويهي، قيصر الجميل ورشيد وهبي. وهو جيل أرسى قواعد الرسم في لبنان وفتح الأبواب أمام الأساليب الفنية التي كانت سائدة في أوروبا، فكان بمثابة المؤسس والفاتح في الوقت نفسه.

الرسام الذاهب إلى صحرائه

إذا ما كان معظم أفراد ذلك الجيل قد انهمكوا في رسم الطبيعة التي يولد اللبنانيون على إيقاع الشغف بها فإن فرصة لم تتح للآخرين مكنت الأنسي من رسام الصحراء الوحيد. وهي صفة ربما لم يكتسبها رسام عربي آخر.

> معظم أفراد جيله انهمكوا في رسم الطبيعة التي يولد اللبنانيون على إيقاع الشغف بها، لكن فرصة لم تتح للآخرين مكنت الأنسي من رسام الصحراء الوحيد. وهي صفة ربما لم يكتسبها رسام عربي آخر

الأنسي الذي تعرف على الصحراء في سن مبكرة من حياته قدر له أن يترك إرثا تصويريا نادرا، يوثق من خلاله لحظات جمال نادرة، ستحتفظ دائما بنضارتها الفنية وقوة حضورها التاريخي بسبب أن أحدا من الرسامين العرب لم يقتف أثر الأنسي.

غير أن مؤرخي الرسم في العالم العربي سيذكرون له مأثرة أخرى. فبعد أن رسم الصحراء بغزلانها وبدوياتها وفرسانها حفز وجوده رساما في بلد حديث التأسيس هو الأردن الحاجة إلى أن يكون هناك رسامون أردنيون. لذلك يُشار إليه باعتباره سببا رئيسا لبدء المغامرة الفنية في الأردن إن لم يكن داعيتها الأول.

يقول أمين الريحاني في وصف واحدة من روائع الأنسي "في لوحة الأنسي للحديقة أمام بيته، فن وفتنة معا، تتجلى فيها المحاسن الثلاث، المتانة والتنميق والخيال. وتمزج ريشته ألوان البادية الغبراء بذوبان أصفر ولجين من معدن الهجيرة والفجر وتشربها وفرا من النور"، وقد كتب الريحاني ذلك عام 1940 يوم لم يكن الأنسي قد تجاوز الأربعين من عمره.

الانطباعي الذي ارتقى بالواقع

ولد عمر عبدالرحمن عمر الأنسي عام 1901 في تلة الخياط ببيروت. عام 1918 بدأ دراسة الطب في الجامعة الأميركية غير أن نبوغه في الرسم جعله لا يتردد في العزوف عن الطب ليتفرغ للفن. سافر عام 1922 إلى عمّان لتعليم الملك طلال (جد العاهل الأردني عبدالله الثاني) اللغة الإنكليزية، لتمتد إقامته هناك خمس سنوات، قضاها وهو يرسم عالم الصحراء بكل ما يتضمنه ذلك العالم من مشاهد ساحرة وهبته القدرة على تمييز الأشكال والألوان التي لا تُرى بيسر.

أقام أول معرض فردي له وكان بعنوان "في القدس" عام 1927. لوحات ذلك المعرض هي حصيلة ما أنجزه في سنوات رحلته الأردنية. في العام التالي سافر الأنسي إلى باريس ليدرس الرسم في أكاديمية جوليان وهناك التقى بالنحات اللبناني يوسف الحويك رفيق صبا جبران خليل جبران وزميله في دراسة الفن بباريس. كان الأنسي محظوظا بلقائه الحويك الذي وهبه بعض المفاتيح الفنية لعاصمة النور، حيث كانت المدرسة الانطباعية هي سيدة العروض من غير منازع. وبمساعدة من الحويك أقام الأنسي معرضا لرسومه في باريس.

عام 1930 عاد الأنسي إلى بيته العائلي في تلة الخياط وصار يقضي وقته في رسم المشاهد الطبيعية مقتفيا أثر رسّامي الانطباعية الفرنسية الذين تأثر بهم. فكانت لوحاته التي صور من خلالها عين المريسة وشاطئ الأوزاعي وأحياء من بيروت بأزقتها الضيقة وبيوتها العتيقة تجسد طريقته في التسامي بالنظر الواقعي تماهيا مع شفافية العاطفة، وبالأخص أنه غالبا ما كان يلجأ إلى الرسم بتقنية الأصباغ المائية، وهي تقنية لا تقبل الخطأ أو الإعادة.

تزوج عمر مرتين. الأولى حبيبته التي التحقت به إلى بيروت عام 1933 لتفارق الحياة بعد سنتين، والثانية وقد كانت فرنسية هي الأخرى التقاها في افتتاح معرضه الشخصي عام 1938. عبّرت يومها عن إعجابها بفنه واقتنت إحدى لوحاته، من غير أن تدفع ثمنها (25 ليرة لبنانية) فاتفقا على أن يكون التسديد بالتقسيط. بعد سنة من ذلك اللقاء تزوجا ليعيشا معا حتى وفاته عام 1969. كان معرضه الذي أقامه عام 1964 في غاليري "ون" الذي أنشأه الشاعر يوسف الخال وزوجته الرسامة هيلين هو تحية وداع ووصية استثنائية، من جهة ما انطوى عليه من خلاصات فنية.

هل يمكن القول إن بيروت عمر الأنسي قد ألهمت الفنان أمين الباشا بيروته؟ الباشا في تجربته الفنية هو الفنان اللبناني الأكثر قربا من تجربة عمر الأنسي. تجمع بين الاثنين عاطفة تشدهما إلى بيروت، المدينة التي لا تزال مقيمة وراء حجب جمالها الخفيّ. وقد تكون تجربة استعمال تقنية الأصباغ المائية واحدة من أهم تلك الحجب التي حاول الرسامان اختراقها وصولا إلى أسباب الدهشة، منفعلين بنتائج عملهما الباهر.

يقول الباشا عن الأنسي "لنجرّب للمرة الأخيرة الماء والزهور والصخور، المرآة، الرجل، الطير، الغزال، التفاحة، الدار، الحديقة، الساقية، النبع، البحر، الشاطئ، الجبل، الأزرق، الأصفر، الأخضر، البني، الأصفر، الليلكي، الحب، البغض، السلم، الحرب، الشرق، الغرب، الأمل، اليأس، الحب، الحب، الحب.... عمر الأنسي".

عمر الأنسي بالنسبة إلى الباشا، وهو رسام بيروت من غير منافس، هو مفرداته المطلقة التي استطاع أن يجد لها ما يناسبها من رموز موضوعية في مدينته. لقد صنع الأنسي بالحب، وهي المفردة التي كررها الباشا ثلاث مرات، مدينته، أعاد خلقها بما يليق بها، ملهمة حكايات عن الجمال لا تنتهي. تلك المتاهة السرية التي مشى الباشا بين دروبها ورسم رسومه من أجل أن يتماهى مع لحظات سطوع نجمها وكتب كتبه من أجل أن نتعلم الجلوس مهذبين على أحجارها كانت من صنع عمر الأنسي. متاهة الأنسي لا تزال تغري الرسامين اللبنانيين في اقتفاء أثره.

رسام الرقة

كان عمر الأنسي واحدا من أكثر رسامي الرقة. لم تتميز رسومه بصخب لوني، بل كانت قريبة من التقشف وإن لم تعتمده نهجا. ربما حدث ذلك بسبب الإخلاص لما تقترحه الطبيعة من تحول في الانطباع. وكان الأنسي انطباعيا بضراوة. وهو ما جعله حريصا على الاهتمام بما يقع على السطح التصويري بقدر اهتمامه بما يراه من مشاهد. فبقدر ما كانت تفاصيل المشهد تشده إليها بقدر ما كان يحرص على أن يكون كل سنتيمتر من سطح اللوحة مكتفيا بقوته في الإيحاء اللوني. كل لوحة منه كانت مجموعة من الألغاز اللونية. وهو ما دفع بالبعض من نقاد الفن إلى النظر إلى أجزاء من لوحاته باعتبارها تجارب في التجريد.

لن يكون عمر الأنسي تجريديا مثل زميله صليبا الدويهي الذي انفصل عن مصادر إلهامه البصرية المحلية بسبب مكوثه الطويل في نيويورك. كان الأنسي حريصا على أن يكون ابنا وفيا لبيروت، من خلال وفائه للأسلوب الانطباعي الذي تعرّف عليه في باريس ووجد فيه ضالته. ربما لهذا السبب سحرت ألغازه اللونية أولئك النقاد الذين صاروا يرون فيه واحدا من مصادر التجريدية في لبنان مثلما يتم النظر في فرنسا إلى سلفه الانطباعي كلود مونيه.

انطباع عمر الأنسي كان واحدة من أكثر لحظات الرسم في العالم العربي رقة وشفافية.

العرب الثقافي
كتب | مسرح | سينما | تشكيل

الحداثة السعودية

من حفلة الصحوة إلى اللامنتمي

زكي الصدير
كاتب من السعودية

❏ سأعود بذاكرتي لعام 1992، حين كان حسان عطوان يقدّم برنامجاً في إذاعة قطر مساء كل أحد تحت عنوان "شاعر ينشد"، استضاف فيه نخبة من الشعراء العرب، أمثال: محمد الماغوط وأدونيس ويوسف الصايغ وعلي الجندي ومحمود درويش ونزار قباني والمنصفيين؛ المزغني والوهايبي وآخرين، ربما لا تسعفني الذاكرة لعدّ جميع أسمائهم. لكنها ستسعفني بالتأكيد في كوني لم أكن ممتناً إلا لهؤلاء القادمين عبر الأثير. حيث كانت الفضائيات لم تولد بعد، والدواوين الشعرية والكتب الفكرية شحيحة جداً. ولم تكن متاحة إلا عبر مكتبات شخصية قليلة للغاية، أو عبر مكتبات صغيرة عامة أكثر ندرة. وعليه، أعتقد أنه سيكون من الإجحاف إعطاء الفضل لمن لا يستحقه، كأن يدّعي البعض بأنه يدين لمثقفي الحداثة في السعودية بالفضل في تشكّل وعيه الثقافي الأول. فهذا الادّعاء لن يصمد أمام التاريخ، وهو مجرد مجاملة مضحكة لجيل ديناصوري سبقنا في الزمن لكنه موازٍ لنا في موارد ثقافته وتجربته.

بداية تسعينات القرن العشرين، كانت المرحلة التي تشكّل فيها وعينا الشعري والثقافي والسياسي حيال ما يدور في العالم، وأتكلم هنا عن جيلي، المولودين في بداية ومنتصف السبعينات الميلادية من القرن الماضي، حيث التغيرات العربية اليسارية البارزة التي استبدلت كراسي العثمانيين والمستعمرين بكراسٍ دكتاتورية أكثر دموية عرّاها الربيع العربي لاحقاً. وحيث بداية تشكّل التحالفات العربية العربية إبّان الحرب العراقية الإيرانية التي ما إن اندلعت سنة 1980 حتى انتهت في ثماني سنوات سريعة عجاف. كنا فيها أطفالاً نعيش صراعنا الصغير بين مَنْ كان يرفع صور الخميني في بيته سراً، وبين مَنْ كان يرفع صور صدام حسين علناً. انتهت الحرب، وغزا العراق الكويت، فتوارت صورة صدام للجدران السرية، بينما تقدّمت صورة الخميني للواجهة العلنية. وبقيت الشعارات الثورية حبيسة المواقف المتغيّرة السريعة. فبعد أن كان صدام شرطي الخليج وحارس البوابة الشرقية أصبح بين عشية وضحاها الطاغية والمستعمر، وبعد أن كان الخميني رافضياً مجوسياً صار عالماً ربانياً ومسلماً صديقاً.

هذا الصراع العربي العربي والعربي الإيراني بكل ما فيه من تناقضات وتقلبات سريعة ومربكة لم يبعد عيوننا الصغيرة عن فلسطين المحتلة. فقد كانت قناعتنا بأن هذه القضية هي قضيتنا الوجودية الحقيقية، وإنّ كل ما سواها مجرد زبد سرعان ما سيأخذه البحر. لهذا كانت حركة الحداثة تشكّل لنا هاجساً جديداً وسؤالاً محيراً حول مدى جديتها في تقديم ما فشلت فيه التنظيمات اليسارية. فلم يكن مستغرباً أن تتعلّق عيوننا على الجيل السابق متسائلين عمّا أفرزته حركتهم الثقافية حينها من نتائج يمكن الرهان عليها واعتبارها أرضاً صلبة للوقوف وللطيران الحر.

كان سؤالنا يكبر مع كل كتاب مهرّب نقرأه، أو مقالة منشورة تصل إلينا أو مجلة ممنوعة فلتت من عيون الرقيب لتصبح بين أيدينا وتشكّل وعينا الجديد حيال سؤالنا عن دور المثقف العربي وسط هذا التشظي، وحول أثر الحداثة العربية في تغيير الواقع المتهالك من حولنا. وبالطبع، كانت أسئلتنا الثورية متأخرة مقارنة بما آلت إليه الأحزاب السياسية اليسارية من دمار واستسلام وانقلابات كبيرة في العمق.

لم يكن أمام هذا الجيل السعودي سوى أمرين: الأول، التديّن الفطري الثوري، والدخول في الأحزاب السياسية الإسلامية مثل حزب الله الذي تشكّل بعد اجتياح بيروت سنة 1982، أو حركة الأفغان العرب التي تشكّلت بواكيرها الفعلية منذ حركة جهيمان في 1980. والثاني، تبنّي الأفكار البائتة للتنظيمات اليسارية السرية التي أغلقت دكاكينها بعد سقوط الاتحاد السوفييتي في 1991.

وفي ظل غياب الجمعيات والأحزاب السياسية كان من الطبيعي أن تجد غالبية هذا الجيل نفسها صاحبة انتماء ديني إما صحوياً إخونجياً أو خمينياً حزبياً. لكن، لن نجد أحداً منهم يسارياً أو شيوعياً أو قومياً أو ناصرياً إلا إن كان في حالة سبات شتوي لم يصحُ منه إلا بعد انتهاء الحفلة، فوجد نفسه مضطراً أن يركض خلف القافلة حاملاً شعار "اللامنتمي".

* تخطيط: ساي سرحان

هذه النتيجة تقودني من جديد لمربع السؤال الأول، أين هي الحداثة؟ وكيف لم تحم هذا الجيل بأكمله من السقوط في مستنقع التيارات الدينية؟ كيف لجيل سابق ألا يكون له حضور في جيل لاحق إلا إن كان مجرد وهم حداثي على ورق شعري؟!

حين أضيّق الجغرافيا، وأقف عند التجربة السعودية بالتحديد، أجد أنه ليس ثمة حداثة بمعناها الحقيقي يمكن الحديث عنها، فالحداثة -كما أفهمها- تفترض الثورة من الداخل، ليس على الأجوبة فحسب، بل حتى على الأسئلة نفسها. ولا بد بالضرورة أن يواكبها فعل ثقافي وسياسي وفلسفي، يكون رافعتها الوجودية ناحية الحرية. وكما نعلم فإن بواكير هذا الفعل السياسي انطلقت في أواخر ستينات القرن العشرين حتى منتصف سبعيناته. لكنه لا أحد من مثقفي المرحلة استطاع أن يتحمّل عواقب الاستمرار في اجتراع الفعل الثقافي إلا في حدود معركة ذات بعد اجتماعي ضيّق. وأعني به معركتهم مع الإسلاميين سواء مع تيار الصحوة أو تيار تصدير الثورة الإيرانية، دون أن تتعدّاها لمنطقة أكثر سخونة تمسّ الدين أو السياسة. وحتى أكون موضوعياً، هنالك مثقفون قليلون جداً نذروا أنفسهم للتغيير لكنهم سرعان ما اختفوا عن الساحة مختارين الصمت.

في رأيي، إن ما حصل في السعودية كان بسيطاً جداً، مثل زوبعة في فنجان، ولم يكن بحاجة لكل هذه الجلبة، وبإمكاني اختصار حكاية الحداثة السعودية كالتالي: هنالك مثقفون كانت لهم مشاكلهم مع رموز التيار الإسلامي المتطرف في كل شيء يمسّ بحرياتهم أو بأفكارهم الشخصية فانتقدوهم وصبوا جام غضبهم عليهم دون أيّ إشارة للفزاعة التي أوجدتهم. ولولا هذه المعاركة الشخصية الثنائية لما وجدنا لهم الآن أثراً في سماء الفعل الثقافي العربي، وربما أكثر الأدلة وجاهة على ذلك هو تماهيهم مع جميع المكوّنات الثقافية والسياسية في المملكة، بل إن بعضهم كانوا صنّاعاً لهذه المخرجات، والبعض الآخر تحوّلوا في فترة وجيزة لمستشارين في تكريس النمطية التقليدية.

> حين أضيق الجغرافيا، وأقف عند التجربة السعودية بالتحديد، أجد أنه ليس ثمة حداثة بمعناها الحقيقي يمكن الحديث عنها، فالحداثة -كما أفهمها- تفترض الثورة من الداخل، ليس على الأجوبة فحسب، بل حتى على الأسئلة نفسها

ما جاء في «سيلفي»

الحكاية التي فهمها الجميع

عيد الظفيري
كاتب من السعودية

❏ يُنسب للروائي الروسي العظيم ليو تولستوي هذه المقولة الرائعة وهي "أننا حينما نقول بأن هناك عملا فنيا جيدا لكن لا يفهمه عامة الناس، هو كأننا نقول إن هناك أكلا جيدا لكن معظم الناس لا يستطيعون أكله".

ظلت هذه العبارة عالقة في ذهني منذ زمن بعيد لأنها تحمل في طياتها بعداً فلسفياً واضحاً يلخّص أهمية الفن في حياة الأمم باعتباره الوعاء الذي تصب فيه القضايا الاجتماعية والدينية والثقافية بحيث يتجرد من خلاله الفنان من شخصيته كي يتقمص شخصيات من حوله بكل سلبياتهم وإيجابياتهم. لكن من الضروري جداً كي ينجح الفنان في إجادة تقمصه للأدوار التي تسند إليه، أن يمتلك وعياً وإدراكاً يساعدانه على أن يكون في منتصف المسافة من الجميع، بمعنى أن يحيّد قدر الإمكان سطوة الأيديولوجيا على أدائه أثناء تقمصه لبعض الشخصيات التي قد لا يتوافق معها عقائدياً وفكرياً.

لذلك أكّد تولستوي في مقولته السابقة أن قيمة العمل الفني يحددها مدى فهم عامة الناس له؛ أي أن الفن الحقيقي هو الذي يستمد من تجارب البسطاء ويحكي عن أفراحهم وأحزانهم إلى الدرجة التي تجعلهم يتخيلون بأنهم يشاهدون أنفسهم في حالات متفاوتة تعكس طبيعة النفس البشرية التي لا تخلو من التناقض والغموض في بعض المواقف والأحداث. وأعظم ميزة يمتاز بها الفن الحقيقي هي قدرته على التأثير في سلوك وفكر المشاهدين من خلال وضوح فكرة العمل وبُعد الممثل عن التكلف في أداء المشاهد التمثيلية وانحيازه التام إلى الإبداع الحقيقي لا إلى التهريج والإسفاف والتسطيح من أجل إضحاك المشاهدين وتحقيق أكبر نسبة متابعة على حساب القيمة الفنية للعمل.

أجدني الآن بعد مشاهدتي لحلقات من مسلسل "سيلفي" أتفق تماماً مع ما ذهب إليه الكاتب العظيم تولستوي قلباً وقالباً، فرغم أن القضايا التي تطرّق لها الفنان ناصر القصبي في "سيلفي" تعتبر بكل المقاييس قضايا شائكة وليس بالإمكان تناولها بهذا الوضوح والبساطة الخالية من التعقيد ما لم يكن هناك فريق عمل يحمل من الوعي والإدراك ما ينأى بالعمل عن السقوط في وحل الطائفية المقيتة أو حتى الانتماء المناطقي والقبلي على حساب القيمة الفنية للعمل، وبذلك يكون الفن مرآة تعكس كل ما في زوايا المجتمع من إشكالات وظواهر اجتماعية قد يستعصي علينا فهمها في بعض الأحيان، طالما أننا ننطلق في تحليلنا وتفسيرنا لها من منطلقات راسخة في بواطن عقولنا دون أن يكون للتجربة والمعايشة دور في إصدار أحكامنا القطعية تجاهها.

خذ على سبيل المثال، أنّ المقارنة بين ما يراه السنّي في الشيعي من عيوب ومثالب هي ذات العيوب والمثالب التي يراها الشيعي في السنّي، وإن اختلفت المسميات وتفاوتت الحجج والمبررات بين موقف وآخر، فكلاهما ينطلق من قناعاته التي تشكلت على امتداد سنوات طويلة من الانعزال والتقوقع حول الذات، الأمر الذي رسّخ في ذهن كلا الطرفين بحتمية الصراع فيما بينهما بفضل سيل الأحكام والفتاوى التي أصدرتها مرجعياتهما على مدى قرون من الكراهية والبغض. فكل تهمة يوجهها السنّي إلى الشيعي تقابلها تهمة مماثلة من الشيعي إلى السنّي، وبذات الانتقاص والازدراء الذي يبديه الطرف الأول إلى الطرف الثاني، إضافة إلى أن الاستعداد النفسي للسبّ والشتم يصل إلى أقصى مراحله بمجرد استدعاء الحوادث التاريخية في سياق حديث عابر في مقابلة تلفزيونية أو برنامج حواري، مما يجعل النقاش عبارة عن صراخ وملاسنات بين أيديولوجيتين مثقلتين بأحمال الماضي البعيد، والتي لسوء حظ الأجيال المعاصرة أنها انعكست بكل ما فيها من مآس وكوارث على حاضر الأمة الإسلامية، بحيث أنها جعلتنا ندور في فراغ من العتمة والظلام لا نعرف متى سنخرج منه إلى نور الحضارة الإنسانية المعاصرة؟

لقد أحدث "سيلفي" شيئاً من الاتزان والعقلانية في عقولنا حينما سخر بقالب كوميدي من أوهامنا وصراعاتنا التي نجترّها خلفنا لأكثر من ألف سنة وكأنها قدر يورّثه جيل إلى الجيل الذي يليه بنفس المنطق والحجج التي ساقها من أفضوا إلى ربهم وهم مختلفون، دون أن نسأل أنفسنا لماذا نحن نكمل مسيرة تلك الخلافات التي لم يكن لنا فيها مثقال ذرة من الاجتهاد؟

إن العقل إذا استولت عليه الأفكار الماضوية، سيصبح مكبلاً بسلاسل من الماضي تمنعه من الانطلاق نحو إيجاد حلول لإشكاليات الحاضر الذي يعيش فيه، وسينتهي به المطاف بأن يجد نفسه في قطيعة تامة مع منجزات الحضارة الإنسانية المعاصرة. أتمنى أن يستمر طاقم عمل "سيلفي" بذات الأداء والأفكار الخلاقة التي استطاع من خلالها تسليط الضوء على قضايانا المعقدة والشائكة بقالب كوميدي خفف من وطأة المقارنات بين المذهبين الشيعي والسنّي بصورة متوازنة.

> أحدث «سيلفي» شيئاً من الاتزان والعقلانية في عقولنا حينما سخر بقالب كوميدي من أوهامنا وصراعاتنا التي نجترها خلفنا لأكثر من ألف سنة وكأنها قدر يورثه جيل إلى الجيل الذي يليه

المستعاد

خبز وحشيش وقمر

❏ عندما يولدُ في الشرق القمرْ..
فالسطوحُ البيضُ تغفو
تحت أكداس الزَهَرْ..
يترك الناسُ الحوانيت ويمضون زُمَرْ
لملاقاة القَمَرْ..
يحملـون الخبـزَ.. والحاكـي.. إلى رأس الجبالْ
ومعدات الخدَرْ..
ويبيعونَ.. ويشرونَ.. خيالْ
وصُوَرْ..
ويموتونَ إذا عاش القمر..

***

ما الذي يفعلهُ قرصُ ضياءْ؟
ببلادي..
ببلاد الأنبياءْ..
وبلاد البسطاءْ..
ماضغي التبغ وتجَّار الخدَرْ..
ما الذي يفعله فينا القمرْ؟
فنُضيع الكبرياءْ..
ونعيش لنستجدي السماءْ..
ما الذي عند السماءْ؟
لكسالى.. ضعفاءْ..
يستحيلون إلى موتى إذا عاش القمرْ..
ويهزّون قبور الأولياءْ..
علّها ترزقهم رزْاً.. وأطفالاً.. قبورُ الأولياءْ
ويمدّون السجاجيدَ الأنيقات الطرَرْ..
يتسلون بأفيونٍ نسمّيه قَدَرْ..
وقضاءْ..
في بلادي.. في بلاد البسطاءْ..

***

أي ضعفٍ وانحلالْ..
يتولاّنا إذا الضوء تدفقْ
فالسجاجيدُ.. وآلاف السلالْ..
وقداحُ الشاي.. والأطفالُ.. تحتلُّ التلالْ
في بلادي
حيث يبكي الساذجونْ
ويعيشونَ على الضوء الذي لا يبصرونْ..
في بلادي
حيث يحيا الناسُ من دونِ عيونْ..
حيث يبكي الساذجونْ..
ويصلّونَ..
و يزنونَ..
ويحيونَ اتكالْ..
منذ أن كانوا يعيشونَ اتكالْ..
وينادونِ الهلالْ:
" يا هلالْ..
أيُّها النبعِ الذي يُمطر ماسْ..
وحشيشياً.. ونعاسْ..
أيها الربِ الرخاميُّ المعلقْ
أيها الشيءُ الذي ليس يصدَّق"..
دمتَ للشرقِ.. لنا
عنقود ماسْ
للملايين التي عطّلت فيها الحواسْ.

***

في ليالي الشرقِ لمًا..
يبلغُ البدرُ تمامَهْ..
يتعرَّى الشرقُ من كل كرامَهْ
ونضال..
فالملايينُ التي تركض من غير نعالِ..
والتي تؤمن في أربع زوجاتٍ..
وفي يوم القيامَهْ..
الملايين التي لا تلتقي بالخبزِ..
إلا في الخيالِ..
والتي تسكنَ في الليل بيوتاً من سُعالِ..
أبداً.. ما عرفت شكل الدواءْ..
تتردَّى جُثثاً تحت الضياءْ..
في بلادي.. حيث يبكي الأغبياءْ..
ويموتون بكاءْ..
كلّما حرَّكهمْ عُودٌ ذليلٌ.. و "ليالي"
ذلك الموتُ الذي ندعوهُ في الشرقِ..
"ليالي".. وغناءْ
في بلادي..
في بلاد البسطاءْ..
حيثُ نجترُّ التواشيحِ الطويلة..
ذلك السّلُّ الذي يفتكُ بالشرقِ..
التواشيح الطويلة..
شرقنا المجترُّ.. تاريخاً
وأحلاماً كسولة.
وخرافاتٍ خوالي..
شرقنا، الباحثُ عن كلِّ بطولة.
في أبي زيد الهلالي..

* نزار قباني
لندن 1954

الثقافة في العراق محتقرة ورجال الدين يقودون المجتمع إلى الخراب

سلام إبراهيم: أغلب الجوائز العربية أنشئت لأغراض غير أدبية

حنان عقيل
كاتبة من مصر

أكتب أدبي عن العنف الاجتماعي والسياسي

❏ الروائي العراقي سلام إبراهيم، من مواليد مدينة الديوانية بالعراق عام 1954، بدأ الكتابة القصصية في أوائل سبعينات القرن العشرين؛ فنشر أول قصة في صحيفة "التآخي" العراقية، ليواصل كتابته القصصية والنقدية في العديد من الدوريات العربية، ثم أصدر أول مجموعة له بعنوان "رؤيا اليقين" عام 1994، وواصل مشروعه الروائي بروايات بارزة هي "رؤيا الغائب" التي صدرت في العام 1996، و"الإرسي" عام 2008، و"الحياة لحظة" عام 2010، و"في باطن الجحيم" عام 2013، و"حياة ثقيلة" عام 2015، وأخيرًا رواية "إعدام رسام" التي صدرت مطلع العام الجاري 2016.

المسيرة التي مر بها سلام في حياته كان لها كبير الأثر على كتاباته، فكونه عضواً فاعلا في حزب ساهم منذ شبابه المبكر في النشاط السياسي الذي اعتقل على إثره أكثر من أربع مرات، والتحاقه بصفوف الثوار في كردستان عام 1982، جعله على احتكاك قويّ ومباشر مع الواقع السياسي والمجتمعي في العراق حتى اللحظة الراهنة؛ فبات يسطر بقلمه فجائع ذلك الواقع دون مواربة.

في روايته الأخيرة "إعدام رسام" مرحلة جديدة من الاشتباك مع أحداث ثمانينات القرن الماضي في العراق، حيث يبرز جرائم النظام في القمع والتنكيل، راصدًا من خلال روايته تجربة إعدام شقيقه الأصغر الفنان التشكيلي والطالب الجامعي، بشكل مشهدي يجعل القارئ حاضرًا وكأنه يشاهد وقائع الرواية.

"العرب" حاورت الروائي والقاص العراقي، للوقوف على أبرز ملامح تجربته الروائية وتطوّرها على مدار العقود الماضية، وانعكاس واقعه الخاص في أعماله الروائية، ومدى تأثير ذلك على بنية وجودة النص الأدبي، فضلًا عن قراءته للمشهد الثقافي في العراق وأوجه الخلل فيه.

تأمل التجربة

بعد مسيرة طويلة في عالم الكتابة القصصية والروائية، يتحدث العراقي سلام إبراهيم عن الأبعاد الجديدة التي اكتسبتها تجربته قائلًا "التجربة الروائية تتفتح قليلا قليلا مع تقدم العمر. عشت حياة عنيفة في مجتمع موشوم بالعنف العائلي والمجتمعي وسلطاته المتعاقبة، ونشأت في عائلة وطنية ناضلت في العهد الملكي ضد الإنكليز والحكومات المتعاقبة وهواها يساري، فما إن نضجت حتى انغمرت في العمل السياسي المعارض حالمًا بمجتمع حر وشعب سعيد فاعتقلت أكثر من خمس مرات بين عامي 1970–1980 لأساق جنديا زمن الحرب العراقية الإيرانية، فهربت من الجبهات والتحقت بالثوار أنا وزوجتي تاركاً ابني الصغير ذي الـ3 سنوات عام 1982 لأصاب بقصف كيميائي مرت ذكراه الـ29 قبل عدة أيام، لأتشرد لاحقا في معسكرات اللجوء التركية، ثم الإيرانية، لأصل إلى الدنمارك في سنة 1992 معلولا بعجز في الرئة هو 60 بالمئة ومختلف أمراض الحساسية بسبب الإصابة، هنا تفرغت تماماً، ولديّ كل هذا الخزين من التجربة".

يستطرد إبراهيم "لا بد من الإشارة بأنني ومنذ أوائل سبعينات القرن الماضي لم أنقطع عن كتابة القصص والمحاولات الروائية. هنا أتاح لي الاستقرار تأمل التجربة لتتوالى قصصي ورواياتي، وأغلبها تشكلت من سيرتي الذاتية التي وظفتها بالخيال والكلمات في نص حسب ثيمة العمل وأغراضه مركزا على المشترك الإنساني في التجربة والشخصيات، ومحاولا عبر نصوصي كلها البحث عن أسباب الخراب المجتمعي والقسوة والقمع والحروب ومدى آثارها على الإنسان مصوراً تجارب حية، فالعشرات من الجنود ماتوا حولي في جبهة الحرب مع إيران، والعشرات من الثوار ماتوا حولي في تجربة الجبل بشمال العراق، دفنت بعضهم بيدي، ورأيت أهوالاً في الزنازين وقتلوا أعزّ أحبابي في ظلمتها أخي الصغير الرسام كفاح إبراهيم مثلا".

جذور العنف

وعن الآفاق الجديدة التي يتطلع للكتابة عنها مستقبلاً يقول "ما أتطلع له مستقبلا يتلخص في محاولة فهم ذاتي كوجود؛ كيف نشأت وتبلورت في بيئة كتبت عنها هذه الروايات والقصص تحرز كل هذا العنف والموت لإنسانها العراقي الطيب الذي يموت كل يوم إلى هذه اللحظة، فمشغول هذه الأيام بكتابة رواية أرصد فيها علاقتي بأمي وأبي 'العائلة' ثم 'المدرسة' فالدولة متتبعاً ذلك العنف المتغلغل في كل ناحية وموقع من خلال تفاصيل صغيرة لكنها تشير إلى تركيبة وتقاليد وسلوك تخلق العنف في الشخصية العراقية منذ الطفولة".

تراكم تاريخي

وفيما يتعلق بالكتابة عن الواقع الراهن يوضح إبراهيم "الواقع العراقي الحالي هو نتيجة تراكم تاريخي سياسي اجتماعي اقتصادي، كل ما كتبته يؤرخ بهذا الشكل أو ذاك الأحداث المفصلية التي مرت بالعراق، من خلال تتبع ماضي الشخصيات إذ أن أغلب شخصيات رواياتي شخصيات فاعلة مجتمعياً أي غير ساكنة سياسيا تسعى لتغيير المجتمع في ظل سلطات عسكرية دكتاتورية أشعلت حروبا مستمرة، فروايتي قبل الأخيرة 'حياة ثقيلة' تناولت ما جرى للعراق عقب الاحتلال في 2003 من خلال ثلاث شخصيات، هم أصدقاء لي، يقوم الراوي الذي عاد من المنفى بالبحث عنهم وعن مصائرهم، الأول يجده متحولا من شيوعي إلى متديّن يعمل في حزب شيعي سلفي، والآخر اختفت آثاره كان معه بالثورة في الجبل، والآخر يعثر عليه حياً لكنه يحاصر إذ تتحول عائلته من اليسار إلى التديّن، وتختطف ابنته طالبة الهندسة لتضيع تماما في الاحتراب الطائفي أعوام 2005–2006، فينتحر بالخمر، هذا النص ومن خلال تتبع حياة الشخصيات الثلاثة التراجيدية يرصد التاريخ العراقي وتحولاته منذ نهاية ستينات القرن الماضي حتى 2012 راسما أو عارضاً الثيمة الجوهرية التي وسمت وتسم المجتمع العراقي وهي الموت، فالأول تغتاله الميليشيات وهو في مكتبته في حي من أحياء بغداد، والثاني يضيع في حملة الأنفال 1988 إلى الأبد، والثالث يموت كمدا فرط الإدمان والكآبة".

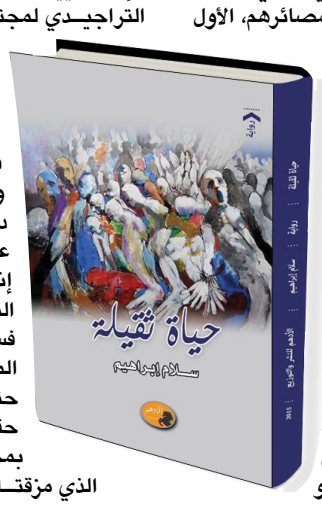

يتابع "هل تختمر التجارب أو نكتبها فوراً؟ تجربتي تقول إنني أكتب دائماً عن أحداث مرّ عليها أكثر من عشرين عاما، لكن الكاتب العارف والمثقف يستطيع الكتابة عن أحداث الراهن في علاقتها بالماضي".

التراجيديا السوداء

وبسؤاله عن سبب حرصه على عنصر "التراجيديا السوداء" في الكثير من أعماله ومنها روايته الأخيرة "إعدام رسام" يجيب إبراهيم "لو راجعنا الأدب العالمي والرواية بأبرز نماذجها، سنجد أن غالبية الكتاب الإنسانيين عمدوا إلى تصوير الواقع التراجيدي لمجتمعاتهم وصوروا عذاب الإنسان فيه وتجاربه المرة والحلوة مثل دستويفسكي، تولستوي، همنغواي، ماركيز. كما أن المتمعن في الحياة بعمق والدارس والمثقف العضوي سيقع دوما على طبيعة العسف لا عدالة المجتمعات وعذاب إنسانه، أما الروائي الحقيقي المعنيّ بالحقيقة والإنسان فسوف تتكشف له هول المجتمع وعسفه على الإنسان حتى في مجتمعات يُظن أنها حققت شيئا من العدالة، فكيف بمجتمع كالمجتمع العراقي الذي مزقته الحروب وسلطات القمع، مضاف إلى طبيعته القاسية المعقدة التي قلت لك إني أشتغل على بنيتها في عملي الجديد، وتناولتها بهذا الشكل أو ذاك في كل قصصي ورواياتي".

فداحة الفقد

ويستطرد قائلا " رواية 'إعدام رسام' هي تراجيديا عن أخي الذي يصغرني بثلاثة أعوام نشأنا وكبرنا معا في غرفة واحدة، كان رساما ومثقفا وطالبا في كلية الهندسة عندما اختفت آثاره عام 1980، ليبلغ والدي عن إعدامه شفويا عام 1983، ولم نعثر على جثته في المقابر الجماعية، الرواية تخييل لمشهد إعدامه في قسمها الأول، ولتاريخ علاقتنا وتخييل لزيارته في ظلمات الزنازين في قسمها الثاني، والثالث مشهد الدفن وتخييل لرؤيته قبيل الدفن. حاولت من خلال هذا النص عرض فداحة فقد الآخ قتلاً وهوله، هذا الحدث الذي أصبح يوميا ولا يثير الكثير من الأحاسيس في المجتمع العراقي حيث يلاحق الفرد الموت في المقهى في بيته في المدرسة في الشارع وبكل مدن العراق. 'إعدام رسام' محاولة لكسر جمود الأرواح التي تجلدت وعادت لا تكترث حتى للموت".

صياغة التجارب

وفيما يتعلق بالأفق الذاتي البادي جليًا في أعماله، وما إن كان يرى صدق الإبداع مرتهناً بشكل أو بآخر بذاتية كاتبه يقول الروائي العراقي "لا بد أن أذكر أنّ أجمل وأعظم الروايات انطوت على سيرة كتّابها بهذا الشكل أو ذاك، وحياة مثل حياتي، فما أنا إلا ناج من ميتات لا تعد، لا أعتقد أن عمري يكفي لكتابة تجاربي، الجوهري بالأمر هو ليس كتابة السيرة والصدق، لكن الأداء الفني وصياغة التجارب والانتقاء منها ما هو مشترك إنساني ذو دلالة تعرض قيمة جديدة، وجمال النص بنية ولغة وثيمة. هذا الجوهري، وهذا ما سعيت إليه، وتكاد كل التجارب أو بأدق أغلبها مرت بي أو عشتها، أو أعرف صاحبها وراويها كما أعرف نفسي".

> عشت حياة عنيفة في مجتمع موشوم بالعنف العائلي والمجتمعي وسلطاته المتعاقبة، ونشأت في عائلة وطنية ناضلت في العهد الملكي ضد الإنكليز والحكومات المتعاقبة وهواها يساري

جمالية النص

وعن تأثير الخوض في قضايا سياسية على جمالية العمل الروائي يلفت إبراهيم إلى أن السياسة لا تحدّ من جمالية النص الروائي، فكل رواياته شخصياتها سياسية، يسارية وشيوعية تخوض غمار حياتها الشاقة في مجتمع مضطرب، والإشكالية ليست في السياسة، فالسياسي إنسان فعال في الحياة يتوق لهدف وهو الأصلح لنص روائي من شخصية محدودة لا حلم لها، لكن الكيفية التي يتناول فيها الكاتب الشخصية هي تحدد مدى جمالية النص ورقيّه أو السقوط في المباشرة والشعاراتية من خلال تعتيم الإنسان في تكوين السياسي وتصويره كائنا أسطوريا يفتقد حتى مشاعر الألم ساعة الموت كما يفعل الكتاب الأيديولوجيون.

ويتابع قائلا "ذكرت صورة شخصية الشيوعي كما هو إنسان يحزن وينكسر ويفرح ويرتكب حماقة، يكون في موقف شريفا وفي أخرى سافلاً، ولكل هذه الأسباب أزعجت رواياتي الوسط الثقافي للحزب الشيوعي العراقي. حتى أن روايتي 'الحياة لحظة' أصدروا بها قرارا بعدم الكتابة عنها في صفحاتهم لا سلباً ولا إيجاباً رغم أنها تناقش وتصور تجربة مناضليهم وفعلا لم ينشر عنها شيء أبدًا في صحفهم، بينما كتب عنها الكثير في الصحافة العراقية والعربية.

ثقافة مهمشة

انتقالًا للحديث عن المشهد الثقافي في العراق يقول ضيفنا "مجتمع العراقيين مجتمع يتمزق منذ أكثر من ستة وثلاثين عاماً، فمنذ إعلان الحرب العراقية الإيرانية سنة 1980 وإلى حد الآن لم يتوقف القتل، وهو الآن في شبه حرب أهلية، يساق فيها شباب بعمر الورد ليموتوا في قتال لا هدف منه سوى تمزيق البلاد والحط من العراقي، لا دور سينما، لا مسرح، الأمية متفشية، المدارس تنحسر ببناياتها البائسة وعددها، الرشوة، الفساد، الغش، المرأة أكثر من يتحمل وزر التخلف قيما وأعرافاً، وضع مأساوي صورت جانبا منه مع جيل من الكتاب، ورغم كل هذا التمزق والخراب يظهر جيل من الكتاب الجدد وتصدر المزيد من الروايات في الخارج وفي العراق".

ويتابع "لكن الثقافة في العراق في ظل هذه السلطات السياسية محتقرة مهمشة ورجال الدين يقودون المجتمع إلى خرابه، وكما قلت عزاؤنا أن هنالك من يصور ما يجرى روائيا".

الجوائز الأدبية

وبالحديث عن الجوائز العربية، وعلى رأسها جائزة البوكر، يشير سلام إلى أنه في كل عام يتابع الأعمال التي تظهر في القائمة الطويلة والقصيرة فيجدها متواضعة ذات طبيعة مواضيع متشابهة، باهتة مكررة فيها صناعة وصناعة رديئة لغةً وبنيةً، مضيفًا أنها تشد الانتباه إلى نماذج متواضعة المستوى وخطورة ذلك يتجسد في انجذاب الأجيال الجديدة من قرّاء العربية ومشاريع كتابها الشباب إلى اعتبار هذا النمط من الكتابة والروايات النماذج التي يحتذى بها، ومن هنا قمت هذا العام بتحليل روايتين من روايات القائمة القصيرة تحليلا دقيقا لتبيان مستواها بنية ولغة وثيمة وعلاقتها بالفن الروائي والجمال. وعازم على تناول الأربعة المتبقية كي يتعرف جيل القراء والكتاب الشباب على طبيعة هذه النصوص ومستواها الحقيقي".

هدية «الجديد» لخشبة المسرح العربي

الكتابة المسرحية أصوات المجتمع

عواد علي
كاتب من العراق

❏ كرّست مجلة "الجديد" الثقافية اللندنية عددها السابع عشر، الصادر في بداية شهر يونيو الحالي، بكامل صفحاته، للنصوص المسرحية العربية تحت عنوان جامع هو "الكتابة المسرحية أصوات المجتمع"، شارك فيه 17 كاتبا من العراق، مصر، سوريا، فلسطين، الأردن، السعودية، تونس والمغرب. وكانت المجلة قد خصّصت العام الماضي خامس أعدادها للقصة العربية القصيرة، في سياق خطواتها التي شرعت بها منذ البداية بحثا عن النص الجديد، وفي رحلة تقصّي الأحوال الراهنة للظواهر والأجناس الأدبية في الثقافة العربية الجديدة.

تنتمي النصوص المسرحية التي يضمها هذا العدد إلى أنماط مختلفة تتراوح ما بين المسرح الدرامي الحديث، ومسرح اللامعقول ومسرح مابعد الحداثة، وهي من نوع مسرح الفصل الواحد أو الفصول واللوحات المتعددة، ومسرحيات المونودراما التي تتداخل فيها عناصر السرد والشعر والوثيقة والتشكيل عبر المونولوغات الدرامية للشخصية. وشارك في رسم لوحات العدد وتخطيطاته عدد من الفنانين والفنانات العرب المعروفين منهم: سعد يكن، أسامة دياب، صفوان داحول، بهرام حاجو، سمير الصفدي، هيثم شكور، عامر الوهيبي، علا الأيوبي، خالد تكريتي، شيرين عدي، محمد ظاظا، محمد أبو الوفا، حسيني علي، وربيع كيوان.

حال الكتابة المسرحية

حملت مسرحيات العدد العناوين الآتية: "قبل أن يأتي الربيع" لأحمد إسماعيل إسماعيل، "ذئب البوادي، النسخة السورية" لحازم كمال الدين، "صمت النوافير، مقطع من نص مسرحي" لحسن المؤذن، "أناشيد الربيع والخريف" للحسن بنمونة، "حالة حصار، مشهد من مسرحية" لحمادي المزي، "أكاذيب صغيرة" لدرويش الأسيوطي، "الإضاءة الأولى، السيرة والذات" لزبير بن بوشتة، "دولة السيد وحيد الأذن" لصباح الأنباري، "كونتينر" لعباس الحايك، "صاحب الأثر" لعقيل مهدي يوسف، "أصوات الغابة" لعواد علي، "كوكب الذكورة" لمختار شحاتة، "عندما توقف الزمن في القبو" لمصطفى تاج الدين الموسى، تغريبة ابن سيرين، "فكرة" لناهض الرمضاني، "جريمة قتل في شارع المطاعم" لوجدي الأهدل، و"نوستالجيا" لصالح زمانان. وسنحاول في الأسطر التالية قراءة نماذج من هذه النصوص.

استباحة المجتمع

يشير عنوان مسرحية أحمد إسماعيل إسماعيل، ذات الفصل الواحد، إلى ممهّدات الثورة في بلد يحكمه نظام استبدادي يسلّط جهاز مخابراته لملاحقة المواطن واستجوابه وتحويل حياته إلى جحيم، استنادا إلى مجرد وشاية تقول إنه متذمر أو يتفوّه برأي نقدي. بطلا المسرحية زوجان (مروان وسلمى) يعيشان في شقة متواضعة، ذات أثاث بسيط، يسبب لهما استدعاء أمن الدولة للزوج أكثر من مرة، عبر الهاتف المنزلي، شرخا كبيرا في حياتهما، وحين يفشلان في الهروب من الشقة يتبادلان لعبة المحقق والمتهم، بأسلوب أقرب إلى أسلوب المسرحية الانعكاسية التي تتمرأى في ذاتها، أو ما يُعرف بـ" الميتاثياتر" (المسرحية داخل المسرحية)، فنكتشف من خلال تلك اللعبة اعترافا خطيرا للزوجة حول استدراج الأجهزة القمعية لها إلى فخاخ العهر والابتزاز، عبر استغلال حاجتها الأسرية إلى المال، وهو سلوك يرمز إلى استباحة المجتمع برمته، ما يدفع الزوج في خاتمة اللعبة إلى خنقها. وتنتهي المسرحية نهاية مأساوية غير متوقعة جاءت إثر تحول درامي مثير أتقن المؤلف صياغته ببراعة، وفضح من خلاله آليات النظام البوليسي في قهر المواطن وإذلاله، ليغدو الحلم بربيع يجري فيه إسقاطه (النظام) أمرا مشروعا، بل ضرورة لا بد منها.

رؤية ساخرة

ليس ثمة علاقة تناصية بين مسرحية حازم كمال الدين "ذئب البوادي، النسخة السورية" ورواية هرمان هسّه الشهيرة "ذئب البوادي"، لكن من خلال القراءة التأويلية يمكن إيجاد علاقة إيحائية بينهما، استناداً إلى ثيمة التأزم والتشظي. فهسّه يعبّر في روايته عن الأزمة الداخلية التي يمرّ بها مثقف من طينته، تزامنا مع إرهاصات العنف المقبل وصعود النازيات والفاشيات في أوروبا، محاولا فضح الذهنية العامة التي سادت سنوات ما بعد الحرب العالمية الأولى، وهي سنوات خيبة كبيرة لا يتورع العقل المفكر بقوة عن أن يجد نفسه في خضم تحليل تناقضات الروح الإنسانية بصورة عامة، تحليلاً قاسياً وصادقاً في الوقت نفسه.

يبدو نص حازم كمال الدين، الفانتازي، التجريبي، القريب في أجوائه السحرية من بعض نصوص شكسبير الخارقة وحكايات ألف ليلة وليلة، إعادة ساخرة، في سبعة أسفار، لإنتاج الماضي الذي يصرّ على أن يصبح مستقبلا. شخصياته الرئيسة ثلاث: ذئب البوادي (بطل من العصور الغابرة والمعاصرة)، الراعي (صديقه، ووسيطه)، والجنية (ابنة شيخ الجان). وهو يجري في تراتب لا منطقي بين العصور الغابرة والمعاصرة، مازجا بين السرد والحوار، مفترضا بادية الشام فضاءه العام، وكهفا في قرية متروكة فضاءه الدرامي. إنه نص إشكالي يحتاج إلى قراءة معمقة ليس هنا مجالها.

أكاذيب ساخرة

يتناول درويش الأسيوطي في "أكاذيب صغيرة"، بأسلوب فانتازي، الصراع بين العالم العربي والقوى الاستعمارية، ولجوء الثانية إلى استغلال الفئة الرجعية، ممثلة بـ"الشيخ"، لتنفيذ مخططها التدميري، الثأري، من خلال خداع "شيطاني" يمارسه "عالِم" غربي، يمثّل شكلا من أشكال الاستعمار الجديد، يمسخ به مجموعة شخصيات مغلوبة على أمرها تعاني من مشاكل اجتماعية ومعيشية، يدخلها في آلة تشبه تمثال الحرية يسميها "فردوسا حضاريا"، فتحوّلها إلى مكعبات صغيرة في حجم علبة السجائر تخرج من ذيلها.

يقول "العالِم" ملخصا رؤيته ومخططه التدميري "لقد كانت مشكلتنا في حجمكم.. أنتم تشغلون مساحات أكبر من اللازم.. وهكذا يكون الحل العلمي.. أن تكونوا بهذا الحجم المناسب.. أيها الأصدقاء.. لن نحتاج إلى كل هذه الأرض لتسكنوا فيها.. لن نحتاج إلى كل هذا التاريخ.. نحن نريدكم بهذا الحجم.. الحجم المثالي.. التاريخ الإنساني أيها الأصدقاء.. دائرتان.. فاعل.. ومفعول به.. لقد كنا في يوم من الأيام في الدائرة الثانية..!! يومها جئتم أنتم لكي تمارسوا الفعل الحضاري بشروطكم.. من فوق ظهور خيولكم.. والآن.. جاء دورنا نحن لنعبر إليكم فوق آلاتنا..!! ونمارس نحن الفعل الحضاري الذي توقفتم أنتم عن ممارسته..!! وبإتقان..!"، ويضيف قائلا "تذكروا إننا رسل حضارة.. وأن علينا أن نقيم مجتمع الحرية.. والإخاء.. والمساواة.. لكل البشر..!"

سيرة كاتب

يقدم زبير بن بوشتة في مسرحيته "الإضاءة الأولى، السيرة والذات"، التي سبق أن عُرضت في المغرب تحت عنوان "رجل الخبز الحافي"، مقاربة درامية للبعد الشخصي في علاقة الروائي الراحل محمد شكري بذاته من خلال النبش في ذاكرته المغيبة، وتجسيد عوالمه وتناقضاته وتفكيك حضوره عبر شخصيتي "شك" و"ري" اللتين تعيشان على طرفي اللعبة في مقبرة لا هوية دينية لها، بصيغة تستجلي الحدود ما بين أنا الكاتب وشبيهها الدفين، فتصبح شخصية شكري متكأ فنيّا يحيل على الصراع الأبدي بين الإنسان والعوائق اليومية التي تسعى إلى الحد من دينامية هذا الكائن العبقري، والحيلولة دون إنتاج الفكر والتساؤل الفلسفي الذي يمنح الحياة سيرورتها المتحولة والمتطورة بدل الاستكانة إلى الجاهز والمسلمات، والنضال من أجل الخبز اليومي والحاجات البيولوجية الفطرية التي يشترك فيها الإنسان مع كل الكائنات الحية الأخرى. من الناحية الدرامية برع الكتب بن بوشتة في نسف الذات الواحدة وشطرها نصفين من أجل صوغ شخصيتين مسرحيتين تعيشان في الآن ذاته، وكأنهما من زمنين متباعدين يدعواننا إلى تبني فضاء يتيح التزامن وتجاور الأحداث، فضاء محوري تنبثق منه الأماكن وتتداخل عبره مواجع الشخصيات.

يواصل صباح الأنباري في مسرحيته الصامتة "دولة السيّد وحيد الأذن" تجربته المتفردة والرياضية في تأصيل

مسرح يقوم على الفعل الإيمائي والحركة، أو لغة الجسد، منذ نحو ربع قرن، مستعيدا أو باعثا المسرح الأول في الشرق والغرب، القائم على التجليات البصرية وأشكال التعبير الجسدي، الذي أسمته دوقة "مين" الفرنسية في القرن الثامن عشر، مجازا، بـ"العرض الأخرس" أو "فن القدماء".

يصور الأنباري في هذا النص التجريبي متعدد الشخصيات، الذي يبدو كأنه مأخوذ من حكاية شعبية، طغيان الحاكم المستبد، دولة صاحب الفخامة، واستهتاره في التعامل مع الشعب، بوصفه جزءا من ممتلكاته التي يعبث بها متى وكيفما يشاء. ويجري التركيز هنا على حادثة ولادة طفله (ولي عهده) بأذن واحدة، فينتابه الغضب والحزن، ما يدفعه، باقتراح من أحد أفراد حاشيته وهو "الرجل المعمم"، إلى قطع آذان جميع أطفال الدولة، وكأن العملية هي عملية ختان، مصحوبة بالزغاريد المبتهجة وتقديم هدايا مالية لآباء الأطفال في بداية الأمر، ثم يحدث العكس حين يُطلب من الآباء أن يدفعوا مبلغا من المال، يقتسمه رجال الحاشية، مقابل قطع آذان أطفالهم، ليبدو وجود الإنسان بأذن واحدة هو القاعدة، والعكس هو الشواذ!

تجمع المسرحية بين الأداء الحركي والأفعال الإيمائية الذكية المعبرة والصور السينمائية، إلى جانب السينوغرافيا والمؤثرات الصوتية والموسيقية، بأسلوب محكم لا لبس فيه ولا تعقيد، ما يجعل المتلقي قادرا على استيعابها بشفافية ومتعة بصرية آسرة إذا ما توفر لها مخرج مقتدر.

كوميديا سوداء

تنتمي مسرحية مختار سعد شحاته "كوكب الذكورة"، التي تتكون من ست لوحات، إلى الكوميديا السوداء بامتياز، وتبدو أقرب إلى مسرحيات الكباريه السياسي المعروفة في مصر، فهي تقوم على أسلوب السخرية والتهكم من فوضى الحياة في مصر وأكاذيب الحكومة، حيث تتقاطع وعود المسؤولين في تقديم الخدمات الصحية للمواطنين، عبر الفضائيات التلفزيونية، مع الواقع المرير الذي تُمتهن فيه كرامتهم، ويعانون خلاله أشد المعاناة وعذابات الانتظار. ويختلط في المسرحية الحوار بالفصحى والعامية بأسلوب بارع، وتقطيع ينمّ عن حساسية جديدة في تناول مشاكل الحياة في المسرح المصري.

مونودراما العزلة والقسوة

في مونودراما "عندما توقف الزمن في القبو" لمصطفى تاج الدين الموسى، مقاربة أخرى للمأساة السورية يذكرنا إطارها العام بمسرحية "احتفال ليلي خاص بدرسدن" للكاتب الراحل مصطفى الحلاج، ففي كلاهما يجري الحدث تحت الأرض خلال الحرب. يختبئ في مسرحية الحلاج عدد من المواطنين الألمان في ملجأ تجنبا للموت من قصف الحلفاء. ويختبئ في مسرحية الموسى بطلها الوحيد يوسف الشاب في قبو أحدى البنايات تجنبا للاعتقال والموت من القصف الوحشي للنظام، وكلا المسرحيتين تدين العدوان وتنحاز إلى الإنسان الضحية.

ثمة قسوة متناهية في نص "عندما توقف الزمن في القبو"، الذي يعاني بطله العزلة القاتلة، جاهلا متى يكون الوقت ليلا أو نهارا، ولا اسم يومه أو غده، منتظرا مجيء أمه إليه لتجلب له احتياجاته الإنسانية، ولا شيء في القبو يجعله يشعر بالزمن سوى دوران عقارب الساعة القديمة المعلقة على الجدار، لتصير تكتكات عقرب الثواني فيها، مع مرور الأيام، الموسيقى الوحيدة في المكان. إن هذا النص، على عكس الكثير من النصوص المونودرامية التي تقوم على السرد والبوح والاستذكار، يتسم بكثرة الحركة والانفعالات والتحولات التي تطرأ على شخصيته الوحيدة، وهذا سرّ تفوقه وأهميته.

فانتازيا طريفة

تدور مسرحية ناهض الرمضاني "فكرة"، ذات الطابع الفانتازي الطريف جدا، حول قمع أو محاربة الأفكار الجديدة التي من شأنها أن تجلب الخير والسعادة للناس، وذلك بسبب تعارضها مع المصالح الشخصية لبعض الفئات في المجتمع، الفكرة هنا تتجسد على نحو مؤنسن، حيث تتلبس شخصية ممثل وتتنقل، أو تحاول النفاذ إلى ذهن مجموعة شخصيات مثل (أستاذ جامعي، شاب، شخص مولع بالشراء، تاجر، قائد عسكري، وجندي في خندق خلال الحرب العالمية)، تتقبلها أول الأمر ثم ترفضها، عدا الشخصية الأخيرة، أي الجندي الذي يرحب بها في النهاية لكي ينقذ نفسه من الموت. ورغم براعة النص وحرفيته العالية لا أراه نصا مونودراميا كما جنّسه مؤلفه ناهض الرمضاني، لأن المونودراما في تعريفها الدقيق مسرحية ذات شخصية واحدة، في حين على الممثل أن يؤدي هنا مجموعة شخصيات، وعلى هذا الأساس فإن نص "فكرة" ينتمي إلى نوع من المسرحيات التي يُصطلح عليها "One Man Show" ، أي المسرحية التي يمثل جميع شخصياتها ممثل واحد.

في افتتاحية العدد كتب رئيس التحرير نوري الجراح مبينا أن إنجاز عدد خاص عن المسرح هدف إلى إعادة "تعريف الظاهرة المسرحية في المجتمع. فقد وقع في أذهان القراء العرب معنى المسرح مرارا من خلال تأريخ ودراسات ومقدمات وكلمات كثيرة قصدت تقديم المسرح للناس. وأضاف الجراح إن "وظيفة هذا العدد ببساطة أن يتقصّى حال الكتابة المسرحية بعد قرن ونصف القرن من التأليف المسرحي في الثقافة العربية، وأن يتيح للقراء العرب وأهل المسرح على نحو خاص الاطلاع على نصوص مسرحية عربية ألفها كتاب مسرحيون من العراق، مصر، سوريا، فلسطين، الأردن، السعودية، تونس والمغرب. وهي نصوص تغطي انشغالات وهموم وموضوعات وقضايا راهنة اجتماعية وسياسية وجمالية تغلب عليها الرغبة في توليد نص مسرحي عربي معاصر في لغة عربية فصيحة".

مسرح عربي جديد

ناشر المجلة الكاتب العراقي هيثم الزبيدي طوى العدد بمقالة عنوانها "لماذا الإصرار على أن يكون لدينا مسرح؟"، يبدأها بالحديث عن عادة الصفير السيئة التي يمارسها المتفرجون في قاعات المسرح العربية، مشيرا إلى أنها ليست عادة جديدة، بل نجدها في كل المسرحيات التي سجّلها التلفزيون من الستينات في القرن الماضي وإلى الآن. وهي تنم عن قلّة احترام ملموسة لدى الجمهور لعلها تلخّص بعضا من مشاكل المسرح المزمنة في العالم العربي. ويرى الزبيدي أن "المسرح فكرة مستوردة لعالمنا العربي. المسرح يحتاج إلى جمعين: جمع يصنع المسرحية وجمع يتفرج عليها. هذان الجمعان يبذلان جهدا صعبا ليتشكلا، خصوصا في الإطار التاريخي". ولذا "من الأفضل القول إن المسرح في العالم العربي لا يزال في طور التجريب، وقد يبقى فيه لمدى طويل. ربما لن يصل أبدا إلى ما وصل إليه المسرح في أوروبا أو الولايات المتحدة". ويختم الكاتب مقاله مؤكدا أن "كلّ ما يعلق في الذاكرة من أعمال مسرحية كانت حصرا للقضايا الاجتماعية وهموم الفرد. هناك بيت القصيد الذي قد يحمل الأمل في التأسيس لمسرح عربي من جديد. أما التهريج والاستعراض والخطابة المفتعلة في المسرحيات 'الوطنية'، فكالزبد تذهب جفاء".

"الجديد" تتحفنا في كل مرة بمفاجأة وهذا العدد الخاص مفاجأة بحق، إنه هدية من مجلة عربية جادة ومغامرة للحياة المسرحية العربية.

الجنس والأدب الحافة الخادعة

محمد حياوي
كاتب من العراق

❏ بالعودة إلى السؤال المطروح بقوّة، هل الإسهاب أو التطرف في وصف المشاهد الجنسية هو نتيجة عقود من الكبت والرقابة؟ أم هو انعكاس لتطرف الشخصية العربية المعاصرة التي تعاني من عدم الاستقرار النفسي نتيجة للضغوطات السياسية والأمنية ومصادرة الحريّات؟

في الواقع تلعب تجربة الكاتب الشخصية دوراً مهماً في هذا الجانب، لكن من وجهة نظري دائماً، لا يعد الجنس امتيازاً للكاتب أو الكاتبة ولا يمكنه الإعلاء من شأن النص.. كما هو حاصل مع عدد من الكاتبات اللواتي اتصفن بـ"الجرأة" فصارت لهن امتيازاً عَوَض عن نقص المكتوب لديهن.. ناهيك عن خصوصية الممارسة الإنسانية الصرف التي يبطلها حضور الشخص الثالث حتى لو كان واصفاً أو متخيلاً. وكلّما كان المجتمع أكثر وعياً كلّما كان أكثر فهماً لوظيفة الجنس المجتمعية وقضية توظيفه في الكتابة والإبداع عموماً، وقد أشار الروائي الكبير الطيّب صالح إلى ما يشبه هذا في روايته الشهيرة "موسم الهجرة إلى الشمال" على لسان أحد أبطاله ".. أنتم الشرقيون عقولكم في رؤوس ذكورتكم".

إن الحضور الطاغي للجنس في الحياة هو ما يجعلني أعتقد أن الخصوصية الإنسانية للممارسة كاشتراط هي ما يميّزه عن الحيوانية، كما أن عدم الحشمة المفرطة بالنسبة إلى المرأة قد يؤدي إلى ابتذالها وبطلان كونها مصدراً للإثارة والإلهام، وما لم يكن الإيغال في وصف الجنس مفروضاً كحتمية سردية ومنسوجاً مع السياق السردي، يصبح بالتأكيد مستهدفاً لذاته كأداة إثارة ووصف مباشر لتفصيلات الممارسة الجنسية التي يعرفها أغلب القرّاء، لكن ليس الجميع يدرك اللوعة المستبطنة داخلها أو ما قبلها وما بعدها.

أما أن يوظف الجنس لدى البعض كمحاولة لتعويض النقص في الثيمة أو فقر الفكرة فهو اختلال وجودي بالكامل.. والأولى أن يشاهد القارئ فيلما أيروتيكياً أفضل من أن يهدر وقته في قراءة رواية هزيلة.

ومازال النشر في الغرب يخضع لأخلاقيات معينة تحدد الأطر العامّة لعملية النشر، ليس بدافع الفضيلة بالتأكيد، بل بدافع الحفاظ على الذوق العام وحماية المجتمعات من التطرف. لكن تبقى المشكلة فيما يصلنا من النماذج الغربية في الترجمة، فقد اعتاد القارئ العربي على أنّ كل ما يترجم، لا سيما من الغرب، هو صحيح وخلاق ومبدع بالضرورة، وضرب أحد الأصدقاء الكتّاب مثلاً في رواية "عشيق الليدي شاترلي" للكاتب البريطاني د. هـ. لورانس التي نُشرت لأوّل مرة في العام 1928 بطبعة سرية في فلورنسا - إيطاليا ولم يتم نشر الطبعة "المهذبة" منها علناً في بريطانيا إلّا في العام 1960 كونها تضمّنت وصفاً صريحاً لتفصيلات العملية الجنسية واستخدام مفردات لم يكن مسموحاً حتّى بطباعتها آنذاك، وقد أجريت عليها تعديلات واسعة في العقود اللاحقة قبل أن تنشر على نطاق واسع وتحقق الانتشار، بينما سُمح لنسختها العربية بالتداول في أغلب الدول العربية حتّى قبل أن تُعدّل، وهو أمر يحيلنا إلى عقدة الرقيب العربي إزاء الكاتب الأجنبي وازدواج المعايير الرقابية لدى هذا الرقيب الذي هو بالضرورة نتاج المجتمعات الشرقية المقموعة.

وطالما نتحدث عمّا يمكن تسميته بـ"الرقيب الذاتي" هنا، فقد تنعدم الحاجة إلى ذلك الرقيب في مرحلة من المراحل، في حال امتلك المجتمع هيكلية معينة تستند إلى الذائقة الصرف، كما هو حاصل في الغرب، وحتى يحين ذلك الوقت يبقى الجنس ومفهوم ممارسته وتناوله في الأدب إشكالية معقدة وظاهرة حَرِيّة بالتأمل والدراسة، كونه محور العلاقات كلها ومحفز الخيال من جانب، وحافة خادعة تؤدي للسقوط في المباشرة والابتذال من جانب آخر.

المرأة في لوحة الإعلان تطارد الرجال

الشاعرة الكندية مارغريت آتوود تفوز بجائزة «هارولد بنتر»

تخليدًا لذكرى الشاعر والمسرحي البريطاني هارولد بنتر، الحائز على جائزة نوبل في الأدب للعام 2005، أنشأت رابطة القلم البريطانية قبل سبع سنين جائزة باسمه، تمنح لكاتب مبرّز "ذي تصميم ثقافي شرس يسعى إلى تعريف حقيقة حيواتنا ومجتمعاتنا، كما هي في الواقع، بدون تزويق". وكانت هذه السنة هي المرة الأولى التي تنفتح فيها الجائزة على كتّاب من جمهورية أيرلندا ودول الكومنولث، حيث كانت في السابق مقصورة على البريطانيين.

شاعرة وروائية بمخيلة خصبة وروح طليعية

تحسين الخطيب
كاتب من الأردن

❏ ليست الشاعرة والروائية الكنديّة مارغريت آتوود مجرّد شاعرة وروائيّة ذائعة الصيت، تكتب ضمن طائفة واسعة من الأنواع الأدبية فحسب، بل هي أيضًا ناقدة وناشطة سياسية ومدافعة عنيدة عن حقوق الإنسان، خاصة حقوق المرأة في عالم تسوده الذكورة.

وهذه الخصائص بالذّات هي التي دفعت لجنة تحكيم الجائزة إلى وصفها "بالمثقفة العمومية المثاليّة". فيما قالت مورين فريلي، رئيسة رابطة القلم البريطانية "إنّ آتوود استثناء ساطع في صنعة الكتابة التي يسيطر عليها محترفون ينزعون إلى الاعتناء بحدائقهم الخاصة. فهي لا تدافع عن مبادئها فحسب، بل تضعها أيضًا على المحكّ، في رواية بعد أخرى.. إنها ملهمة بالنسبة إلينا جميعًا".

وتعقيبًا منها على الفوز، قالت آتوود "إنني في غاية التواضع. لقد عرفت هارولد بنتر وعملت معه -لقد كتب السيناريو للنسخة التلفزيونية من رواية حكاية الخادمة، في العام -1989وكان إحساسه المتوقّد بالجور المتعلق بانتهاكات حقوق الإنسان واضطهاد الفنانين مثيرًا للمشاعر حتى في ذلك الوقت. إنّ أيّ فائز بمثل هذه الجائزة هو بديل للآلاف من البشر حول العالم ممن يتكلمون ضد هذه الانتهاكات ويعملون على مكافحتها".

ستستلم آتوود الجائزة في الحفل الذي سوف يقام بالمكتبة البريطانية في الثالث عشر من شهر أكتوبر القادم، حيث سوف تقوم أيضًا باختيار كاتب عالميّ يتصف بالشجاعة الأدبية والنقدية، يقاسمها الجائزة، وذلك من قائمة قصيرة أعدتها رابطة القلم البريطانية. وكان الشاعر البريطاني جيمس فينتون قد اختار الكاتب السعودي رائف بدوي، مؤسس موقع "الليبراليون السعوديّون" -والذي حكم عليه بالسجن عشر سنين، والجلد ألف جلدة، في العام 2014، بتهمة الإساءة للدين الإسلامي- ليقاسمه الجائزة في العام 2015.

كالدهر تأتي عليّ (قصائد مختارة للشاعرة)

■ يد

يستلقي جسدك على الأرض، معك
أو بدونك. عيناك مغمضتان. ولا جدوى
من قول إنّك جسدك -مع أن ذلك صحيح
أيضًا- لأنك لست في اللحظة أنت؛ لست
سوى قبضة تشتد في مكان على قفا عنقك.
إنها هذي القبضة التي تصدّك مضمومةً
وتدفعك إلى الأمام بلكمات ألم قصيرة،
إنها هذي القبضة التي تقودك عبر الزمن،
على طول تلك الممرات التي لا نوافذ
فيها، الممرات التي نعرفها جيدًا، حيث
الضوء الأبيض المصفرّ يرشف الدم من
ظاهر وجهك وقدماك في نعليهما الضيّقين
تخبطان الإسمنت، خبطة ثم أخرى، بدقة
متناغمة. لا بُدّ أن أفتح هذه القبضة: أن
أجعلك تدخل.

أبدأ بقفا العنق، خفيفةً، شاعرة كأن
عقدة العضل المتورطة، في قبضتها
الخاصة، أحجية. بداية خاطئة، فالضغط
هنا في غاية الشدّة سوف يكدمك. أمضي
إلى القدمين وأبدأ ثانية.

لا بُدّ أن تتعلّم القدمان الرؤيةَ في
العتمة، لأنّ العتمة حيث تمشيان.
بهدوء تتعلّم القدمان؛ إنهما أكثر حكمة
من العينين، ومن الصعب خداعهما،
ثقيلتان كالحجارة وفادحتان، لا يشتهيان
شيئًا لنفسيهما، فأنّ تنظران تتذكّران.
أحرّك إبهاميّ بين الأوتار، ضاغطة على
الأخمصين الأبيضين الأخرسين للقدمين
الحبيستين.

هذا جسدك أرفعه بين يديّ كلتيهما،
عيناه مغمضتان. صار جسدك الآن يدًا
تنفتح، جسدك يد رجل أعمى يلتمس طريقه
في عتمة قد تكون ضياءً في الواقع؛ بصرف
النظر عمّا تعرف أنت. وخلف عينيك
المغمضتين فتائل شجرة تنحلّ، وتأخذ
شكلها، حمراء وقرمزية، زرقاء، ووهجًا
بطيء. هذا ليس سيناريو عاشقين. إنّها
رحلة الجسد، خطاه المتردّدة
أنَ يعود أدراجه إلى لحمه.
أغلق عينيّ حتى أستطيع
أن أرى أفضل حيث نمضي.
تتحرك يداي أمامًا بالمعرفة
والحدس؛ تدفعك يداي إلى
الأمام. عيناك مغمضتان ولكنّ
العين الثالثة، عين الجسد،
تنفتح. إنها تعوم أمام ناظريك
كطوق من نار زرقاء. وإنّك
لترى الآن فيها ومن خلالها.

■ في الشوارع، يا حبيبي

الحُبّ
في الشوارع
في هذه الأيام
مسألة مهمة
للزبّالين
(الذين يجعلون الموت حياة) أو
للمفترسين
(الذين يجعلون الحياة موتًا)
سيّدة لوحة الإعلان
بأسنانها المطلية بمينا بيضاء
ومخالبها
المطلية بمينا حمراء، تطارد
الرجال حين يمرون بها
ولا يعنّ على بالها بأنهم الذين نفخوا فيها
الحياة، أو بأنّ جسدها مصنوع من الكرتون،
أو بأنّ
في عروقها يسري دم
شهوتهم الناشف.
أُنظر، الرجل الأشيب
صاحب الخطوات الناعمة
كقطن الملابس الداخلية،
ينساب من مُلصقه
والنساء الضاريات-حين يرونه
في غاية الأناقة،
الأطراف واضحة كورق مقصوص
والعينان صافيتان
وثاقبتان
كنقشين بارزين-
يرغبنَ في امتلاكه
... هل أنت ميّت؟ هل أنت ميّت؟
يقلن، آملات...
ماذا نفعل في الشوارع،
يا حبيبي، في هذه الأيام
أنَى لي
أن أعرف بأنّكَ
وأنّى لكَ
أن تعرف بأنّي، بأنّنا
لسنا بعضًا من أولئك
الناس، مزقًا مُلصقة ببعضها
تنتظر الفرصة
كي تخرج إلى الحياة.
ذات يوم
سوف ألمس لحم
جيدكَ الحامي، وأسمع
طقطقة أوراق خافتة
أو أنّكَ -من يفكر
في أنّكَ تستطيع أن تقرأ عقلي
بالمقلوب- سوف تذوق
الحبر الأسود للساني، وتجد
الختم الناعم مسطورًا
تحت جلدي تمامًا.

■ ارتباكات خارج الباب

ماذا تريد منّي
أنت يا من تسير نحوي على الأرض الطويلة
ذراعاك ممدودتان، وقلبك
ساطع بين أضلاعك
حول رأسك تاج
من دم يلمع
هذه قلعتك، وهذا بابك المعدنيّ،
وهذه سلالمك،
وعظامك، ها أنت تفتل كلّ الأبعاد
الممكنة لتصير بعدك.

***

مستلقية هنا، كل شيء في داخلي
يتقصّف ويدفعك بعيدًا
ليس هذا شيئًا
أشتهيه، أقول لكَ
صامتة، منكرةً
حقيقة أين أنا،
عاليًا أبعد،
السماء مدهشة
وكحليّة، كل نفَس
هبة في الهواء المنحدر
يا للقسوة حتى جلاميد الصخر
تعرف قساوة أن نكبر هنا
ولا أعرف كيف أقبل
حريّتك، لا أعرف
ماذا أفعل بهذا
الهاوية، هذا الفرح
ماذا ترى، أسأل/صوتي
مصّه الحجر والفضاء
الخارجيّ/أنت نائم، وترى
ما هناك. قربك
أنحني وأفوت.

***

أنظر، ها أنت تقف
في الطرف الآخر من النافذة
الآن يلمع
جسدك في الغرفة
المعتمة/تنهض فوقي
ناعمًا، باردًا، وأبيض
كالحجر/لك رائحة الأنفاق
ولك رائحة الوقت الكثير
كان ينبغي عليّ أن أستخدم أوراق الأشجار
والفضة كي أصدّك
ولكنّني تجمّعت
لستَ عصفورًا فأنت لا تطير
ولستَ حيوانًا فأنت لا تعدو
ولستَ رجلًا
فمك عدم
حيث يلمسني أتبدّد
مثل الدّهر عليّ تهبط
كالأرض تهوي عليّ.

■ هو آخر من شوهد

تمشي نحوي
حاملًا موتًا جديدًا
الموتَ الذي هو لي وليس لأحد غيري.
وجهكَ فضّة
منبسط ومقشور مثل سمكة
الموت الذي تحضره إليّ
أحدب، له شكل
مقابض أبواب، وأقمار
وثقّالات أوراق زجاجيّة
في داخله، ثلج وندف
ماحقة من ذهب
تسقط إلى الأبد
فوق منظر مزخرف،
رجل وامرأة يشبكان يديهما ويركضان.

***

لا أستطيع أن أفعل شيئًا يجعلك
تتمهّل، لا شيء سوف يجعلك تصل أبكر
أنت جادّ، وحامل هدايا،
تضع قدمًا
أمام أخرى
طيلة الأسابيع والأشهر، عبر
الصخور، وخارج الحفر وليالي
البحر العميقة التي بلا نجوم
صوب أرض صلبة وآمنة.

* ترجمة: ت.خ

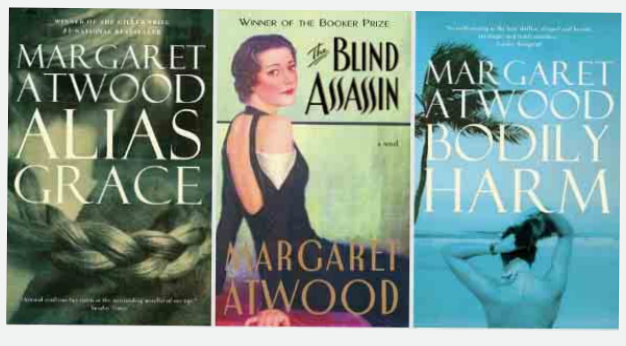

صناعة الحياة وتكريس الموت

لطفية الدليمي
كاتبة من العراق تقيم في عمان

❏ غالبا ما يعمل الفن في الجهة المضادة لصناعة التاريخ، فيعمد الفنان إلى اختراق تحصينات التاريخ ويفضح هشاشته ينضو عنه أردية القداسة الزائفة، يفكك مادته ويسمو عليه بابتداع الجمال وتعزيز الحياة بمتع من موسيقى وألوان ومنحوتات ورؤى، فيبقى التاريخ جثة عفنة مبهرجة ببريق الذهب والأكاذيب ومبالغات الرواة والمدونين الرسميين، بينما يختص جسد الفن بشهوة الحياة والرغبات، وينجز تمرده على قداسة التاريخ الفائضة عن حاجة الحياة، هذا ما تفصح عنه فنون دلمون وسومر وأثينا وروما وبابل والمكسيك والهند والصين وهي تبوح بما يحجبه التاريخ من خلجات الإنسان وتوهجاته ورؤاه.

الفن ريح شغف تضيء عتمات الزمن، تنبثق من الجهة الأخرى للحلم، وتفتح للبشر أبواب الدهشة والمتع السامية والمرح البنّاء الذي ينعش ويحفز ويدفع المرء للتنافس والتقدم والإنجاز، ويبقى التاريخ ركاما من أحداث وأسماء غزاة وبرك دم وصرخات، بينما يتجاوز الفن التاريخ لينعش الأمل ويثري المخيلة بالأزاهير والجمال والوعود، محتفيا بالروح والجسد، وهو يقيم مآدب للجمال المهدد ويحفظ ذاكرة الناس..وتجسدات أحلامهم وشطحات أخيلتهم الساحرة.

ولكن بمَ يحتفي التاريخ؟ وماذا يروي لنا في مدوناته وأسفاره؟

إنه يحتفي بالموتى والفاتكين وجغرافيا الألم البشري، يحتفي بالجماجم والسيوف والسم والمكيدة والمسدسات والدبابات والطائرات المقاتلة، يمجد لنا الغزاة المولعين بالدم.. مجانين العظمة والحالمين بإمبراطوريات الظلام.. بينما يقدم لنا الفن الجميل -سواء كان أدبا أو نحتا أو رسما أو موسيقى- قصص أولئك الذين يغيرون حياة البشر ويجملون الأمكنة وينسجون الحلم الإنساني من المفردات والأنغام والألوان فتغتني بإبداعاتهم أزمنة الناس وتتعزز قيم الجموع وتجد في الفن الجميل متنفسا وملاذا وبوابة للأحلام.

ويأتي صنّاع تاريخ الموت من الدكتاتوريين والمتشددين ليدمّروا ما أبدعه عباقرة الفن والأدب بحشد من الجنود المبرمجين للفتك والاغتصاب والنهب، جعلوهم حشودا من آلات صماء موجّهة للتدمير وتحويل الحياة والفن والسلام إلى ألم وحزن وثكل ورماد..

التاريخ ينجب خطاب القوة والغطرسة والقتل، وبالتالي يعلي من شأن ذكورة القاتلين فيعدّهم أبطالا ويمجد أعمالهم ويهمل ما يقاسيه البشر من عنفهم وجبروتهم، بينما يدوّن الفن ما يهمله المؤرخون من فواجع تسبب فيها صناع الألم لجموع النساء على مر العصور..

الفن صنو الحياة وتوأمها الفاتن ورديف الأنوثة الجميل، وبالفن تتقدم الخطى نحو أرض الحلم الإنساني، وبالفن تنسى آلام التاريخ وفواجعه، وعبر مرايا الفن نجد أنفسنا وقد تخففت من الأحزان واليأس ونسيت أو تناست ما سببه صناع التاريخ من جراح وندوب في أرواح البشر..

"الفن يشتهي الحياة" هذا ما قاله نيتشه، الذي اعترف في لحظة التباس "الحياة امرأة"، لم يقلها في سياق تمجيد الأنوثة بل في باب ذم النساء، لكننا لو ربطنا بين المقولتين نجد أن الفن كثير الاعتداد بالأنوثة لأنها التجلي الفعلي لجمال الحياة وديمومتها، المرأة مجاز نيتشوي للفن والحياة، ومن يكره الفن فسيكره النساء واهبات الحياة، وعابدو التاريخ المتلبثون في رداء الأسلاف لا متسع في عقولهم لحب الفن وعشق الجمال واحترام الأنوثة.. فتترافق عندهم كراهية الفن والإبداع مع ذكورية عنيفة متشددة تجهر باحتقار النساء..

أما المجتمعات التي تتذوق الموسيقى وتنصت وتتأمل، والشعوب التي تتمتع بالفنون الجميلة وتتلقى نتاج الإبداع كجزء من تفاصيل الحياة اليومية وأساسياتها، وتتربّى على أهمية الفن في صقل الشخصية وتنمية ذائقتها الجمالية، فإنها تميل إلى السلام وتحتفي بالجمال وتعاف العنف وتحترم الأنوثة، وكلما حرم الناس من التمتع بالفنون، قست قلوبهم وضمرت أرواحهم وخشنت طباعهم وصاروا أكثر ميلا إلى العنف وإشعال الحروب واضطهاد النساء.

صوت الصحراء في ليالي رمضان

فرقة «كيل آسوف» تشعل ليل القاهرة بالموسيقى

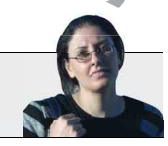

ناهد خزام
كاتبة من مصر

❏ فرقة "كيل أسوف" هي فرقة موسيقية تعتمد على إعادة صياغة التراث الموسيقي لقبائل الطوارق، فتمزج الإيقاعات التقليدية بألوان موسيقية منوعة مثل "الريغي" و"البلوز" و"الروك". وهي منذ تأسيسها في عام 2006 لم تتخل عن تلك الروح التي ميزتها بين العديد من الفرق الموسيقية الأخرى في أوروبا. تتألف الفرقة من موسيقيين من أصول طوارقية يعيش معظمهم اليوم في بروكسل، ويتواجد أفرادها حالياً في القاهرة للمشاركة في فعاليات مهرجان حي الغنائي الذي ينظمه مسرح الجنينة خلال شهر رمضان من كل عام.

تضيف الفرقة بطابعها المميز ونوعية الموسيقى التي تقدمها رصيداً جديداً إلى هذا المهرجان الذي يحتفي هذا العام بدورته الحادية عشر، واستطاع عبر دوراته السابقة الانفتاح على العديد من أشكال الموسيقى في الشرق والغرب مع التركيز على أنواع الموسيقى التي تمزج بين الثقافات. فرقة كيل آسوف هي أحد هذه الفرق التي تتميز موسيقاها بالمزج بين أنماط موسيقية متنوعة، فمن خلال تواجد أعضاء الفرقة في أوروبا تأثروا بالعديد من الأساليب والتراكيب الموسيقية المنتشرة هناك وتمكنوا من خلق مزيج فيما بينها وبين التراث المحلي في بلادهم. وكانت النتيجة متمثلة في نوع فريد من الإيقاع يمثل مزيجاً من صخب الطبول الأفريقية والأصوات الصارخة لآلات العزف الغربية ومشاعر الشجن التي يبثها الجمع بين صوت الناي المتواصل كالبكاء ونغمات الآلات الوترية، ما لفت إليهم الأنظار في أوروبا وجعلهم من أكثر الفرق ذات الأصول الأفريقية لفتاً للانتباه.

كان حضور الفرقة لافتاً على مسرح الجنينة في القاهرة بأزيائهم المحلية المبهجة وإيقاعات موسيقاهم التي ملأت جوانب المسرح المفتوح بهجة دفعت الجمهور إلى التجاوب معهم على الرغم من وقع الكلمات الغريب على الآذان. بدأ "أنانا هارونا" وهو مؤسس الفرقة العرض بعزف صاخب على الجيتار الكهربائي بمساعدة مجموعة اللاعبين على الإيقاع، ومالبث أن تدخل صوت الأورج الكهربائي بإيقاعاته الحادة، ومثل هذا المزج بين الجيتار والأورج مدخلاً صاخباً وجيداً لقلوب الجماهير التي ملأت ساحة المسرح عن كامله، ومع دخول صوت "الكونترباز" حتى خفت حدة الإيقاع قليلاً ليفسح المجال لصوت مغنية الفرقة "تولو كيكي"، وهو صوت قادم من أعماق الصحراء، يحاكي عويل الرياح ووطأة الهجير، لقد أضاف صوت المغنية تولو كيكي بطبقته الحادة والحانية في آن حيوية على أجواء المسرح. تراوحت الأغنيات بين أغاني الحب والمنفى والحنين إلى الوطن، في إيقاعات تمزج بخفة بين موسيقى "البلوز" الحزينة، وصخب الطبول الأفريقية.

ولد مؤسس الفرقة "أنانا هارونا" في مالي ثم انتقل للعيش في النيجر ومنها هاجر إلى بلجيكا حيث يقيم الآن في مدينة بروكسيل في شكل دائم. ومن هناك أسس فرقته تلك والتي اختار لها اسماً باللغة الطوارقية يعني "أبن الأبدية"، ومثلت الفرقة عند ظهورها على المسارح الأوربية نموذجاً للتعايش بين الثقافات، إذ تختلط تجربتهم الموسيقية والحياتية بالعديد من التأثيرات، وخلافاً لطبيعة موسيقاهم، مثلت هيئتهم المميزة نموذجاً مثيراً للجمهور الأوربي، فهم يرتدون العباءات أو الجينز والسترات الجلدية مع غطاء الرأس المميز لقبائل الطوارق، فرغم وجودهم في أوروبا لما يزيد عن عشر سنوات إلا أن أرواحهم مازالت تهيم في الصحراء وتختلط حرارتها بدمائهم حسب تعبير "هارونا" مؤسس الفرقة. وهم يتخذون من الموسيقى والغناء وسيلة لتمرير رسائلهم عن الألم والمعاناة والحب والاغتراب والمقاومة، فالموسيقى كما تقول المغنية "تولو كيكي" أنسب وسيلة للمقاومة من دون الإضرار بأي أحد. وتضيف كيكي، إن اللغة التي نغني بها لا تمثل عائقاً للتواصل مع الجمهور، فهي لغة غير مألوفة للكثيرين، غير أن الأصوات والطاقة الكامنة في الموسيقى تمثل لغة عالمية يفهمها الجميع.

مسرح الجنينة، وهو هيئة مستقلة عن المؤسسة الثقافية الرسمية، وافتتح في حديقة الأزهر قبل عشر سنوات تقريباً بهدف تقديم برامج موسيقية ومسرحية متنوعة على مدار العام، تقدم معظمها فرق ومجموعات فنية مستقلة من مصر والمنطقة العربية. كما يسعى إلى تقديم التجارب الفنية الرائدة والمتميزة، والتي تسعى إلى استكشاف آفاق إبداعية جديدة.

يذكر أن مهرجان حي هذا العام يتزامن مع الاحتفال بعيد الموسيقى الـ 35 الذي يحتفى به في في 21 يونيو من كل عام، وانطلقت أولى فعالياته بمبادرة فرنسية في عام 1982 لتعزيز حضور الموسيقى في الفضاء العام من خلال دعم الموسيقيين المحترفين والهواة على تقديم موسيقاهم المتنوعة في شوارع مدن العالم المشاركة. ويحوز الحدث الدولي أهمية استثنائية مطردة باعتباره الاحتفالية الموسيقية العالمية الوحيدة المجانية في الهواء الطلق، كما يشهد حضوراً متزايداً على الساحة العالمية بعد أن احتضنت حوالي 700 مدينة في 120 بلداً دورته السابقة لعام 2015.

"كيل أسوف" حضور قاهري لافت

> كان حضور الفرقة لافتاً على مسرح الجنينة في القاهرة بأزيائهم المحلية المبهجة وإيقاعات موسيقاهم التي ملأت جوانب المسرح المفتوح بهجة دفعت الجمهور إلى التجاوب معهم على الرغم من وقع الكلمات الغريب على الآذان

مغاربيون يعيشون في بلجيكا ويستلهمون التراث

عبد الحليم حافظ لم يكن قديسا

مسلسل وفيلم عن حياة «رومانسية»

سعد القرش
روائي من مصر

❏ كان مسلسل «أسمهان» استثناء يؤكد قاعدة غير ذهبية في الأعمال الفنية العربية عن سير المشاهير. لا شيء يدين هؤلاء لو تناولتهم الأفلام والمسلسلات بشرا من لحم ودم، يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، ويغارون من الآخرين، ويدبرون المكائد، بدلا من جعلهم قديسين بينهم وبين الملائكية خطوة، لا يتردد صناع العمل الفني أحيانا في دفع صاحب الكرامة إلى أن يخطوها فيصير ملاكا. نجح مسلسل «الملك فاروق» في نفي ما أشيع عن إدمانه على الشراب، ولكنه رسّخ صورة كاذبة عن الملك الأقرب إلى أبطال التراجيديات الإغريقية، وتجاهل حقائق تاريخية سجلها شهود عن ملك مقامر، مريض بالاستحواذ، وتغويه السرقات الصغيرة. تلك ندوب وفجوات تغتفر للضعف الإنساني وتثري الدراما، ولكنّ للتمويل وشبكات الإنتاج أدوارا وأغراضا أخرى في «لعبة الأمم»، وصياغة تاريخ رموزها.

وقد خلا مسلسل «أم كلثوم» إلا مما يرسّخ صورتها المهيبة الراسخة أصلا في الذاكرة الجمعية، بعيدا عن تفاصيل ومواقف كانت ستدعو المشاهد إلى الاقتراب من ميراث الماضي، ذلك العبء النفسي الذي ينهش في الذاكرة، ويدفع «النجم» إلى حرق مراحل المرارة، وافتعال خصومات تعفيه من دفع فاتورة إلى أصحاب الفضل، فيصير قاتلا على نحو أو آخر. لا تأبه أم كلثوم لآلام محمد القصبجي العاشق الصامت، بعد «رق الحبيب». تجاهل «المعلم» أنها صارت «الست»، «صاحبة العصمة»، وأنه جزء من ماض غير مسموح له بالصراخ «أنا اللي صنعتك»، فيكون جزاؤه القتل الرحيم، وترفض ألحانه، ويصاب بعقدة نفسية وانعدام ثقة، وتتآكل ذاكرته وينسى جملا لحنية، فتعزله من رئاسة فرقتها الموسيقية، وتعهد بذلك إلى عازف القانون محمد عبده صالح، ويستمر القصبجي مجرد عازف، موجود وغير موجود، بقايا هائم خلا وجهه حتى ممّا يدل على التبرّم.

روى أحمد فؤاد نجم أن عبدالحليم شبانة كان زميلا له في ملجأ للأيتام في محافظة الشرقية. ثم أصبح نجم شاعرا صعلوكا غير مبال، وأنكر عبدالحليم «حافظ» معرفته به. كان حضور نجم يذكّر عبدالحليم «النجم» بتاريخ لا يليق بالمجد الجديد، ولم يقتصر هذا الإنكار على رفيق فقر الطفولة، وإنما امتد ليشمل بقسوة محمد الموجي، رفيق الخطوات الأولى وسنوات الصعود، منذ لحن لعبدالحليم أغنيته الأولى «صافيني مرة». كنت أقرأ قصة سيرة حياة عبدالحليم، وتشمل مذكراته التي نشرت عام 1957 في مجلة «الكواكب» المصرية، وشهادات لأخيه إسماعيل شبانة، وأحمد فؤاد حسن وبليغ حمدي وكمال الطويل والشاعر مجدي نجيب الذي كتب بضعة فصول أحدها عنوانه «دموع الموجي».

في نهاية عام 1968 كان مجدي نجيب في زيارة للموجي الحزين بسبب خصومة بدأها عبدالحليم، ولا يريد إنهاءها، عقابا للموجي على منح ألحانه لمطربين آخرين. قال الموجي إن عبدالحليم «يريد احتكار ألحاني». موقف يكرّر أزمة القصبجي مع أم كلثوم، ولكن الأقدار لم تشأ للمأساة أن تكتمل بين الموجي وعبدالحليم. كان القصبجي قد أحدث ثورة لحنية بأعمال منها «قلبي دليلي» و«اضحك كركر» لليلى مراد، وبلغ ذروته في تلحين «إمتى هتعرف إمتى» و«اسقنيها بأبي أنت وأمي» و«يا طيور» لأسمهان «الحاجز الصوتي الذي لم تستطع مطربات عصرنا اجتيازه حتى الآن»، كما وصفها كمال النجمي. وتذكر رتيبة الحفني في كتابها «محمد القصبجي: الموسيقي العاشق» أن أم كلثوم «أحسّت بخطورة هذا الصوت عليها، فعملت على حصر ألحان القصبجي لها، إلا أن القصبجي تعلق بأسمهان واستمر يمدها بالألحان».

كان الموجي يعيش على عائد ألحانه، ولا ينفق على أسرته من عمل آخر، ولا يليق بصديقه أن يمارس عليه وصاية، وفي الوقت نفسه يغني ألحان آخرين أبرزهم بليغ حمدي في ذلك الوقت. قال الموجي في استياء وغضب «عبدالحليم مدين لي بنجاحه في رحلة الغناء التي بدأناها سويا.. لا أقبل جحوده الإنساني، فلا تغترّ برومانسيّته إنها مجرد قناع يستخدمه أمام جمهوره». ما لا يمكن لقارئ المذكرات نسيانه أو غفرانه لعبدالحليم أنّ الموجي كان يقول هذا الكلام يوم عيد ميلاد ابنته «غنوة»، ويحتاج بعض المال لشراء هدايا وإقامة احتفال عائلي بهذه المناسبة، وأرسل إلى عبدالحليم يطلب بعض المال فاعتذر. بكى الموجي، ثم قال إنه اتّصل مرة ثانية بعبدالحليم، وأوضح أنه لا يطلب «منحة»، وإنما «سلفة» تخصم من حساب ألحان قادمة ستنتجها شركة «صوت الفن» التي يمتلكها محمد عبدالوهاب وعبدالحليم. كان الموجي يرتعش، وفي اليوم التالي أصيب وجهه بشلل نصفي، وعجز بضعة أيّام عن الكلام.

لم يكن لهذه الندوب النفسية ذكر في فيلم «حليم» أو مسلسل «العندليب»، وقبلهما فيلم ومسلسل عن أم كلثوم. الأعمال الفنية ذات البعد الواحد، أو الخالية من الأبعاد، تتعفف عن ذلك، وتكتفي بتصوير النجوم نبلاء وقديسين وشهداء، حصّنوا أنفسهم من شراك نصبها أوغاد في مجتمع لا يرحم. هكذا يكون المشاهد مهيأ لتقديس حكّامه، أولئك معصومون من الخطأ، في الوعي العام والأفلام، منذ «الناصر صلاح الدين» إلى ما بعد «ناصر 56».

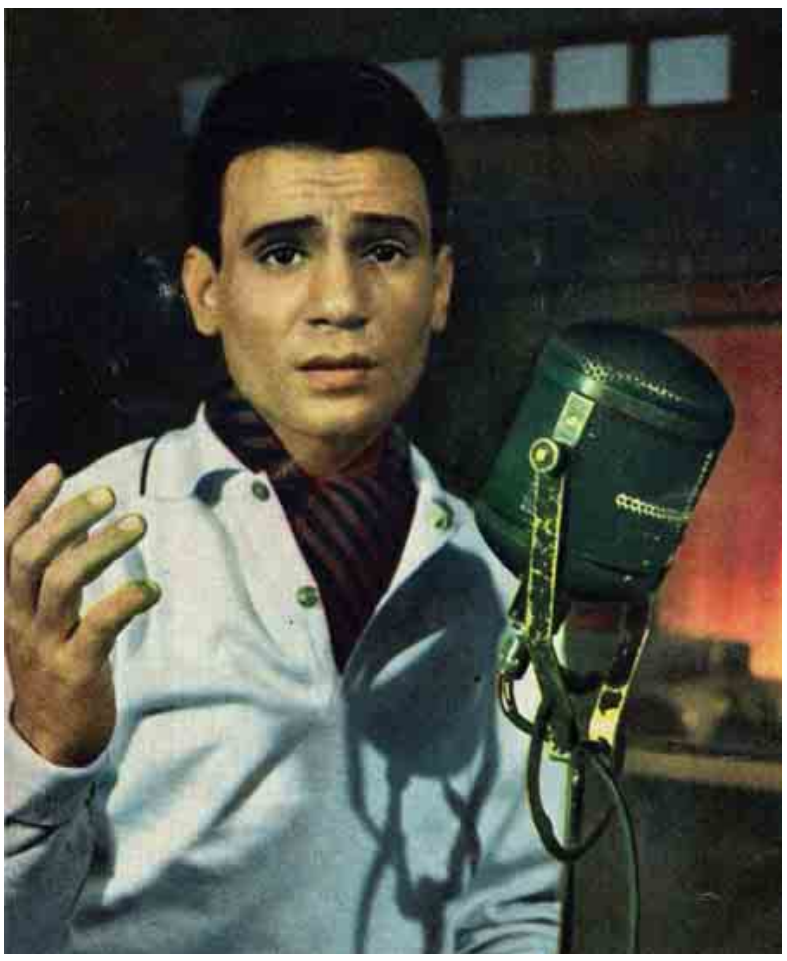

هل كانت رومانسيته مجرد قناع يخفي شخصية جاحدة؟

أصغر فرهادي والإفلات المستمر من الرقابة

الفيلم الإيراني «البائع» المغزى الأخلاقي للانتقام

أمير العمري
ناقد سينمائي من مصر

❑ ينتمي المخرج أصغر فرهادي (44 سنة) إلى تيار في السينما الإيرانية يمكن أن نطلق عليه تيار "سينما ما بعد كياروستامي" أي أنه يتجاوز الأسلوب الذي عرف به المخرج عباس كياروستامي، الذي خرج من معطفه معظم أبناء "جيل الموجة الجديدة" في السينما الإيرانية، فعلى العكس من كياروستامي الذي يعتمد أسلوبا يقوم على قدر كبير من التجريد، يطغى عليه الطابع التسجيلي، يعتمد فرهادي على بناء سينمائي أكثر درامية، رغم أنه ينطلق عادة من موقف صغير، أو حدث أو مأزق ما، يدور في معظم أفلامه حول مشاكل الحياة الزوجية، وتأزم العلاقة بين الأسرة والمجتمع، وتعتمد أفلامه على شخصيات مركبة وعلى المشاهد والتداعيات التي يطرح من خلالها الكثير من الأسئلة.

> تتجسد معالم الأسلوب الواقعي الهادئ لفرهادي من خلال الاهتمام بأدق التفاصيل في الحبكة، مراعاة الاستفادة من كل تفاصيل المكان وتوظيفها من أجل خدمة الدراما، بل جعلها جزءا من الحدث نفسه

سياسيا ينتمي فرهادي إلى ما يطلق عليه التيار الإصلاحي في السياسة الإيرانية، وقد أيد علانية حركة الربيع الأخضر التي انطلقت في أعقاب الانتخابات الرئاسية في 2009، كما شارك بنفسه أكثر من مرة في التظاهرات. لكن فرهادي ليس مثل قوبادي وبناهي وغيرهما من الذين يعملون في سينما "تحت الأرض" أي بعيدا عن عيون السلطات بشكل ما، ضاربين عرض الحائط بالرقابة، ثم يتمكنون من تهريب أفلامهم إلى الخارج، فهو يعمل في ظل ما يسمح به النظام، ورغم أن فيلمه الجديد "البائع" ليس هو بائع آرثر ميللر بل هو شخصية ستظهر في النصف الثاني من الفيلم وتستأثر باهتمام الحبكة السينمائية. ومن خلال تلك الشخصية سيصبح مطلوبا من المشاهدين تحديد موقف، لكن هذا لن يتحقق بسهولة فالمسألة ستصبح أكثر تعقيدا، من الزاوية الإنسانية ومن الزاوية الأخلاقية. فأثناء غياب عماد، تتعرض رنا لاعتداء لكننا لا نرى هذا الاعتداء الذي سنفهم بشكل ما ومن خلال أسلوب التورية المفروض على الأفلام الإيرانية، أنه اعتداء جنسي أو بالأحرى، اغتصاب، أو على الأقل محاولة اغتصاب من قبل رجل غامض ضغط على الجرس من الخارج ففتحت له ظنا منها أنه لا بد أن يكون عماد، ففاجأها عندما كانت في الحمام. وهذه الرواية سنعرفها بتفاصيلها من خلال ما سترويه رنا لعماد، وما ستقوله الجارة له بعد أن يحضر الى المنزل لكي يرى بقعا من الدماء على الأرض ولا يجد زوجته بل سيعرف من الجارة أيضا أنها نقلت إلى المستشفى، وهناك ستتلقى علاجا بسيطا وتخرج في حالة اضطراب شديد بل صدمة. لن نشاهد اقتحام المعتدي الحمام والاعتداء المفاجئ على رنا كما كان سيفعل مثلا هيتشكوك، الذي يميل بعض نقاد الغرب في تشبيه أسلوب فرهادي بأسلوبه، وهو ما نرى أنه نتاج "المركزية الثقافية الأوروبية" التي تميل عادة إلى إرجاع كثير مما تراه متميزا في الأفلام غير الأوروبية، إلى أصول أوروبية، أدبية أو سينمائية. والغريب أن فيلما مثل "البائع" إذا ما قارناه مع ما كان يصنعه هيتشكوك سيبدو عملا شديد السذاجة، فالتشويق عند هيتشكوك لا يحدث، كما نرى هنا، بل يتخذ شكلا مباشرا محسوسا.. أما هنا فعماد سيكتشف وجود شاحنة صغيرة في الشارع لم تتحرك منذ مدة، فيستنتج أنها شاحنة الرجل المعتدي، وأنه ربما كان في عجلة من أمره فآثر الفرار دون أن يتمكن من ركوبها وقيادتها. ومن هنا سيبحث عن صاحب الشاحنة ويستعين بأحد طلابه في المدرسة لديه قريب في إدارة المرور يتصل به ليأتيه باسم السائق، ليتوصل عماد إليه ويكتشف أنه بائع فطائر وخبز أي صاحب مخبز، ثم يدبر له مكيدة فيدعوه لنقل بعض الأشياء من منزله باستخدام هذه الشاحنة، ثم يواجهه بما ارتكبه، ويحبسه ويرفض أن يدعه يخرج، بل يقوم أيضا بعقد نوع من المحاكمة له، وخلال ذلك سنرى كيف أن رنا أي الضحية، هي التي ستقوم بدور المحامي، وهي التي ستطلب له الرأفة، وكيف أن "المجرم" المفترض رجل مسكين ضعيف.

المشكلة هنا أن هناك فعل اعتداء وقع على الزوجة وتسبب في بعض التداعيات: أولها هل يمكن اعتبار عماد مسؤولا بسبب غيابه عن رنا؟ وهل يمكن اعتبار رنا المسؤولة بسبب إهمالها عندما فتحت فتح الباب لأول طارق دون أن تتأكد من هويته؟ أم أن الرجل الذي حصل لهما على الشقة هو المسؤول بعد أن "ورّطهما" في شقة مشبوهة كان يتردد عليها الرجال؟ وهل يتحمّل المعتدي المسؤولية بينما هو كان يعتقد أن رنا ليست رنا وإنما الساكنة القديمة التي كان يتردد عليها من قبل أي العاهرة؟ ولكنه -كما نعرف من خلال الحوار (على العكس مما كان يصوره هيتشكوك بالطبع)- فوجئ بمقاومتها فلجأ إلى استخدم القوة معها؟ وهل يجب أن ينال الرجل العقاب بينما ترى أنه يعاني من تدهور صحي ويفقد وعيه ويدخل في نوبة قلبية يكاد يفقد على إثرها حياته؟ وهل كان الأمر يستحق استدعاء أبناء الرجل وزوجته لإطلاعهم على حقيقة الرجل، أي فضحه وتجريسه أمام ابنته التي تستعد للزواج وجاءت بصحبة خطيبها، وزوجته التي تردد في لوعة إنها تعتبره "كل حياتها"؟

كل هذه تساؤلات يطرحها الفيلم من خلال تلك التداعيات المشهدية التي تقوم على ذلك الموقف-المدخل إلى تلك الدراما التي تشير على نحو مستتر أيضا، إلى ما يسود المجتمع الإيراني من خلل وتشقق أخلاقي على الرغم من كل ادعاءات "الأسلمة"، وكل تلك العقوبات المشددة القائمة. هنا نجد أن هناك أيضا اعترافا واضحا مباشرا بوجود الدعارة في مجتمع "الجمهورية الإسلامية" ولو على سبيل الاضطرار وبفعل الحاجة إلى الانفاق على ابن تعوله المرأة التي لا تجد رعاية أو عونا من جانب الدولة، كما نرى أن هناك رجالا لا يجدون غضاضة في خيانة زوجاتهم والتردد على العاهرات، ثم ارتكاب جرائم عنف أيضا.

أسلوب فرهادي

هنا تتجسد معالم الأسلوب الواقعي الهادئ لفرهادي من خلال الاهتمام بأدق التفاصيل في الحبكة، مراعاة الاستفادة من كل تفاصيل المكان وتوظيفها من أجل خدمة الدراما، بل جعلها جزءا من الحدث نفسه، استخدام الأطفال من أجل خلق نوع من التواصل بين الرجل والمرأة، وفي طيات المشهد أيضا، نجد نقدا مستترا للتزمت الأخلاقي والاجتماعي المفروض بفعل القيم الموروثة.

هنا سنرى كيف تصرّ رنا على بقاء طفل هو ابن جارتها لكي يلهو ويلعب، ويخفف بوجوده من التوتر الذي نشأ بينها وبين عماد بعد أن أصبح إلحاحها عليه مؤرقا ومعذبا لكليهما، وعندما يجتمع الثلاثة حول مائدة الطعام لتناول وجبة الغذاء التي أعدتها رنا، يتوقف عماد فجأة ويسألها من أين جاءت بالمال الذي اشترت به المواد الغذائية فقد نسي أن يترك لها مبلغا في الصباح قبل أن يخرج؟ فتقول رنا إنها وجدت بعض المال على المنضدة في غرفة النوم، فيدرك أن هذا المال هو ما تركه الرجل مفترضا أنه سيدفع للمرأة العاهرة مقابل ما حصل عليه (هنا يبدو أن هناك بعض الاضطراب في الحبكة فاستخدام الرجل للعنف حتى تسيل الدماء بعد إصابة رنا بجرح واضح في جبهتها، يتناقض مع دفعه المقابل المالي بعد انقضاء الغرض!). المهم أن عماد بعد أن يعرف مصدر المال الذي اشترت به الطعام، يتوقف عن الأكل ويطلب من رنا والطفل التوقف عن تناوله لأنه مشترى من "مال حرام"!

الحرام والحلال، والعيب والفضيحة، كلها مفاهيم مطروحة بقوة في طيات الفيلم، فهل من الحلال أن يتم تعذيب رجل مريض طاعن في السن حتى بعد أن يعترف بخطئه ويتعهد بالتوبة؟ وهل من الحلال أو من المشروع أخلاقيا ودينيا أن يتم فضح الرجل أمام أسرته؟ وهل كان قرار الزوجين عدم إبلاغ الشرطة بالحادث قرارا صائبا بدعوى التستر على "الفضيحة"، أم كان من الواجب ترك الأمر للسلطات لكي تنزل العقاب بالجاني؟

المشكلة الرئيسية في هذا البناء تتمثل في كثرة الانتقال بين القصة الواقعية ومسرحية آرثر ميللر، دون وجود علاقة مباشرة واضحة للمشاهدين ممّن لا يشترط أن يكونوا قد قرأوا المسرحية ويحفظون ما فيها عن ظهر قلب، لكي يمكنهم استنتاج المغزى، كما أنه من الصعب تقبل العلاقة بين عمل مسرحي يدور في الجنوب الأميركي، وتقديم للمسرحية نفسها بأزياء وأشكال وتقاليد إيرانية تماما إلا لو كان المقصود هو فقط تصوير ذلك التناقض والسخرية منه، ولكن تكرار العودة إلى المسرحية يقلل من تأثير ذلك.

أخيرا لعل ما يرفع كثيرا من قيمة الفيلم ذلك الأداء الساحر للممثلين وعلى رأسهم بالطبع شهاب حسيني (في دور عماد)، وباباك كريمي (في دور الرجل المعتدي "باباك")، والممثلة البديعة ترانه عليدوستي التي تتمرد على قيود الرقابة بأن تكشف مقدمة شعرها بخصلاته التي تنسدل على جبهتها، كما تفعل الممثلات الإيرانيات في الأفلام التي لا تنتمي للتيار الرسمي المتشدد.

وقد جاءت إلى مهرجان كان أيضا وظهرت أمام الصحفيين وهي ترتدي أحدث الازياء وأرقها، وتكشف عن جمالها الخلاب، بعد أن جعلت من "غطاء الرأس" حلية إضافية، لإبراز مزيد من الجمال الطبيعي.

> «البائع» ليس هو بائع آرثر ميللر بل هو شخصية ستظهر في النصف الثاني من الفيلم وتستأثر باهتمام الحبكة السينمائية. ومن خلال تلك الشخصية سيصبح مطلوبا من المشاهدين تحديد موقف، لكن هذا لن يتحقق بسهولة فالمسألة ستصبح أكثر تعقيدا، من الزاوية الإنسانية ومن الزاوية الأخلاقية

في الفيلم الكثير مما يخالف قواعد الرقابة الإيرانية على السينما: موضوع يقوم على العنف، اعتداء جنسي، إشارات واضحة إلى الدعارة، تعذيب نفسي شديد للمذنب ودفعه للانهيار الجسدي، سخرية من الرقابة نفسها.. ولكن رغم ذلك يظل فرهادي متمسكا بوقوف الرجل على مسافة من زوجته حتى بعد أن تعرضت لأكبر صدمة يمكن أن تتعرض لها امرأة، فيواسيها دون أن يلمسها، يتحدث إليها حديث صديق لصديقه، دون أن "يتورط" في استخدام أيّ كلمات عاطفية.. فهي تظل من "المحظورات"!

أصغر فرهادي يحصد النجاح في مهرجان كان

من التمويل الفرنسي إلا أنه أنتج في ظل نظام الرقابة السائد في إيران، لكن فرهادي اعتاد أن يعثر رغم ذلك، على وسائله الخاصة للالتفاف حول الكثير من "القيود" الرقابية. لذلك فهو من السينمائيين الذين لا يحظون برضا المؤسسة الرسمية التي تطالب بعدم وضع اسم إيران أمام أفلامه التي تشارك في المهرجانات السينمائية الدولية!

فيلمه الجديد "البائع" شارك في مسابقة مهرجان كان السينمائي الأخير، وفاز بجائزتين هما أحسن إخراج وأحسن سيناريو، وكان أحد الأفلام الأربعة التي رشحت للفوز بالسعفة الذهبية. ولا شك أننا أمام عمل متميز وإن كان لا يبدو بنفس قوة وبريق الفيلم الذي كان سببا في ذيوع شهرة مخرجه، فيلم "انفصال نادر وسيمين" (2009) الذي حصل على أوسكار أحسن فيلم أجنبي.

مشاكل الأسرة

مرة أخرى نحن في إطار الأسرة من الداخل، زوج وزوجة، عماد ورنا، تتعرض الشقة التي يقيمان فيها لشروخ مدمرة بفعل هزة أرضية، وكأنما فرهادي يريد من البداية أن يوحي للمشاهدين بأن الواقع الإيراني نفسه مهتز، يرقد فوق بركان، والحياة الشخصية للأفراد مهددة، إما بفعل الكوارث الطبيعية (يستخدمها هنا مجازا) أو بفعل الخطيئة البشرية في مجتمع لا يكف عن تلقين البشر ضرورة التحلي بالقيم الأخلاقية.

بمساعدة صديق له يتمكن عماد من العثور على شقة أخرى بديلة في الطابق الأخير من عمارة سكنية بأحد أحياء الطبقة الوسطى في طهران، وهناك غرفة واحدة داخل هذه الشقة محظور استخدامها، لكن رنا تصرّ على فتحها لتجد بداخلها بعض متعلقات الساكنة السابقة للشقة التي سنعرف أنها كانت "تستقبل رجالا كثيرين في مسكنها"، وأن هناك من بين الأشياء أيضا ما يوحي بأنه كان لديها طفل صغير. ورغم إصرار رنا على ضرورة أن تحضر المرأة لنقل أشيائها إلا أن هذا لا يتحقق، بدعوى أنها لم تعثر بعد على مكان بديل. ويؤدي هذا الموقف المعقد إلى التوتر بين عماد وصديقه الذي كان وسيطا في عملية استئجار الشقة، فالرجل يعتقد أنه أدى للزوجين خدمة، لكن عماد يلومه على توريطهما في هذه الشقة "المشبوهة"، غير أنه لم يعد من السهل الانتقال مجددا في الوقت الراهن، بل أصبح الحلّ هو ببساطة نقل أشياء الساكنة السابقة إلى ردهة فارغة خارج الشقة فوق السطح وتغطية هذه المنقولات بغطاء من البلاستيك لحمايتها من المطر!

عماد مدرّس يقوم بتعليم طلاب الثانوي الأدب، ولكنه أيضا ممثل يشترك بالتمثيل في فرقة مسرحية مع زوجته رنا. والاثنان يشتركان في تدريبات على مسرحية آرثر ميللر الشهيرة "موت بائع متجول". وسوف يظل فرهادي ينتقل من متابعة ما يتعرض له عماد ورنا، إلى مشاهد التدريبات المسرحية، يسوق من خلالها بعض التعليقات الساخرة التي تتعلق بالرقابة الإيرانية كما نرى عندما يسخر ممثل شاب من رنا التي يفترض أنها تؤدي دور زوجة بطل المسرحية العارية تماما من ملابسها بينما رنا ترتدي ملابس تغطّي جسدها بكامله كما تضع باروكة من الشعر المستعار الأبيض الذي يجعلها تبدو أكبر سنا، كما يرد في سياق التدريبات أيضا أن الرقابة ربما ستعترض على بعض المشاهد وعبارات الحوار.

تعقيدات الحبكة

لكن "البائع" ليس هو بائع آرثر ميللر بل هو شخصية ستظهر في النصف الثاني من الفيلم وتستأثر باهتمام الحبكة السينمائية. ومن خلال تلك الشخصية سيصبح مطلوبا من المشاهدين تحديد موقف، لكن هذا لن يتحقق

■ أخبار سياحية

◄قبرص تحظى بشركة طيران جديدة

■ شركة طيران جديدة تبدأ عملها في مطلع يوليو في قبرص على أمل مواكبة الانتعاش الكبير في القطاع السياحي الذي تشهده الجزيرة المتوسطية.

وتأمل شركة "كوبالت" في سد ثغرة ربط قبرص بالشرق الأوسط وأوروبا، بالإضافة إلى أنها تريد أن تنظم على الأمد الطويل رحلات منتظمة نحو 16 وجهة بينها بيروت ولندن وأثينا.

ويشكل انطلاق كوبالت أملا حقيقيا لأطراف القطاع السياحي الذي يشكل الرئة الاقتصادية لقبرص.

◄موسم شتوي مصري دون بريطانيين

■ الخطوط الجوية البريطانية تمدد تعليق رحلاتها إلى منتجع شرم الشيخ المصري لأجل غير مسمى لتصبح أول شركة طيران بريطانية كبيرة تلغي رحلات موسم السياحة الشتوية المهم في مصر.

وقالت الخطوط البريطانية في بيان لها "سلامة وأمن عملائنا سيظلان دائما على رأس أولوياتنا وقد قرّرنا تعليق رحلاتنا من جاتويك إلى شرم الشيخ لأجل غير مسمى". وأضافت أن العملاء الحاجزين على أيّ من الرحلات الملغاة لموسم الشتاء سيستردون أيّ مبالغ دفعوها بالكامل أو يحق لهم وضع الأموال في أيّ رحلة جديدة.

◄بيرو ستدشن قطارا فندقيا جديدا

■ إحدى الشركات السياحية في بيرو تسعى إلى إعداد خطط لتسيير قطار فندقي فاخر جديد سينقل المسافرين من مدينة "كوكسو" إلى بحيرة "تيتيكاكا".

وأعلنت شركة "بلموند" للسياحة أن قطارها "إنديان إكسبلورر" من المنتظر أن ينطلق في مايو 2017، ليتسع لـ68 راكبا. وفي القطار الفاخر الجديد لن تكون هناك أيّ تذاكر، حيث أن شركة بلموند ستقدم أربع جولات على المراسي ونزهات قصيرة. وسيسافر الركاب في كبائن مزدوجة مزودة بحمام ومرحاض ويمكن أن يختاروا بين مقصورة مزدوجة أو مفردة.

◄الحيد المرجاني يهدد سياحة أستراليا

■ مركز أبحاث مقره كانبيرا يصدر تقريرا بأن عملية التبييض التي يتعرض لها الحيد المرجاني العظيم قد تؤدي لانخفاض أعداد زائريه بواقع مليون شخص، كما قد تكبد قطاع السياحة خسائر تقدر بمئات الملايين من الدولارات سنويا.

وقال المعهد الأسترالي في تقرير إن "الانخفاض الكبير في أعداد الزائرين قد يؤدي لتكبد قطاع السياحة خسائر كبيرة وفقدان 10 آلاف وظيفة"، مؤكدا أنه على الرغم من أن الكثير من الزوار المحتملين قد يسعون للتوجه لمقاصد سياحية أسترالية أخرى "إلا أن 175 ألف زائر قد لا يأتون.

◄2.6 مليون زائر بمهرجان موازين المغربي

■ إدارة موازين إيقاعات العالم أبرز مهرجان موسيقي سنوي في المغرب تقول إن 2.6 مليون زائر توافدوا على حفلات وأنشطة الدورة الخامسة عشرة للمهرجان في الفترة من 20 إلى 28 مايو الماضي.

وشاركت مجموعة كبيرة من النجوم العرب والأجانب في إحياء حفلات المهرجان هذا العام، بالإضافة إلى أن المهرجان أقيم على سبعة مسارح في الرباط وسلا، خصص كلّ منها للون مختلف من الموسيقى والغناء بين الأفريقي والغربي والشرقي والعالمي.

◄تدريب مضيفات طيران الصين عسكريا

■ مضيفات الطيران في الصين يخضعن لتدريبات عسكرية شاقة، لاكتساب مهارات قتالية تمنحهنّ القدرة على مواجهة الركاب الذين يحاولون إثارة أعمال الشغب على متن الطائرة.

وتجبر المرشحات للعمل كمضيفات طيران، على ممارسة تدريبات شاقة من بينها المصارعة في الوحل وحمل جذوع الأشجار الثقيلة.

وعلى كل فتاة ترغب بالعمل كمضيفة طيران أن تمرّ بهذه التدريبات القاسية، قبل أن تنتقل إلى مراحل أخرى من الدورة التي تؤهلها للعمل على متن الطائرات.

البتراء منحوتة في الصخر وتنحت في الذاكرة

المدينة الوردية إحدى عجائب الدنيا السبع دون زائرين

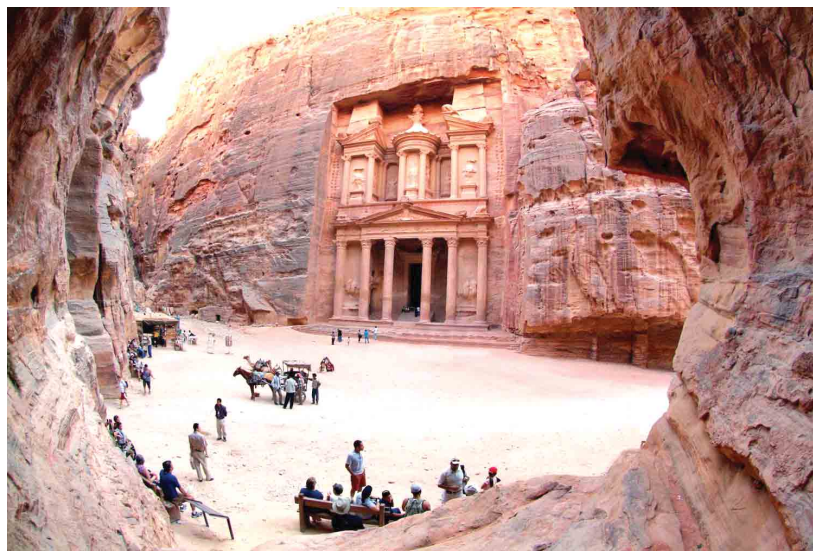

فجوة تطل على عراقة تاريخ

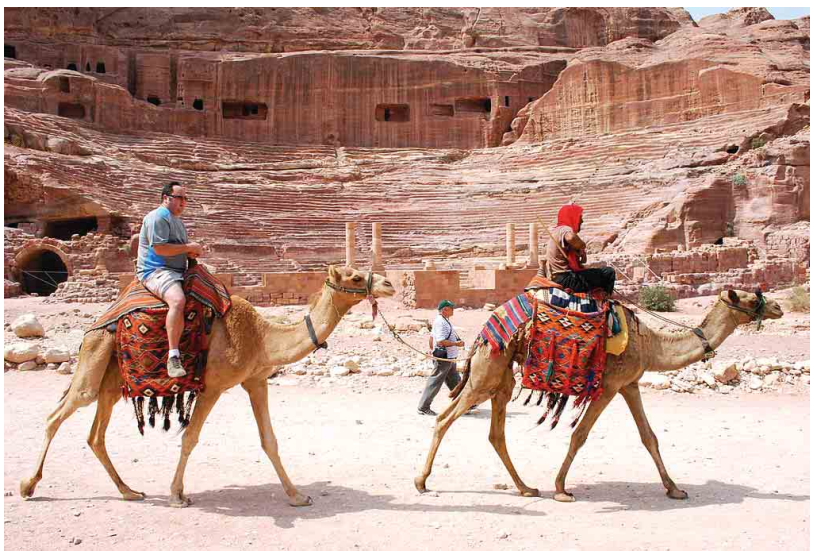

يحبّذ محبو المعالم الأثرية والمواقع التاريخية والباحثين عن روح المغامرة واستكشاف المجهول التوجّه إلى أكثر الوجهات السياحية توفيرا لذلك، لكنّهم في الآن ذاته يفضّلون أكثر الأماكن السياحية أمنا واستقرارا سياسيا. وهذا ما دفع بالحكومة الأردنية إلى بذل مجهودات مضاعفة لتوفير الأمن والنهوض بالقطاع السياحي الذي تمثّل مدينة البتراء أهم وأبرز أقطابه، لا سيما وأنها تعد من الكنوز التاريخية والنفائس التراثية والدينية المنحوتة في الصخر.

❑ **البتراء (الأردن)** – كشفت مصادر إخبارية أردنية عن تراجع عدد السيّاح الأجانب إلى مدينة البتراء أو ما يعرف بـ"المدينة الوردية" بنسبة 10.6 بالمئة خلال الشهور الخمسة الأولى من العام 2016 مقارنة بالعام 2015.

وبحسب محمد النوافلة رئيس مجلس مفوّضي سلطة إقليم البتراء فإنه لم يشفع لمدينة البتراء الأردنية اختيارها في 2007 ضمن لائحة عجائب الدنيا السبع "الجديدة" التي تم التوصل إليها، بعد عملية تصويت شعبية استمرت عدة أشهر، وشارك فيها نحو 70 مليون شخص حول العالم، ولا إدراجها ضمن قائمة التراث العالمي لليونسكو.

وأرجع النوافلة تراجع صناعة السياحة في البتراء، إلى الأحداث التي تمرّ بها المنطقة حيث قال "البتراء جزء من الأردن الذي هو جزء من العالم، فهو يؤثر ويتأثر بما حوله من اضطرابات تشهدها المنطقة.. التأثير طال الحركة السياحية برمتها". وأشار النوافلة إلى أن الجهات الحكومية في البتراء تعمل في الوقت الحالي على إيجاد منتج جديد في المدينة، "وإحياء الفعاليات التي تسهم في استقطاب وتنشيط السياحة المحلية عوضا عن تراجع أعداد السياحة الوافدة".

وتأمل الجهات الحكومية في أن تكلّل جهودها في النهوض بالسياحة في المدينة الوردية بالنجاح، لا سيما وأن مدينة البتراء الواقعة في محافظة معان في جنوب الأردن مدينة أثرية وتاريخية تشتهر بعمارتها المنحوتة في الصخور، بالإضافة إلى أنها واحدة من أهم الوجهات السياحية لزعماء العالم.

كما أن البتراء تعد في الوقت الراهن، رمزا للأردن، وأكثر الأماكن جذبا للسياح على مستوى المملكة، خصوصا وأنها تضم تنوعا ثقافيا وفنيا، عائدا إلى كونها كانت في القديم مركزا للتجارة الدولية.

وقد لقبت البتراء بـ"سلع"، و"المدينة الوردية" و"مدينة الأنباط"، و"أثمن كنوز الأردن"، و"أجمل المواقع السياحية"، و"إحدى عجائب الدنيا السبع" وكل هذه الأسماء والألقاب التي أطلقت عليها نحتها العرب الأنباط في الصخر.

وتقع هذه المدينة التاريخية التي بناها الأنباط في العام 400 قبل الميلاد، جنوب الأردن وتبعد 225 كيلومترا من العاصمة عمّان إلى الغرب من الطريق الرئيسي الذي يصل بين العاصمة ومدينة العقبة. ولولا مكتشفها جوهان بيركهارد الذي أخرجها إلى العالم سنة 1812 م لظلت دفينة صخورها.

ويقام في البتراء سنويا ومنذ عام 2005، مهرجان البتراء السياحي الثقافي، لتشجيع السياحة الداخلية والعربية والتعريف بأهم معالم المدينة، علما وأنها تضمّ عددا كبيرا من الفنادق لاستيعاب الأعداد الكبيرة من الزائرين لمحمية الآثار في المدينة.

وتعتبر البتراء، التي نحتها العرب الأنباط في الصخر حيث تقع على منحدرات جبل المذبح بين مجموعة من الجبال الصخرية الشاهقة، نقطة وصل وتلاق بين شبه الجزيرة العربية جنوبا وبلاد الشام شمالا إلى قلب أوروبا وحتى الصين عن طريق تجارة الحرير والتوابل.

وتجمع هذه المدينة الأثرية عشاق المغامرة بمحبي التراث عند بوابة الدخول إليها، إذ لا يمكن الدخول إلى قلب المدينة إلا بالمسير عن طريق "السيق" وهو شقّ صخري هائل يتلوى بطول حوالي 1200 متر وبعرض يتراوح من 3 إلى 12 مترا، ويصل ارتفاعه إلى أكثر من 80 مترا من الصخور الملوّنة والمتنوعة الأشكال، وأرضية من الحصى.

ويعتبر الجزء الأكبر من السيق الذي هو بمثابة الطريق الرئيس المؤدي لمدينة البتراء، طبيعيا، بينما الجزء الآخر منه نحته الأنباط، وينتهي السيق في الجهة المقابلة للخزنة.

وعلى السائح قطع السيق سيرا على الأقدام على امتداد كيلومتر، لأنه لا يسمح باستعمال السيارات أيًا كان نوعها، وفي حال تعذّر على الزائر السير لا سيما إذا كان كبيرا في السنّ يسمح له باستئجار الخيول أو الجمال أو عربة تجرّها الخيول.

البتراء المدينة الأثرية المنحوتة في الصخور تعد واحدة من أهم الوجهات السياحية لزعماء العالم

وبإمكان السائح أن يمتع نظره أثناء السير بمشاهدة بقايا لقوس يمثل بوابة المدينة في بداية السيق، وبقنوات لجرّ المياه موجودة على جانبيه، وهي ممتدّة من عيون وادي موسى في الخارج إلى المدينة في الداخل. كما يمكن مشاهدة السدود الجانبية، التي أقيمت في مكان السدود النبطية الأصلية، لمنع تدفق المياه إلى السيق، وحجزها والاستفادة منها.

ويحظى السائح كذلك بمشاهدة جزء من أرضية السيق المبلطة ببلاطات حجرية، بالإضافة إلى جوانبه التي زينت بالمنحوتات النبطية ومعظمها منحوتات تمثل آلهة، علما وأن تماثيل الآلهة ومحاريبها قريبة جدا من هذه القنوات بل وملاصقة لها أحيانا.

كما يمكن أيضا مشاهدة مجموعة من المنحوتات على الجانب الأيسر من السيق تُعرف باسم "أصنام سابينوس"، وقد سُمّيت هذه المجموعة بهذا الاسم لوجود نقش باليونانية تحت الحنية الثانية على يسار الزائر وهو متجه إلى آخر السيق.

وأول مشهد يقابل السائح في نهاية السيق هو مشهد لأشهر معالم البتراء وأكثرها أهمية ألا وهو "الخزنة المشهورة" واللوحة الفنية التي تعلوها والبالغ ارتفاعها 43 مترا وعرضها 30 مترا، والمثير للإعجاب والدهشة أن هذه اللوحة منحوتة في الصخر الوردي بحيث كلما أشرقت عليها الشمس تعكس ألوانا ساحرة.

وتنطق هذه اللوحة بالقدرة الهندسية الدقيقة للعصور السابقة كما أنها شاهد على عظمة الحضارات القديمة، لا سيما وأنها صنفت على أنها تحفة فنية نادرة.

وتعد الخزنة بوابة الولوج إلى المدينة ونقطة الانطلاق لاستكشاف كل نفائسها التاريخية والاستمتاع بها، حيث يوجد تنوع هندسي كبير نحت بكل دقة على الصخور الوردية كالمدافن المزيّنة بالنقوش الغريبة والتي ظلّت صامدة عبر التاريخ، والمسرح الذي يتّسع لأكثر من ثلاثة آلاف متفرج وهو مبنيّ على الطّراز الروماني. كما تنتشر في أنحاء المدينة المعابد وأماكن تقديم القرابين والشوارع المبلّطة المحفوفة بالأعمدة.

وعلى مرتفع عال من مدينة البتراء نحت "الدير" الذي يعتبر من أبرز المواقع الرائعة في المدينة، وقد نحت من الصخر بأشكال فنية تحمل روح الإبداع والفن.

ويمكن الوصول إلى هذا الدّير عن طريق سلالم وأدراج يبلغ عددها 800 درجة، ويحظى الزائر إذا ما تسنّى له الصعود حتى قمّة الدير بمشهد فريد يكشف سحر المدينة الوردية.

ويحتاج السائح لاستكشاف المكان والتعرّف على بعض معالم المدينة إلى يومين أو أكثر، ويساعده على ذلك وجود متحفين بالمدينة "متحف البتراء الأثري" و"متحف البتراء النبطي".

ويعرض كلا المتحفين نماذج من الأدوات والقطع الأثرية التي وقع اكتشافها أثناء عمليّات البحث والتنقيب التي جرت وتجري في البتراء وما حولها من المناطق.

ويلمس الزائر في هذه القطع الأثرية المتواجدة في المتحفين عراقة المدينة الصخرية، إذ يحتوي المتحف النبطي على ما يقارب الـ600 قطعة أثرية معروضة في خزائن العرض، حيث يتألّف من ثلاث قاعات رئيسية: القاعة الأولى تشتمل شرحا عن تاريخ الأنباط وجيولوجية البتراء، بالإضافة إلى قطع أثرية تعود إلى العصر الحجري الحديث.

أما القاعة الثانية، فهي مخصصة للمكتشفات من الحفريات الأثرية، ومرتّبة حسب تسلسلها الزمني. كما تضمّ هذه القاعة نبذة تاريخية عن الزلازل والتجارة النبطية وطرق القوافل والبتراء في العصور الوسطى.

أما القاعة الثالثة، فتحتوي على مجموعة من الأسرجة الفخارية حسب تطور صناعتها، والتماثيل البرونزية والفخارية والأطباق الملونة والعادية وقطع العملات، والحلي والمجوهرات، بالإضافة إلى بعض القطع الفخارية والجرار مختلفة الأحجام.

وتوجد على مشارف السيق مدينة "وادي موسى"، وهي مدينة يتوقف فيها السياح المتجهون في طريقهم إلى آثار البتراء، ويوجد فيها أكثر من 50 فندقا ومنتجعا والكثير من محلات التحف والبازارات والمطاعم السياحية التي تقدم الخدمات لزوار المدينة الأثرية وللمنطقة.

وعلى أبواب البتراء أقام السكان المحليون أكشاكا تعرض صناعات يدوية تراثية كالفخار والحليّ والزجاجات الملونة التي يمكن اقتناؤها كتذكارات جميلة.

وعلى مقربة من المدينة يوجد جبل هارون الذي يعتقد أنه يضمّ قبر النبي هارون والينابيع التي ضرب موسى بعصاه الصخر فتفجرت، فللمدينة أهمية دينية وتاريخية. ويوجد مقام هارون في البتراء وعلى أحد قممها المطلّة على المدينة الأثرية بارتفاع 1353 مترا عن سطح البحر.

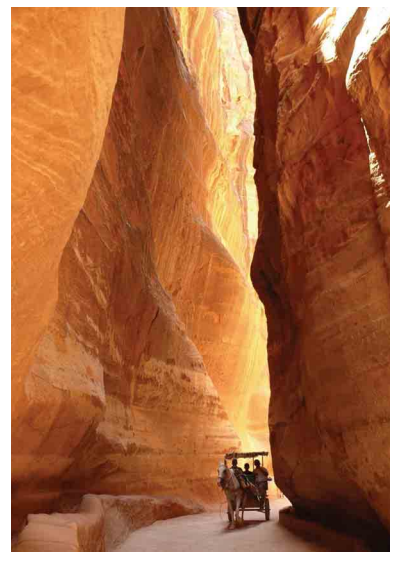

وظائف شاغرة في الكوكب الأحمر

«المريخ بحاجة إليك» إعلانات مهنية متاحة يوما ما

تسعى وكالات الفضاء إلى استقطاب البشر للعيش والعمل بعيدا عن كوكب الأرض، حيث توجهت الأنظار في الفترة الأخيرة إلى ملصقات إعلانية تعلن عن وظائف شاغرة بالمريخ قامت وكالة الفضاء الأميركية ناسا بنشرها على موقعها الإلكتروني. ويرى العلماء في هذا الإعلان ما يغذي الخطط المستقبلية في الانتقال إلى الفضاء.

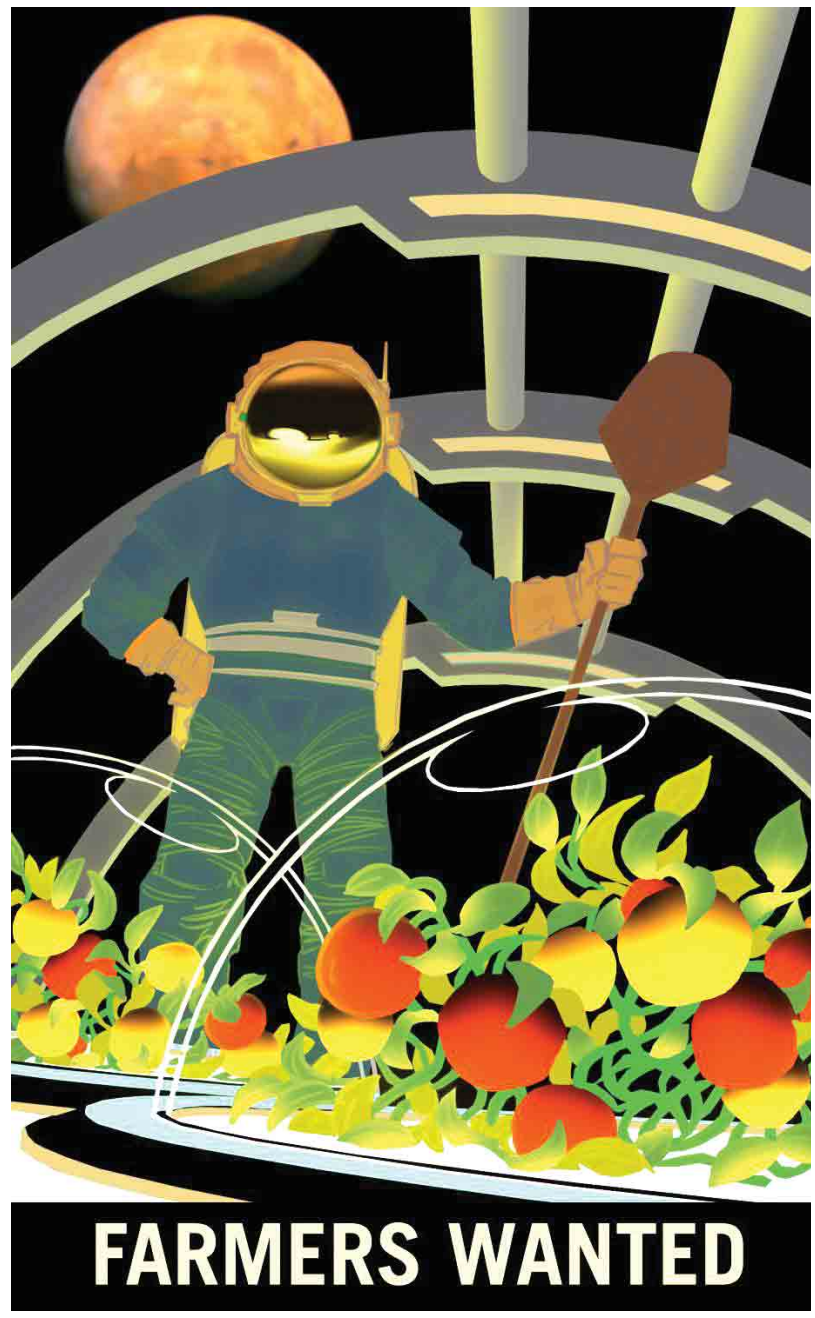

الاستعداد لزراعة المريخ

❏ **لندن** – شهدت الآونة الأخيرة تكثيف وكالة الفضاء الأميركية ناسا لمجهوداتها الرامية إلى الانتقال بالبشر من الأرض إلى عالم الفضاء.

ويعتقد العلماء أن السير نحو الفضاء بات من أهم الخطط المستقبلية، لا سيما بعد ما تناقلت الكثير من المصادر الإعلامية إعلان ناسا عن وظائف شاغرة بالمريخ.

ويعتبر البعض أن فكرة استيطان الفضاء ليست جديدة لكنهم يرون في ما تداولته العديد من وسائل الإعلام حول إعلان ناسا عن وظائف شاغرة بالمريخ، ما يطرح الكثير من التساؤلات هل هو مزحة أم أنه نتيجة طبيعية لكمّ المجهودات المبذولة من قبل الوكالة لفتح آفاق تمكّنها من الانتقال بالبشر بحدود المسافة الفاصلة بين الأرض والمريخ والتي تتراوح في المتوسط بين 78 مليون كيلومتر (أدنى مسافة، عند وضع التقابل) و378 مليون كيلومتر (أقصى مسافة، عند وضع الاقتران).

وكانت ناسا قد نشرت على موقعها الإلكتروني منذ أسبوعين ملصقات إعلانية تحتوي على ما اعتبرته وظائف متاحة على سطح المريخ.

وأطلقت ناسا هذا الإعلان تحت عنوان "المريخ بحاجة إليك"، وضمنته ما رأت أنه وظائف شاغرة، فقد شمل إعلانها المهندسين والباحثين والمزارعين والمعلمين وبعض المهن الأخرى.

ويرى البعض في ما نشرته ناسا أيضا تشجيعا على السياحة الفضائية، إذ أنها بالإضافة إلى تقديمها لعروض العمل أفادت في إعلانها أن من سيقبل العمل بالمريخ سيحظى بمتعة مشاهدة النظام الشمسي من أعالي الجبال، ورؤية كوكبي فوبوس وديموس.

وحملت عروض ناسا ترحيبا بكل الراغبين في العمل ليلا على سطح كوكب فوبوس، مؤكدة أنها ستوفر لهم مكتبا يطل على المريخ من فوبوس.

وحددت الوكالة في إطار تحضيرها للحياة المستقبلية على كوكب المريخ، طبيعة الوظائف المطلوبة، موضحة حاجتها إلى أشخاص يزرعون الطماطم، الخس، الفاصولياء، والفجل.

وأعلنت ناسا أنها تشجع أصحاب المواهب الخاصة أن يكونوا ضمن طاقمها في المريخ، وذلك لوضع تصورات حول مستقبل الحياة في الكوكب الأحمر، مشيرة في سياق الوظائف الشاغرة أيضا إلى أنها بحاجة إلى فنيين يقومون بتركيب الأجهزة والبيوت والمركبات الفضائية.

وشددت ناسا على حاجتها لمن يشغل هذه الوظائف وغيرها من المهن التي من شأنها تعمير المريخ، إلا أنها لم تحدد موعدا محددا لذلك بل اكتفت بالإشارة إلى أن ذلك سيحصل يوما ما.

وحاولت وكالة الفضاء الأميركية سابقا توفير عمل للأطباء في المريخ بإنشاء قسم للمرضى، إلا أن ذلك باء بالفشل، حيث أفاد مايكل بارات، طبيب ورائد فضاء بوكالة ناسا، أواخر العام الماضي، بأن المهندسين كانوا يخططون عام 1991 لوضع قسم للمرضى كامل التجهيز في محطة الفضاء الدولية، إلا أنهم تراجعوا أماما فشل بعض التجارب الجراحية الاختبارية التي تم إجراؤها على أرانب مخدرة أثناء رحلات جوية كانت فيها الجاذبية منعدمة.

ومع ذلك أبدى بارات تفاؤلا بأن المريخ سيحصل على طاقم طبي مستقبلا حيث عبّر عن ذلك بالقول "إن إنشاء قسم للمرضى في الفضاء سيصبح قطعا حقيقة في المستقبل، ولكن يجب أن يكون لديك عدد معين من أفراد الطاقم، وحجم معين للمركبات الفضائية، ومستوى من البعد قبل كسر حاجز التكاليف والفوائد".

> ناسا تؤكد رغبتها في التحضير لاستيطان بشري طويل الأمد على سطح المريخ

وخاضت وكالة الفضاء الأميركية أيضا تجربة الزراعة على كوكب المريخ، حيث أعلنت في أغسطس 2015 عن تناول روّاد الفضاء أول طعام تتم زراعته وحصده خارج كوكب الأرض.

وتأمل ناسا ووكالات أخرى أن يمهّد هذا المحصول لزرع أنواع أخرى من النباتات في الفضاء وفي وقت أسرع، ليتم استخدامها في رحلات الفضاء الطويلة على غرار التي يُجرى التخطيط لها حاليا إلى كوكب المريخ.

ولا تنفكّ ناسا تحاول تذليل الصعوبات التي يمكن أن توجّهها على سطح المريخ، ففي شهر أبريل الماضي استعان فريق من مركز التحكّم الأرضي التابع لها بذراع آلية للانتهاء من عملية تركيب وحدة تجريبية تنفخ بالهواء لإقامة الرواد والباحثين وحتى السياح بمحطة الفضاء الدولية.

وأفادت ناسا أواخر 2015 أنها تملك أدلة تؤكد وجود مياه سائلة على سطح المريخ تؤهله أن يكون صالحا للحياة. وقال جون غرونسفيلد المدير المساعد لناسا إن "مياها مالحة على شكل جداول تتدفق اليوم على سطح المريخ"، مبينا أنه "لطالما كان استكشافنا للمريخ يرتكز على البحث عن المياه في إطار سعينا إلى اكتشاف شكل من أشكال الحياة في الكون، وبات لدينا الآن مؤشرات علمية مقنعة تؤكد ما كنا نشتبه به".

وكانت الوكالة قد أعلنت العام الماضي، رغبتها بالتحضير لاستيطان بشري طويل الأمد على سطح المريخ، على أن تبدأ بإرسال أول دفعة إلى هناك في العام 2021.

وهذا الحلم لا يقتصر على ناسا، فقد سبق وأعلنت شركة "مارس وان" الهولاندية في العام 2012 برنامجها لبناء مستعمرة بشرية دائمة على الكوكب الأحمر مع قدوم العام 2025.

ويتوقّع ماسك، الرئيس التنفيذي لشركتي «سبيس إكس» أن يصل الناس إلى المريخ بحلول 2025، قائلا إن شركة سبيس إكسبلوريش، ستبدأ في إرسال الناس إلى الكوكب الأحمر في 2024، ويستغرق وصولهم أشهرا.

والجدير بالذكر، أن العديد من الدراسات ركزت على كوكب المريخ، وآخرها كتاب نشره المؤلف ستيفن بيترانك مطلع الشهر الحالي تحت عنوان "كيفية العيش على المريخ"، يسلط الضوء على الاكتشافات والأبحاث التي تجري من قبل العلماء لاكتشاف المزيد من أسرار كوكب المريخ الذي يأمل الإنسان أن يعيش فيه مستقبلا.

جديد التكنولوجيا

❏ منصة الفيديو يوتيوب تعلن أن مقاطع الإعلانات الجديدة لا يمكن تخطيها. وأكدت الشركة الأميركية أن مقاطع الفيديو المعروفة باسم "بمبر" والمصممة خصيصا للهواتف الذكية يتم تشغيلها لمدة 6 ثوان كحد أقصى ولا يمكن إيقافها بعد عدة ثوان من تشغيلها، بخلاف مقاطع الإعلانات التي يتم تشغيلها قبل مقاطع فيديو يوتيوب.

وأوضح مدير شركة غوغل زاك لوبي أن الوظيفة الجديدة تخاطب فئة العملاء من 18 إلى 49 عاما، والذين يستخدمون منصة يوتيوب عبر الأجهزة الجوالة بشكل خاص.

❏ شركة "سامسونغ إلكترونيكس" أكبر شركة إلكترونيات في كوريا الجنوبية تكشف النقاب عن نسخة جديدة من الكمبيوتر اللوحي منخفض الثمن "جالاكسي تاب إيه" وقالت إن النسخة الجديدة تضمن اتصالا أفضل بعالم الترفيه.

وذكرت سامسونغ أن النسخة منخفضة الثمن من الكمبيوتر اللوحي توفر أفضل الاستخدامات التي يحتاجها المستخدم لممارسة الألعاب ومشاهدة ملفات الفيديو. كما أن خاصية "الاتصال السريع" الموجودة في الجهاز الجديد تسهل ربطه بأي جهاز تلفزيون أو هاتف ذكي لتبادل المحتويات.

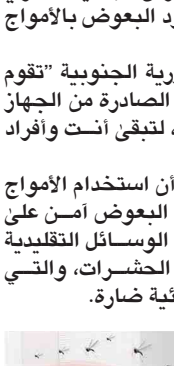

❏ أعلنت مجلة هارفارد بزنس ريفيو العربية، التي تصدر عن هيكل ميديا، عن إطلاق تطبيق "نصيحة هارفارد بزنس ريفيو العربية "على الهواتف الذكية.

ويتضمن التطبيق نصائح يومية للمديرين والتنفيذيين في قطاع الأعمال، تساعدهم في تطوير مهاراتهم واكتساب مهارات جديدة كل يوم، حيث يمكن للمستخدمين قراءة النصيحة ومن ثم الحصول على تفاصيل أكثر من خلال زيارة المقال الخاص بالنصيحة على موقع هارفارد بزنس ريفيو العربية. ويمكن للمشتركين تحميل التطبيق على متجر تطبيقات أبل ومتجر غوغل بلاي.

❏ شركة "إل جي" العملاقة في مجال الإلكترونيات تعلن عن تسويق شاشة تلفزيون جديدة في الأسواق الهندية تحتوي على جهاز قادر على طرد البعوض بالأمواج فوق الصوتية.

وقالت الشركة الكورية الجنوبية "تقوم الأمواج فوق الصوتية الصادرة من الجهاز بطرد البعوض بعيدا، لتبقى أنت وأفراد أسرتك في أمان".

وأشارت إل جي إلى أن استخدام الأمواج فوق الصوتية لطرد البعوض آمن على الصحة، وأفضل من الوسائل التقليدية المستخدمة لمكافحة الحشرات، والتي تحتوي على مواد كيميائية ضارة.

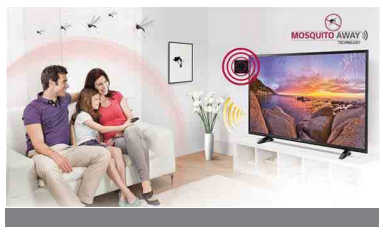

❏ موقع "إنغادغيت" الإلكتروني المعني بأخبار التقنية يكشف أن "آي فون 7" سيأتي مزودا بشريحتي اتصال "سيم"، وإن صحت هذه التسريبات، فسيصبح هذا أول آي فون في تاريخ شركة أبل مزدوج الشريحة منذ إطلاق موديل 2007.

وأشار الموقع إلى أن الهاتف سيكون مزودا بذاكرة عشوائية سعتها 256 غيغابايت وكاميرا مزدوجة العدسة، مع احتفاظ الهاتف بمنفذ السماعات جاك 3.5 ملم الذي أكدت تسريبات سابقة تخلي الشركة عنه والاستعاضة عنه بمنفذ "لايتنينغ" ليكون المصدر الوحيد للشحن والصوت.

أخبار متفرقة

أعضاء بشرية بطعم التفاح

❏ يسعى أندرو بيلينغ وهو عالم في "البيولوجيا التشاركية"، التي تمزج بين التقنية والبيولوجيا، وباحث في علم الأحياء والفيزياء في جامعة أوتاوا، إلى تحويل محل البقالة إلى مكان يمكن شراء لوازم لتجديد أعضاء من الجسم منه.

ويعمل بيلينغ البالغ 37 عاما على أن تكون أبحاثه مبتكرة حيث نشر مؤخرا بحثا يوضح فيه كيف يمكن استخدام التفاح لزراعة أجزاء من جسم الإنسان.

وقال بيلينغ إنه يعمل في مختبره الخاص في جامعة أوتاوا على أحدث مشاريعه الذي يتمثل في خلق أذن "بشرية" بالاعتماد على خلايا مأخوذة من التفاح، وهذه الأذن لا يمكنها السماع وليست نابضة بالحياة كما الأذن البشرية لكنها تحمل نفس الهيكل والخلايا البشرية.

وتكمن أهمية هذا المشروع في أن التفاح غير مكلف بالمقارنة مع طرق الأخرى.

تذوق واستمع

الهاتف الذكي يصنع قهوة بالسيارة

قهوة فورية

❏ فريق من الباحثين الشباب من الجامعة القومية للبحوث التقنية في موسكو يطرح جهازا لتحضير القهوة في سيارة.

وأفاد فريق البحث أنه يمكن وضع هذا الجهاز صغير الحجم في مصطبة للكأس على يمين السائق وهو يعمل بالبطارية ويمكن التحكم فيه بواسطة هاتف ذكي.

يعبّأ وعاء عائد للجهاز تبلغ سعته 350 ميللترا بكبسولتين من البن المسحوق والماء والحليب والسكر أو الشاي. ويمكن استخدام الوعاء الذي تعد فيه القهوة بمثابة كأس للشرب.

ويتوقف زمن التحضير على النوع المطلوب من القهوة وكمية الماء ودرجة الحرارة المطلوبة لتقديم القهوة. وبهذا يمكن للسائق الحصول على قهوة معدة بشكل محترف وهو سائر في طريقه كما يمكن استخدام هذا الجهاز كثلاجة للمشروبات.

سوار رقمي يبعد المزعجين

❏ فريق من المبتكرين يقدم سوارا يساعد مستخدميه على تحديد الأشخاص الذين يسببون لهم القلق أو الاضطراب أو الإزعاج.

ويعتمد السوار الرقمي "والبي" على متابعة وقياس مستوى الضغط لدى المستخدم، وهو أنيق خفيف الوزن، يعمل برشاقة، على رصد ضربات القلب، ويستخدم خوارزمية لتحديد مستويات التوتر لمدة 3 دقائق كل ساعة. ثم يرصد الأوقات والأشخاص الذين يتسببون في توتر المستخدمين وقلقهم، ويساعدهم على التعامل مع الضغط النفسي.

وأوضح المبتكرون أن السوار، المتصل بتطبيق للهاتف الذكي، يحدد أولئك الذين يساهمون في ارتفاع ضغط دم المستخدم ويقوم باستعراض مجموعة من التمارين، التي من شأنها أن تهدّئ أعصاب المستخدم وتساعده على الاسترخاء إذا قام بها.

لا توتر بعد اليوم

عيون بنية أم زرقاء دون عدسات لاصقة

الأزرق بدل البني

❏ طبيب العيون الأميركي جريج هومر يتوصل إلى تقنية جديدة بإمكانها تحويل لون العين من البني إلى الأزرق بواسطة أشعة الليزر. وقال الطبيب، إنه يعمل على تطوير هذه التقنية منذ 10 سنوات، وبأنه توصّل أخيرا إلى طريقة تغيير لون القزحية من دون إصابة أنسجة العين بضرر، وأضاف أن الأمر قابل للتطبيق على كل البشر لأن العيون البنية تحتوي على طبقة زرقاء تحتها مباشرة.

وأوضح أن تفاصيل العملية هي كالآتي "خلال مدة لا تزيد عن 20 ثانية تتم إزالة خلايا اللون البني الموجودة على سطح القزحية بواسطة الليزر". وأضاف "عندما تمتص الخلايا أشعة الليزر يختفي اللون الخارجي ويتحول إلى الأزرق بعد أسبوعين أو ثلاثة أسابيع"، وقال هومر إن التجارب التي تمت حتى الآن لم تتسبب بأيّ ضرر للأنسجة.

الأكوازومبا تحافظ على سلامة العظام وتقوي العضلات

التمارين المائية تخفف الضغط والحمل على العظام

تعد الأكوازومبا أو الزومبا المائية من أكثر الرياضات رواجا في الجمع بين الرقص والتمارين ومتعة السباحة. وكما هو معروف تساعد الحركة داخل الماء في تخفيف الحمل على العضلات وتعزيز قوة تحملها في الآن نفسه.

مقاومة الماء تتطلب من الرياضي زيادة القوة المبذولة

❑ **لندن** – نجح مدربو اللياقة في استقطاب الكثيرين لممارسة رياضة الزومبا واعتمادها إحدى الرياضات المقوية والمحافظة على نسق محترم للياقة البدنية. وبعد النجاح الكبير الذي حققته الزومبا في أميركا الجنوبية، تنتقل هذه الرياضة إلى أحواض السباحة بإيقاعاتها المتناسقة لتساعد على تدريب الكثير من العضلات مع المحافظة على سلامة العظام.

تزيد الأكوازومبا من متعة السباحة؛ وخاصة لأولئك الذين يشعرون بالملل في حمامات السباحة. فالزومبا هي رياضة تعتمد على أداء تمرينات رياضية بشكل راقص على أنغام الموسيقى اللاتينية كالسالسا والتانغو والسامبا.

وللزومبا، بشكل عام، أنواع متعددة كالزومبا "الذهبية" المخصصة لكبار السن والزومبا "المتناغمة والمقوية" التي تساعد على تخفيف الوزن وتقوية عضلات الفخذ والذراع. أما الأكوازومبا فتعني ممارسة الزومبا في الماء، وهي مخصصة لتمرين العضلات مع المحافظة على سلامة العظام، حسبما تؤكد أليانا برنر المتخصصة بعلم الرياضة. وتقول برنر "الأكوازومبا هي مزيج من تدريبات اللياقة المائية والزومبا التقليدية المتمثلة في رقصة السالسا والمعروفة بالتقدم بالقدم اليمنى ثم العودة باليسرى".

وللأكوازومبا فوائد متعددة كتنشيط الدورة الدموية وتمرين الكثير من العضلات كالذراعين والساقين لتصل إلى عضلات البطن والظهر أيضا و"كلما زادت كثافة التمارين ازداد تدريب العضلات".

وتساعد الأكوازومبا على حرق 1000 سعرة حرارية تقريبا في الجلسة الواحدة، فسرعة التدرب على مهارة التنسيق بين أعضاء الجسم تبلغ 50 بالمئة من سرعة التدريب على الأرض، وذلك بسبب مقاومة الماء التي تفوق مقاومة الهواء بمقدار 12 مرة، ما يعني زيادة في المجهود. وتؤكد إحدى السيدات التي تمارس الأكوازومبا "هي تدريبات مجهدة، فداخل الماء أحاول أن أسرع أكثر، ما يساعدني على حرق المزيد من السعرات الحرارية".

وتحافظ تمارين الأكوازومبا على سلامة المفاصل، وخاصة لأولئك الذين يعانون من زيادة في الوزن، إذ يخفف الماء من الضغط على العظام. وعدم النجاح في أداء حركات الأكوازومبا بدقة لا يعني الاستسلام، وكل متمرّن يمكنه القيام بالحركات التي تناسبه، فالمتعة أثناء التمرين أهم من دقة الأداء.

وزومبا تعني التحرك بسرعة واستمتاع وهي عبارة عن مزيج من الرقص اللاتيني مثل السالسا والريغيتون ومامبو وروميا والمرينغة والأيروبيكس والهيب هوب والبيلي دانس. وتتميز هذه الرقصة بالحيوية، فالأشخاص بمختلف الأعمار يمكنهم ممارسة الزومبا دون الحاجة للتدريب عليها أو حتى أن يكونوا على معرفة سابقة بتفاصيل حركاتها.

وأشار باحثون إلى أن النساء يرين أن ممارسة التمارين الرياضية التقليدية صعبة الممارسة ومملة ولكن ظهور رقصة الزومبا لاقى استحسانا وإقبالا كبيرين من جميع نساء العالم لأنها تعدّ من الرقصات السهلة والسريعة ولها قدرة عالية على حرق الدهون والقضاء على السعرات الحرارية.

وتمد رقصة الزومبا ممارسيها بالحيوية والفرح والنشاط وتعدّ من أسرع أنواع التمارين الرياضية انتشارا في العالم، حيث يتلقى حوالى 14 مليون شخص حول العالم دروسا أسبوعية لرقصة الزومبا. وتعتمد الزومبا على القيام بتسخين خفيف من خلال موسيقى هادئة ثم تبدأ بالتصاعد تدريجيا مع زيادة سرعة الحركات الجسمية.

ويمتدح البروفيسور إنغو فروبوزه من الجامعة الرياضية الألمانية، الفكرة الأساسية التي تقوم عليها تمارين الزومبا والتي تجمع بين حرية الحركة وتمارين قوة التحمل. وأوضح فروبوزه "يشعر الكثير من الأشخاص بالمتعة عند ممارسة الحركة بحرية من دون إيقاع محدد، وربطها بنشاط رياضي يُمكن للجسم الاستفادة منه".

وأشار إلى أن تمارين الزومبا المكثفة لا تتناسب مع الأشخاص المبتدئين في ممارسة الرياضة إلا بشروط، من ضمنها أن تكون للشخص خبرة سابقة في الرقص. ولفت الألماني فروبوزه إلى أنها قد تُعرّض الأشخاص المصابين بأمراض عصبية للخطر نتيجة حركاتها الدورانية المتتالية والسريعة.

وأكد الخبير الرياضي عدم اقتناعه بأن ممارسة تمارين الزومبا لساعة تعمل على حرق كمية من السعرات الحرارية تصل إلى 1000 سعرة حرارية، كما يروج المدربون. كما أصرّ على أن ذلك يعد مبالغة كبيرة.

ويرجح شق آخر من الباحثين أن تتراوح كمية السعرات الحرارية التي تساعد الزومبا على حرقها بين 500 إلى 800 سعرة حرارية، في الساعة. وكشفت البحوث على أن هذا النوع من الرياضات يقضي على الاكتئاب لأن الاشتراك في دروس تعلم الزومبا هو أشبه بحضور حفل راقص كبير وأن أفضل ما فيها أنها لا تحتاج من الشخص أن يكون راقصا جيدا أو لديه مهارات سابقة حتى يتمكن من الاشتراك في هذه الدروس.

1000

سعرة حرارية تساعد الأكوازومبا على حرقها تقريبا في الجلسة الواحدة

وتعمل الزومبا على تحسين المزاج وتصفية الذهن وتخفيض الإجهاد والزيادة من الثقة في النفس، فالأبحاث أكّدت أنه بعد ممارسة الزومبا يكون مستوى هرمون الأندروفين عالياً وهذا الهرمون هو المسؤول عن الإحساس بالسعادة، لذلك نجد أن الأطباء النفسيين ينصحون مرضى الاكتئاب بحضور حصص الرقص لرفع نسبة هرمون الأندروفين بالدم طبيعياً دون اللجوء إلى تناول الأدوية.

وأثبتت التجارب أنه أثناء ممارسة رقصة الزومبا يجد المتدرب نفسه يحرك كل أعضاء الجسم وعضلاته خلال تمارين مكثفة تشمل النصفين العلوي والسفلي للجسم وتشده وتملؤه نشاطا وحيوية وتجدد طاقته. وتقوم الحركات المتناغمة مع الإيقاعات بشد عضلات البطن المرتخية والأرداف والأذرع وتعمل على تقوية عضلات الحوض وتقلل من آلام الظهر وتقوّي الرئتين وتزيد من مرونة الجسم.

وتعمل هذه الرياضة على تحسين صحة الشرايين والأوعية الدموية المسؤولة عن ضخ الدم للقلب وتبقيه بعيدا عن خطر الإصابة بالسكتات والجلطات. ويحسن المزج بين جملة من التمارين المكثفة داخل الماء من ملامح الوجه و زيادة نضارته لأنها تنشط سير الدورة الدموية وتزيد من نسبة الأكسجين في الجسم.

ويشار إلى أن تمارين الزومبا نشأت صدفة، إذ نسي مدرب اللياقة البدنية الكولومبي بيتو بيريز، ذات مرة، شرائط الموسيقى المخصصة للتمارين الرياضية، التي يدرسها في إحدى دوراته التدريبية في تسعينات القرن العشرين ما دفعه إلى استخدام أحد شرائط الكاسيت التي كانت في حقيبته الخاصة، وشرع في ارتجال حركات إيقاعية على أنغام الموسيقى المفضلة لديه، لا سيما السالسا والميرينغي، الأمر الذي أدهش المشاركين في الدورة التدريبية. ومن هذا الموقف الاضطراري نشأ مبدأ جديد في عالم اللياقة البدنية، وذاع صيته على مستوى العالم.

وأوضحت خبيرة الأنشطة الحركية الألمانية جانيت هونه أنه في السابق كانت هذه التمارين تُسمى بـ"التمارين المائية" فحسب، أما الآن فتتشعب منها العديد من المسميات مثل "تمارين التقوية المائية" و"تمارين الترفيه المائية" و"تمارين اللياقة المائية" و"الركض المائي" و"الملاكمة المائية" و"الزومبا المائية"؛ فدائماً يكتشف المدربون إمكانيات جديدة لممارسة الرياضة في الماء.

وأردفت هونه الأستاذة بجامعة بوتسدام ورئيس الرابطة الألمانية للتمارين المائية "يوجد تنوّع كبير في المصطلحات الحديثة المستخدمة في هذا المجال؛ حيث تم نقل الكثير من التمارين الرياضية التي تتم ممارستها على اليابسة إلى الماء، وبالطبع لا يُمكن نقل كل أنواع التمارين إلى الماء بسهولة".

ويقول عضو الاتحاد الألماني للسباحة، فولفغانغ ليمان "قد يستلزم الأمر تعديل طريقة ممارسة بعض التمارين، كي يكون من الممكن ممارستها في الماء؛ فلن يكون ممكنا مثلاً ممارسة أحد التمارين المائية أثناء حمل أثقال الدمبل، في الوقت نفسه الذي يكون فيه الماء مغطياً لمنطقة الصدر لدى الرياضي". وأضاف ليمان "بشكل أساسي يُعدّ الماء الموجود حول جسم الرياضي جهاز اللياقة البدنية الوحيد الموجود بصحبته".

وأكدت رئيس الرابطة الألمانية لاختصاصي العلاج الطبيعي المستقلين، أوته ريبشليغر، أن التمارين المائية تسهم في الوقاية من الأمراض، وتعمل على إعادة التأهيل وزيادة اللياقة البدنية، شريطة تأديتها بشكل سليم. وقالت ريبشليغر "تعمل هذه التمارين على دعم الجهاز القلبي الوعائي وتنشيط عملية التمثيل الغذائي بالجسم.

وأضافت المعالجة الألمانية أن ممارسة الرياضة في الماء تعمل على التخفيف عن المفاصل؛ لأنه عندما يتحرك الإنسان داخل الماء لا يحمل سوى 10 بالمئة فقط من وزنه. وفي الوقت نفسه تتم تقوية عضلات الجسم وزيادة قدرته على التحمل عند ممارسة هذه التمارين؛ لأنّ مقاومة الماء تتطلب من الرياضي زيادة القوة المبذولة، تبعاً لسرعة التمرين نفسه. وبشكل عام، أكدت ريبشليغر أن التمارين المائية تُمثّل وسيلة جيدة للبدء في ممارسة الأنشطة البدنية، لا سيما بالنسبة إلى مَن يعانون زيادة الوزن؛ حيث يُمكنهم ممارسة الأنشطة البدنية، التي عادةً ما تتسبب في إجهادهم إذا مارسوها على اليابسة، بمنتهى السهولة عند ممارستها في الماء؛ لأن الماء يحمل أوزانهم.

وأضافت اختصاصية العلاج الطبيعي الألمانية أن ممارسة الرياضة بشكل عام في الماء تتمتع بفاعلية أكبر ممّا يحدث عند ممارسة إحدى رياضات قوة التحمل مثلاً على اليابسة؛ حيث تعمل قدرة الماء على توصيل الحرارة في زيادة معدل حرق السعرات الحرارية بالجسم.

وتضرب ريبشليغر مثالاً على ذلك بأن جسم الإنسان يحرق مثلاً نحو 400 سعرة حرارية في كل نصف ساعة من ممارسة أيّ نشاط رياضي في الماء، في حين أنه لا يحرق سوى 300 سعرة حرارية فقط عند ممارسة رياضة الركض مثلاً على اليابسة في المدة الزمنية نفسها. وأرجعت ذلك إلى أن الجسم يزيد من معدل عملية التمثيل الغذائي أثناء ممارسة الرياضة في الماء، كي يتسنى له حماية نفسه من البرد الناتج عن انخفاض درجة حرارة الماء المتراوحة بين 28 و31 درجة مئوية.

وتستكمل الخبيرة الألمانية فوائد ممارسة التمارين المائية بأنه يُمكن استخدامها لأغراض متنوعة؛ فعلى سبيل المثال يُمكن تدريب قدرة الجسم على التحمل من خلال الجري في الماء، بينما يُمكن لمَن يرغب في التمتع بقدر من الاسترخاء، واستعادة نشاطه بعد يوم مجهد ممارسة تمارين الإطالة في الماء.

وأشارت ريبشليغر إلى أن ممارسة هذه التمارين في الماء لا تختلف عن ممارستها على اليابسة؛ حيث يتم ثني إحدى الساقين نحو الخلف، وسحب الكعب في اتجاه المقعدة، موضحةً "لا يحتاج الجسم أثناء تأدية هذا التمرين إلى عمل اتزان؛ لأن الماء يحمله". وأضافت "تعمل ممارسة التمارين المائية على تحفيز عملية سريان الدم داخل العضلات، وبإمكانها أيضاً التخفيف عن عضلات الصدر المشدودة وتقويتها، من خلال تحريك الأذرع في اتجاه معاكس لمقاومة الماء في حركات متأرجحة إلى الأمام والخلف تحت الماء.

ويرى عضو الاتحاد الألماني للسباحة، فولفغانغ ليمان أنه يُمكن لكبار السن تدريب التناسق العصبي العضلي لديهم على نحو جيد من خلال ممارسة التمارين المائية باستخدام حزام الطفو، إذا ما قاموا بعمل خطوات جانبية، أو دربّوا أنفسهم على الوقوف على ساق واحدة أثناء وجودهم في الماء؛ إذ يعمل ذلك على وقايتهم من السقوط أثناء المشي على اليابسة.

وأكدّ ليمان أنه لا توجد سوى مجموعة قليلة من الموانع المرضية التي تتعارض مع ممارسة التمارين المائية، تندرج من بينها الإصابة بأزمة قلبية حديثة أو حالة شديدة من الانزلاق الغضروفي. ولفت إلى أنها لا تتناسب أيضاً مع المرضى المصابين بنوعيات معينة من الأمراض العصبية. وبشكل عام أوصى ليمان بأنه من الأفضل أن يستشير الأشخاص الراغبون في ممارسة هذه النوعية من التمارين طبيبهم المعالج أولاً قبل الإقدام على هذه الخطوة.

المرأة اللاجئة طاقة كبلتها المجتمعات العربية وحررتها الحياة الغربية

نساء ركبن البحر لاجئات فوجدن أنفسهن مكافحات

يقابل العالم اليوم وجها جديدا للمرأة العربية يطل من تحت أنقاض حروب عصفت وتعصف ببلدانهن وتقاذفتهن بعيدا عن أوطانهن. ودفع عدم استقرار بعض البلدان العربية سياسيا وأمنيا بالنساء إلى طرق المجهول، فوجدن أنفسهن يحملن لقب لاجئات ويواجهن الكثير من الصعاب. واندفعن صبايا وقاصرات، أمهات وعازبات ضمن موجة هجرة غير شرعية وتفرقن بين البلدان العربية والغربية بحثا عن النجاة والأمن وحفظا للكرامة، إلا أن رحلة اللجوء لم تكن أقل خطرا من الحروب ولا أكثرا أمنا. ولم يكن الاستقرار بالمجتمعات الجديدة سواء كانت عربية أم غربية بتلك السهولة التي اعتقدها البعض.

شيماء رحومة
كاتبة من تونس

تحدي العوائق: السباحة للنجاة من الموت إلى المشاركة في أولمبياد 2016

❏ وجدت المرأة اللاجئة نفسها مكرهة على التشبث بالحياة ما استطاعت إلى ذلك سبيلا، فكانت إما ضحية وحوش بشرية تتاجر في كل شيء وأي شيء، أو معنفة من قبل قوانين ذكورية رافقتها من بلدها الأم لتتناقض ونواميس مجتمعها الجديد لأنها تعطيها حق الحياة، أو قوة خارقة تذلل الصعاب وتحقق ناجحا لإثبات وجودها.

ولاقت المرأة اللاجئة في كلّ من المجتمعات العربية والأجنبية ما ساعدها على الاندماج كما اصطدمت بما عرقل مسارها وعمق مأساتها.

وحاولت المجتمعات الجديدة دعم اللاجئة ومساعدتها على الاندماج رغم كل الصعوبات التي تتمثل في بعض منها في الأعداد الغفيرة من اللاجئين مما يعيق مسار احتواء كل اللاجئات وقبولهن أو الرفض الذكوري لمساواة المرأة له في إعالة عائلتها وغالبا ما يكون هذا الرفض من ذويها، ولا سيما زوجها.

وفي كثير من الأحيان فرض على هؤلاء النساء أن يصبحن المعيل ومقدم الرعاية الرئيسي، فيعتنين بأنفسهن وبعائلاتهن بعيدا عن مجتمعاتهن ومصادر الدعم التقليدية. وترزح معظمهن تحت هذا العبء، ويعتمد كثير منهن بشكل كامل على المساعدة الخارجية.

وعلى سبيل المثال قامت منظمة تدعى الخدمة الاجتماعية للمرأة الكاثوليكية ومقرها مدينة فريشن غرب كولونيا، وهي منظمة مساعدات إنسانية تعنى بالمرأة خاصة والمهاجرين بشكل عام، بتقديم دروس للاجئات من أجل تسهيل اندماجهن داخل المجتمع الألماني.

وقد سمحت هذه المنظمة للاجئات باصطحاب أطفالهن أثناء دروس تعلم اللغة وهذا ما لا تقدمه دروس الاندماج في المعاهد المختصة، كما تقول مكين شلبال، المسؤولة عن قسم الخدمات الاجتماعية للمرأة الكاثوليكية وهي تقدم أيضا إلى جانب متطوعين آخرين دروس اللغة الألمانية للمهاجرين واللاجئين.

وتقول مكين "دروس الاندماج في المعاهد تلزم الأم بالانتظار إلى أن يلتحق الأطفال بالروضة، وهكذا تضيع عليها ثلاث سنوات دون تعلم اللغة، لهذا نحاول هنا خلق فضاء مناسب يراعي ظروف الأمهات اللاجئات من جهة، والعمل على إدماجهن في المجتمع من جهة أخرى. ولهذا خصصنا فصلا دراسيا خاصا بالأمهات وأطفالهن، حتى ينعمن بالراحة والألفة فيما بينهن".

كما وضعت جمعية "نساء في المهجر" على ذمة اللاجئات قسما مختصا في مشاكل الحياة اليومية للنساء. بعض هذه المشاكل تخص السلطات الألمانية وأخرى تخص التحرش الجنسي، الذي تتعرض له النساء في مبيتات اللاجئين الجماعية وخارجها.

ووفق مصادر من داخل الجمعية فإن أهم أهداف جمعية "نسوة لاجئات يتكلمن بصوت عال" هي توعية المرأة العربية اللاجئة وتعريفها بحقوقها وواجباتها في المهجر الألماني، بالإضافة إلى التعرف على مشاغلهن والصعوبات التي تواجههن في محيطهن الألماني الجديد والوضع غير الإنساني، الذي بات اليوم واقعهن في هذه المبيتات الجماعية.

وأوضحت أولريكه لاكرو، ألمانية الأصل وناشطة في هذا المشروع، "ما هذه الجمعية إلا مشروع نسائي، ولا تنشغل سوى بمشكلات المرأة اللاجئة. لقد أسست الجمعية سنة 2002 وتنشط فيها، إلى جانب بعض العربيات السوريات الجديدات، نسوة من مختلف دول المعمورة يعشن في محافظتي براندنبورغ وبرلين فررن من بلدانهن جراء القمع والاستبداد السياسي".

وأثبتت المرأة اللاجئة أنها قادرة على سرعة الاندماج داخل المجتمعات الجديدة مستفيدة من القوانين التي تصب في صالحها في بعض الدول الغربية التي لجأت إليها، لكنها في المقابل كبلتها الأعراف والنظرة الدونية التي حملتها معها في حقائب السفر زادها الوحيد.

ومن الأمثلة الحية على ذلك تظاهر أكثر من ألفي رجل من اللاجئين السوريين في ألمانيا، محتجين ومطالبين بالذهاب إلى النمسا، بعد أن حصلت نساؤهم على حقوقهن بالحماية القانونية، التي تمنع الزوج من ضرب زوجته وممارسة العنف ضدها. فكان الحل لدى السلطات الألمانية، بطلب عودة هؤلاء إلى سوريا، من دون اصطحاب زوجاتهم وأولادهم.

كما ناشد وزير العدل الألماني هايكو ماس السلطات عدم الاعتراف بالزواج القسري وتعدّد الزوجات لدى اللاجئين أيضا.

وأكد الوزير الاتحادي "يجب ألا نسمح بالزواج القسري، لا سيما إذا تعلق الأمر بفتيات قاصرات".

يشار إلى أن بعض طالبي اللجوء في ألمانيا توجّهوا إلى السلطات خلال الأشهر الماضية بصحبة زوجات قاصرات، وجاء بعضهم مع أطفال أيضا.

ويضع تصريح ماس يدا على وضع من الأوضاع الصعبة التي تعايشها المرأة العربية داخل بلدها وخارجه، ولئن كان رفض ألمانيا تعدد الزوجات أمرا طبيعيا بوصفها من الدول الرافضة لذلك، فإن تفشي هذه الظاهرة التي اتخذت مسارا مغاير لطبيعتها المتعرف عليها دينيا أصبح يشكل تهديدا حقيقيا للمرأة اللاجئة وصار تحت مجهر الدول العربية كذلك.

وإدراكا من مفوضية اللاجئين وشركائها بهذا الواقع الذي تعايشه العديد من اللاجئات وضرورة البحث عن حلول، عقد في القاهرة في الفترة من 3 إلى 5 مايو الماضي مؤتمر بعنوان "قضايا اللاجئات والنازحات في المنطقة العربية: الواقع والمستقبل" وذلك بهدف رفع مستوى الوعي حول الوضع الخطير الذي تعانيه المرأة في سياق الحرب والنزوح وإيجاد الحلول.

وحثت جامعة الدول العربية وهيئة الأمم المتحدة للمرأة الدول الأعضاء على اعتماد استراتيجية إقليمية بشأن حماية الفتيات والنساء اللاجئات.

وقد أزاح هذا المؤتمر الستار عن بعض الممارسات غير الإنسانية في حق المرأة العربية بمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، والتي تمارس ضدها تحت غطاء الزواج. وأشار المؤتمر إلى أن زواج المصريين بالسوريات خصوصا القاصرات "استغلال لظروفهن السيئة"، لا سيما وأن عدد هذه الزيجات بلغ 12 ألف حالة زواج خلال عام واحد كل أغلبها بالطلاق، مؤكدا أن ذلك السلوك يمثل اتجارا بالبشر، ويعد اعتداء على قيم وحقوق الإنسان، وتعارضا مع المواثيق الدولية.

ورغم ذلك لا زالت بعض الأوساط الاجتماعية ورجال الدين في مصر يرون أن زواج اللاجئة البالغة هو خير وسيلة لتوفير الحماية الاجتماعية لها، وهو وقاية لها من الوقوع في براثن شبكات الاتجار بالنساء واستغلالهن.

> جمعية «نساء في المهجر» وضعت على ذمة اللاجئات قسما مختصا في مشاكل الحياة اليومية للنساء، من بينها تعرضهن للتحرش الجنسي في مبيتات اللاجئين الجماعية وخارجها

وقدم المؤتمر بعض الشهادات للاجئات وقد عبّر 60 بالمئة من النساء اللواتي أجريت معهن مقابلات عن شعورهن بانعدام الأمن، وأعربت امرأة من بين ثلاث نساء عن خوفها الشديد أو عجزها حتى عن مغادرة المنزل. واشتكى الكثير من النساء من تحرشات لفظية منتظمة صادرة عن سائقي سيارات الأجرة والباصات وملاّك العقارات ومقدمي الخدمات، بالإضافة إلى الرجال في المتاجر والأسواق والمواصلات العامة وحتى في نقاط توزيع المساعدات.

وأظهر تقرير جديد صادر عن المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين أنّ أكثر من 145 ألف عائلة سورية لاجئة في مصر ولبنان والعراق والأردن -أو عائلة من بين أربع- ترأسها نساء يخضن بمفردهن كفاحا من أجل البقاء على قيد الحياة.

وكشف التقرير النقاب عن الصراع اليومي من أجل تدبر الأمور المعيشية، فيما تناضل النساء للحفاظ على كرامتهن والاهتمام بعائلاتهن في منازل متداعية ومكتظة، وملاجئ مؤقتة وخيام غير آمنة. ويعيش الكثير منهن تحت خطر العنف أو الاستغلال، ويواجه أطفالهن صدمات نفسية وماسٍ متزايدة.

وقال أنطونيو غوتيريس، المفوض السامي للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين "بالنسبة إلى مئات الآلاف من النساء، لم يكن الفرار من الوطن المدمر سوى الخطوة الأولى في رحلة محفوفة بالمشقة". كما أن الدلائل كلها تشير إلى أن النساء عموما، أكثر قدرة على الاندماج في المجتمعات الجديدة، فالمرأة مستعدة لتعلم لغة البلد الجديد، وليس لديها أيّ تحفظ تجاه انخراطها في عمل ما.

وقدمت العديد من اللاجئات مثالا حيا على ذلك، حيث سردت صالبي جاباكشوريان إحدى اللاجئات الفارّات رفقة ابنها من المعارك في مدينة حلب السورية قصة كفاحها في مناخ غربي يختلف في نواح عدة عن مناخها العربي.

ولخصت صالبي الوضع بقولها إنها بعد أربعة أعوام على فرارها من سوريا مع ابنها كايتس إلى أرمينيا، باتت تملك أحد أشهر المطاعم في يريفان.

ويأتي نجاح صالبي نتيجة لمساعدة المفوضية العليا للاجئين في الأمم المتحدة للاجئين، وقال أناهيت هايرابتيان، المنسق في المفوضية العليا للاجئين في الأمم المتحدة "نعطي دروسا حتى يعتاد اللاجئون السوريون على القوانين والتنظيم الضريبي. ونقدم أدوات وتجهيزات للذين يريدون إنشاء تجارة صغيرة". وأضاف هايرابتيان أن "عشرات المطاعم السورية الجديدة والمقاهي، أحدثت تحولا فعليا في تقاليد الطهو المعروفة في العاصمة".

وفي الإطار ذاته حاولت لاجئات فلسطينيات في لبنان أن ينسجن قصص نجاحهن بخيوط التطريز، حيث جمع التطريز التقليدي الفلسطيني بين كثيرات أمثال فاطمة وكفاح ولطيفة وأمل وسعاد وصبحية وغيرهن حيث ينسجن جميعا قصص نجاحه ويوفرن من خلال التطريز أموالا لمساعدة أسرهن. وهؤلاء من بين أكثر من 100 لاجئة فلسطينية يعشن في لبنان تعلمن التطريز التقليدي الفلسطيني من خلال مشروع تطريز يموله الاتحاد الأوروبي ويهدف إلى زيادة دخل اللاجئات الفلسطينيات من خلال التطريز التقليدي.

وبدأ المشروع قبل ثلاث سنوات وله متجر على الإنترنت يبيع من خلاله وسائد وشالات وأوشحة وحقائب وإكسسوارات وأحزمة. وهدف المشروع هو المساهمة في تحقيق أمن اقتصادي للاجئات الفلسطينيات الأكثر عرضة للخطر في مخيمات بطرابلس وصيدا وصور في لبنان.

والمستفيدات من المشروع هنّ لاجئات من العازبات والأرامل والمطلقات وكذلك اللائي يعاني أزواجهن أمراضا أو إعاقات أو زوجات المسجونين.

وأكدت بعض النساء أن هذا المشروع صنع فارقا كبيرا في حياتهن، حيث قالت امرأة تدعى فاطمة "أول شي بلشت بالقطع الصغيرة لما كانوا يدربونا. وبتعرف أول شي الواحد ببدايته كل شي صعب بس مع التعليم والتدريب بيصير له دور إيجابي أكيد. هلا من ناحية شو له تأثير ع حياتي. أكيد فيه له تأثير. صار فيه هدف. صار فيه نقطة انطلاق ممكن أنا أبلش منها. وهن كان بيلعبوا دور بها الشي. وكان لهن دور كبير بها الشي". كما أن نجاة يسرى ماريديني من رحلة محفوفة بالمخاطر عند عبورها بحر إيجه في محاولة للوصول إلى الشواطئ الأوروبية، فتحت أمامها طريق الشهرة والنجاح لتصبح إحدى اللاجئين العشرة المرشحين للمشاركة في الألعاب الأولمبية المقرر تنظيمها في شهر أغسطس في مدينة ريو دي جانيرو بالبرازيل.

وتقول ماريديني البالغة من العمر 18 عاما "أرغب في أن يكون اللاجئون فخورين بي. أريد أن أشجعهم". وأعربت ماريديني عن أملها في التتويج بميدالية ذهبية خلال أولمبياد طوكيو عام 2020، فيما أشار مدربها زفين سبانيكريبس إلى أن تأهلها للأدوار النهائية خلال الأولمبياد القادم سيكون بمثابة معجزة.

وفي قصص نجاح اللاجئات ببلدان المهجر ما يدعم النظرة المتفائلة لماريديني، حيث مثلت المجتمعات الغربية في كثير من الأحيان مناخا جيدا ترعرعت فيه المرأة العربية وأثبتت من خلاله أنها قادرة على العطاء والنجاح.

وقد لفت العديد من اللاجئات الأنظار إليهن وسلطت الأضواء على نجاحهن على غرار اختيار اللاجئة البوسنية عايدة هادزيك لتكون أول وزيرة مسلمة في السويد، وقد حظيت بهذه المكانة بفضل تصنيفها من قبل مجلة اقتصادية سويدية في المرتبة العاشرة من بين مئة امرأة ناجحة. كما رسخت اللاجئة الباكستانية البارونة سعيدة وارسي الوزيرة السابقة بمجلس الوزراء البريطاني قصتها ضمن أبرز قصص نجاح اللاجئات. وعندما تولّى ديفيد كاميرون رئاسة الوزراء في 2010 كانت هي أول سيدة مسلمة تعمل كوزيرة في مجلس الوزراء، واعتلت مناصب عدة لكنها أنهت مسيرتها السياسية وقدمت استقالتها من منصبها في أغسطس 2014 معترضة على موقف وسياسة الحكومة من أحداث غزة.

وكانت من الشخصيات البارزة في المجتمع، ويؤيد هذا ما قاله بوريس جونسون عمدة لندن السابق في حقها "لقد أدت عملا عظيما لنا، وآمل أن تعود مرة أخرى بأسرع وقت محتمل". فيما قال نائب رئيس الوزراء السابق نك كليغ "إنه ليس سرا أن هناك وجهات نظر قوية حيال الأمر وقد هزت الرأي العام بموقفها بعد 'قصة نجاح' باهرة".

أول فصل في دروس حياة جديدة

خيوط التطريز ترسم هويتها

التقاليد الرمضانية للأسر المغربية بين الراسخ والمنقرض

الاحتكاك المجتمعي وتطور أنماط الاستهلاك غيرا عادات الأكل في المغرب

شكلت المناسبات الدينية في المجتمع المغربي، ومنذ زمن بعيد، موعدا لإحياء مجموعة من التقاليد والعادات التي ترسّخت لدى الأسر المغربية، وصارت من الطقوس التي تكمل أجواء هذه المناسبات سواء بالنسبة إلى الكبار أو الصغار.

عادات دخيلة تثقل كاهل الأسر وتمحو تقاليد جميلة ميزت المغاربة

❏ **الرباط** – يعتبر شهر الصيام الذي يتجدد إحياؤه كل سنة وعلى امتداد شهر قمري كامل، واحدا من المناسبات الدينية التي تكتسي طابعا خاصا بالنسبة للأسر المسلمة عموما، والأسرة المغربية على وجه الخصوص، وذلك بالنظر لما يتميز به هذا الشهر الكريم من عادات وطقوس تشمل المجتمع برمته، وتضفي نوعا خاصا من العلاقات بين الأفراد والجماعات على امتداد هذا الشهر الكريم.

ومع مرور الزمن، صارت بعض العادات والتقاليد الرمضانية مترسخة، وتتجدد أحيانا، بينما طوى النسيان البعض الآخر حتى غدت من الماضي الذي قد لا تعرفه الأجيال الصاعدة رغم أنه يشكل جزءا من الموروث الثقافي للمجتمع المغربي.

فحتى عهد غير بعيد كانت أحياء بعض المدن المغربية العتيقة تعرف خلال شهر رمضان تردد أصداء صوت "النفار" الذي كان يجوب حامله الأحياء مع بداية ما يعرف بـ"الثلث الأخير من الليل"، وذلك للإعلان عن وقت السحور، الذي يعد واحدا من الوجبات الغذائية الثلاث خلال شهر الصيام، والتي لم تعد في الوقت الراهن تستهوي العديد من الأشخاص الذين يفضلون الاكتفاء بوجبة العشاء إلى جانب وجبة الإفطار.

وكان الشخص الذي يتولى هذه المهمة يتمتع بنوع من الحظوة لدى بعض الأسر التي تخصه بإكراميات مختلفة، خاصة إذا كان مسنًا وربّ أسرة، حيث إن بعض الأسر التقليدية، كانت تدخل إكرامية "النفار" ضمن قائمة المهام الموكولة لفرد من أفرادها.

واعتاد العديد من الأسر، في ما مضى، أن يكون "الطاجين" الذي يتم طهيه بنار الفحم الخشبي الهادئة وجبة العشاء المفضلة لديها، حيث تجتمع الأسرة بعد أداء صلاة العشاء والتراويح حول هذا الإناء الطيني المتفرّد، الذي يتميز بنكهة خاصة تجعله مفضلا لدى الكثير من المغاربة.

غير أن التغيرات التي طرأت خلال السنين الأخيرة على مناحي مختلفة من الحياة، وفي مقدمتها الانتشار الواسع لأواني الطبخ المعدنية، إضافة إلى غلاء سعر اقتناء الفحم الخشبي الناجم عن الأضرار الكبيرة التي لحقت بالثروة الغابية، فضلا عن مسببات أخرى، كلها عوامل أدت إلى التراجع تدريجيا عن الإقبال على طهي "الطاجين" في أوساط الأسر المغربية، سواء خلال شهر الصيام، أو في باقي أشهر السنة، ليفسح بذلك المجال أمام وسائل الطبخ الأخرى، وأحيانا لتعاطي الوجبات الغذائية الجاهزة.

ومقابل القطع مع بعض العادات الرمضانية، فإن هناك عادات غذائية أخرى مازالت حاضرة بقوة لدى العديد من الأسر المغربية خلال شهر الصيام، ولا يمكن للمائدة الرمضانية أن تكتمل دونها، بالرغم من كون العديد من الأشخاص يجهلون الفوائد الغذائية لهذه الوجبات، أو بعض مكوناتها.

فوجبة "الحريرية" بمختلف أصنافها، تبقى حاضرة على مائدة الإفطار لدى معظم الأسر المغربية، إلى جانب الحليب والتمور بمختلف أنواعها، فضلا عن حضور بعض أصناف العجائن (البغرير، والمسمن، ورزة القاضي..)، وبعض الحلويات (الشباكية، والبريوات..).

والملاحظ أنه قد لا يتم استهلاك إلا قدر يسير من وجبة "الحريرية" الرمضانية، وقد لا تمتد إليها اليد، وكذلك الشأن بالنسبة إلى العجائن والحلويات المعسلة، إلا أن حضورها يبقى من بين الطقوس المعتادة لتزيين المائدة الرمضانية. وهذا ما يفسر قناعة مترسخة لدى العديد من الأشخاص ومفادها أن "العين هي التي تأكل" خلال شهر رمضان.

كما يعتبر التسحر بطبق "الكسكسي المبخر المسمن والمرشوش بماء الزهر" وتناول وجبة الفطور بالباكور (التين الطري) من بين العادات الرمضانية التطوانية الأصيلة، التي بدأت في الأفول لأسباب ترتبط بتغير عادات الأكل لدى الأسر وبروز مواد استهلاكية أخرى فرضها منطق السوق.

فقد كان من عادة الأسر التطوانية عند وجبة فطور رمضان أن "تؤثث" مائدتها بالضرورة بالتين الطري بشتى أنواعه "الباكور" و"الغدان" و"اليحمدي" و"المساري" و"القوطي" و"الحرشي" و"الباغي" و"الحمامي"، الذي كانت حقول ضواحي تطوان مثقلة به قبل أن تتوارى هذه الحقول الى الوراء لتترك مكانها للعمارات ودور السكن والمعامل.

وكما لم تستطع فاكهة التين مواجهة تغير العادات، فإن عادة التسحر بطبق الكسكسي لقيت نفس المصير ولم يعد الحديث عنها إلا نادرا جدا، حتى أن القليل من ساكنة تطوان من يعرف عن هذه العادة شيئا أو يتذكّرها.

ويتميز هذا الطبق بأن مكوناته رخيصة وفي متناول كل الأسر، كما أن هذه المكونات هي من صنع النساء أنفسهن، سواء تعلق الأمر بالكسكسي وماء الزهر أو السمن المنزلي المستخرج من حليب الغنم أو البقر.

وإن كانت عادات الأكل تتغير عند أهل تطوان وضواحيها بحكم الاحتكاك المجتمعي وتطور وتغير أنماط الاستهلاك، فغالبا ما يكون هذا التغيير ليس نحو الأفضل، وإنما نحو عادات قد تثقل كاهل الأسر كما تثقل المعدة وتمحو تقاليد جميلة ميزت المغاربة عن شعوب كثيرة. ولا تقتصر العادات والتقاليد الرمضانية الراسخة لدى الأسر المغربية على فنون الطهي فقط، فاللباس بدوره من بين هذه العادات التي تجد تجاوبا واسعا لدى العديد من الأفراد حيث يصبح الإقبال على اللباس التقليدي الأصيل لافتا للانتباه خلال شهر رمضان، الذي يعتبر فترة للرواج الاستثنائي بالنسبة إلى ممتهني الخياطة التقليدية، وكذلك بالنسبة إلى التجار المتخصصين في بيع الألبسة التقليدية.

> صارت بعض العادات والتقاليد الرمضانية مترسخة، وتتجدد أحيانا، بينما طوى النسيان البعض الآخر حتى غدت من الماضي الذي قد لا تعرفه الأجيال الصاعدة

ويعرف اللباس التقليدي من قبيل "الجلابية" و"الدراعة" و"الكندورة" و"الجابادور" و"القندريسي" و"البلغة" و"الشربيل" و"القميص" و"القفطان" و"الفرجية" وغيرها من الألبسة التقليدية الأخرى، سواء منها النسائية أو التي يرتديها الرجال، إقبالا كبيرا خلال شهر رمضان. ويعرف شهر الصيام أيضا الكشف عن جوانب من التجديد لدى بعض الصناع التقليديين الذين يغتنمون هذه الفرصة لإبراز مهاراتهم الحرفية في فنون الخياطة التقليدية، لا سيما وأن شهر رمضان تعقبه مباشرة مناسبة دينية عظيمة هي عيد الفطر الذي قد لا يحلو للبعض الاحتفاء به دون ارتداء الملابس التقليدية المغربية الأصيلة.

هناك عادات رمضانية تنقرض بالتدريج بفعل المتغيّرات التي تطرأ على المجتمع المغربي الذي يعيش تحوّلا على مستويات عدة، وعادات أخرى مازالت حاضرة، ومن غير المتوقع أن تندثر تماما، بل من المؤكد أنها ستواصل حضورها وتجددها، ولعل السر وراء ذلك هو ترسخها في عمق الوجدان المغربي.

طبق اليوم

صيادية السمك

*** المقادير:**

- 2 كيلوغرام سمك فيليه أبيض.
- كوب زيت نباتي.
- 800 غرام بصل مقطع إلى شرائح رفيعة.
- كوب زيت نباتي.
- نصف ملعقة صغيرة فلفل.
- ثلثا كوب صنوبر.
- مرق سمك.
- ملح حسب الرغبة.
- 3 أكواب أرز أميركي.

*** طريقة الإعداد:**

- يحمى الفرن على حرارة 180 درجة مئوية. ويدهن فيليه السمك بـ4 ملاعق كبيرة من الزيت، ويتبّل بالملح والفلفل الأبيض من الداخل والخارج ثمّ يتم لفّه بورق قصدير ويوضع في طبق الفرن.
- يخبز السمك لمدة 25 دقيقة حتى ينضج جيّداً. ثم ينزع ورق القصدير عنه. ويحمّى الزيت المتبقّي في قدر ويقلى فيه الصنوبر ثمّ يوضع جانباً على محارم ورقيّة. وفي القدر نفسه، تقلى شرائح البصل حتى يصبح لونها بنيّاً ثم تضاف إلى مرق السمك مع الاحتفاظ بقسم منها جانباً للزينة.
- يغسل الأرز وينقع في الماء لمدّة ربع ساعة، ثمّ يصفى جيّدا. ثم تسكب 6 أكواب من مرق السمك والبصل في قدر ويضاف إليه الأرز والملح. ويغطّى القدر ويترك محتواه يغلي على نار خفيفة حتى ينضج الأرز.
- تسخّن الزبدة في قدر ثمّ يضاف إليها الدقيق مع التحريك. وتضاف صلصة السمك والبصل المتبقي ويحرّك من جديد دون التوقف حتى تصبح الصلصة كثيفة قليلا.
- يوضع الأرز في طبق ثمّ توزّع فوقه قطع السمك؛ ويزيّن بالصنوبر المحمص والبصل المحمّر ويقدّم ساخناً مع الصلصة.

موضة

عبايات رمضان محتشمة ومفعمة بالجاذبية

❏ قدمت المصممتان لبنى ونادية الزكواني من سلطنة عمان عباءات أنيقة ومحتشمة بقصات وألون بنغمات عصرية ضمن مجموعة اندماج رمضان 2016.

كما كشفت علامة "أدور" عن تشكيلتها الجديدة من عبايات رمضان 2016، بتصاميم فريدة غنية بالتفاصيل تستهدف الباحثات عن الإطلالات المفعمة بالجاذبية والتي لا ينقصها الاحتشام.

وتميزت المجموعة بتنوع موديلاتها وقدمت القصات التي تلائم الإطلالات النهارية والسهرات، والتي تحمل كل قطعة منها سحرا خاصا يجمع بين البساطة والفخامة حيث تم استخدام أجود أنواع الأقمشة مع الحفاظ على التفاصيل الإنسيابية لإطلالات صيفية مريحة.

كما قدمت "أدور" بالإضافة إلى العبايات المطرزة مجموعة من الإكسسوارات الفريدة متعددة الألوان، والتي تضفي بريقا على كل قطعة كي تلبي مختلف الأذواق.

كما أطلقت مجموعة "موزان" مجموعتها الجديدة ربيع وصيف 2016 قبل أيام من حلول شهر رمضان لتضع بين يدي كل امرأة عربية خيارات واسعة من العبايات لتتألق بها في تجمعات الإفطار والسحور.

واعتمدت علامة "موزان" على الكريب في تصميم عباياتها واختارت الدانتيل لتزيّنها به. كما تعاونت علامة "سواروفسكي" مع "حنين" الاسم الرائد في عالم الأزياء الخليجية التقليدية لتقديم تشكيلة عبايات خاصة بشهر رمضان المبارك.

الموت الرحيم

هيفاء بيطار
كاتبة من سوريا

❏ أقرّت دول عديدة السماح بالموت الرحيم، وهو إعطاء جرعة دوائية قاتلة للمرضى الذين يعانون من أمراض مستعصية تسبب الألم الشديد للمريض، أو للحالات الميؤوس منها حيث يعيش المريض حالة نباتية أي يكون عاجزا عن التنفس الطبيعي لكنه يتنفس بواسطة الرئة الاصطناعية، وقد يبقى بهذه الحالة في الغيبوبة لسنوات.

وأثار موضوع السماح بالموت الرحيم جدلا كبيرا إنسانيا ودينيا، لكنني ومن خلال عملي كطبيبة عاينت الكثير من الأمراض التي تهين إنسانية الإنسان وتجعله معطوبا عطبا لا شفاء منه، لدرجة يبدو الموت هو الرحمة الوحيدة للمريض وأهله.

أحد هؤلاء المرضى كان مصابا بسرطان في الدماغ وانتشر المرض في كل جسمه وكان يقضي وقته مُخدرا بلصاقات المورفين، وحين يزول مفعول المورفين كان يصرخ مجنونا من الألم، وأذكر أنه كان يطلب من طبيبه أن يعطيه الدواء الذي ينهي عذابه وحياته لأنها تحوّلت إلى عذاب.

وقد رفض العديد من الفقهاء ورجال الدين فكرة الموت الرحيم لأنه لا يحق لإنسان أن ينهي حياة إنسان آخر تحت أيّ ظرف فالحياة هبة من الله، ولكل إنسان قدره، لكن يحق لنا أن نتساءل حين تفقد الحياة كل صفاتها من الشعور بالصحة الجسدية والنفسية وحين يكون المرض مستعصيا ولا شفاء منه بل يشكّل عبئا على المصاب وأهله وقد يكلّفهم مبالغ طائلة، تُدفع دون جدوى، وحين يكون المريض في حالة تُسمّى الحالة النباتية أي هو في الحقيقة ميت لكن الأجهزة تضخ الهواء في رئتيه، فهل هذه حياة؟

وفي الوقت ذاته أحترم من يرفض فكرة الموت الرحيم تحت أيّ ظرف كان، ويؤمن أن الله يحدد مصير البشرية. فالاختلاف في التفكير والاعتقاد طبيعي، لكنني أحترم رغبة المريض نفسه في إنهاء حياته، وأن يطلب تلك الخدمة من طبيبه كي يعفيه من حياة تحولت إلى تراكم أيام من الألم والذل، كما أن العديد من هؤلاء المرضى ينتحرون.

ولا يمكن إغفال الكلفة المادية الباهظة التي يتكلفها الأهل أحيانا والدول المتقدمة، حيث تصرف ملايين الدولارات للعناية بهؤلاء المرضى الميؤوس منهم، ويُجنّد طاقم كامل من الممرضين المُختصين للعناية ليلا نهار بهياكل بشرية لا تشعر بشيء ولا تنتج شيئا.

وقد زرت العديد من تلك المراكز في فرنسا ومنها مركز للمصابين بضمور في الدماغ، وكانوا أشبه بدمى لها شكل إنساني تحتاج لمن يطعمها ويسقيها، وينظفها ويغير حفاظاتها، ورغما عني تساءلت: لأيّ غاية تصرف كل تلك الملايين على أشخاص مصابين بضمور في الدماغ ولا يعون محيطهم وذواتهم، بينما ملايين الأطفال الأصحاء والفقراء يعيشون ظروفا بالغة القسوة، خاصة في البلدان التي تشتعل فيها الحروب، وفي مخيمات النازحين. كما تساءلت أليس حريًا أن تصرف هذه الملايين على هؤلاء الأطفال وأهلهم؟ رغم أنني أعرف سلفا أن هنالك من يُعارض هذه الفكرة وبأن مجرد الشهيق والزفير يُعتبر حياة! حتى لو كان المصاب في غيبوبة.

وبدا لي منظر ثلاثة ممرضين اختصاصيين يقبضون رواتب عالية يهتمون بمريض يعاني من الشلل الدماغي غير مقبول وعملا لا يجدي، أحدهم وظيفته إطعامه والآخر إعطاؤه الدواء ضد الاختلاجات الفظيعة التي تجعل جسده يرتجف كقشة، والثالث مسؤول عن نظافته.

أنا أفهم الإنسانية وأعتبرها أعلى قيمة وأقدسها، ولكنّ ثمة خلافا أيضا على مفهوم الإنسانية حين يكون هنالك خيارات أخرى، حين تكون المجاعة تحصد أرواح أطفال ونساء ورجال أصحاء ولا يجدون من يضمن لهم الحد الأدنى من الحياة الكريمة، بينما تُصرف ملايين أو مليارات الدولارات في مراكز بعضها مثل فنادق الخمس نجوم على حالات مرضية ميؤوس منها؟ يحق لنا هنا أن نعيد تفسير مفهوم الإنسانية؟ وليت عالمنا المشتعل بكل أنواع العنف والمشاكل قادر على تقديم حياة كريمة للأصحاء الجياع، وفي الوقت نفسه يطيل عمر المعاقين الميؤوس منهم من باب الإنسانية فقط أي يراكمون لهم الأيام مهما بلغت التكاليف حتى توافيهم المنية الطبيعية.

وحين سألت أحد المسؤولين في مركز الشلل الدماغي والإعاقات العقلية عن كلفة المريض شهريا أجابني حوالي 15 ألف يورو! هذا المبلغ يُخصّص شهريا لمعوق دون أن تُقدم له أيّ فائدة سوى إطالة عمره، كما لو أن الحياة مجرد تراكم زمني. وأخيرا أظن أن تكاثر عدد الدول التي تسمح الواحدة تلو الأخرى بالموت الرحيم يجعلنا نجرؤ ونسأل عن أولويات الإنسانية وأعمال الإغاثة، لأن الوضع الحالي للعالم مأساوي، وعدد الفقراء في تزايد مستمر وعمالة الأطفال أصبحت مشكلة عالمية، وكذلك حرمانهم من التعليم والعيش الكريم، بينما تصرف الملايين على مرضى ومعوقين لا أمل بتحسنهم أبدا، ومعظمهم يعاني آلاما مبرحة. ولكن بالنتيجة يظل موضوع الموت الرحيم قابلا للجدل والنقاش وعلى الجميع احترام الرأي الآخر.

نجوم تلمع وأخرى تأفل في الدور الأول ليورو 2016

رونالدو.. رجل المهام الصعبة

بعد إسدال الستار على مباريات الدور الأول من بطولة كأس أوروبا لكرة القدم 2016 في فرنسا، عاشت الجماهير العالمية على وقع تألق خمسة لاعبين بشكل لافت، إذ كانوا على الموعد وتخطوا التوقعات. في المقابل شهدت هذه البطولة خمسة لاعبين خيبوا الآمال في العرس القاري.

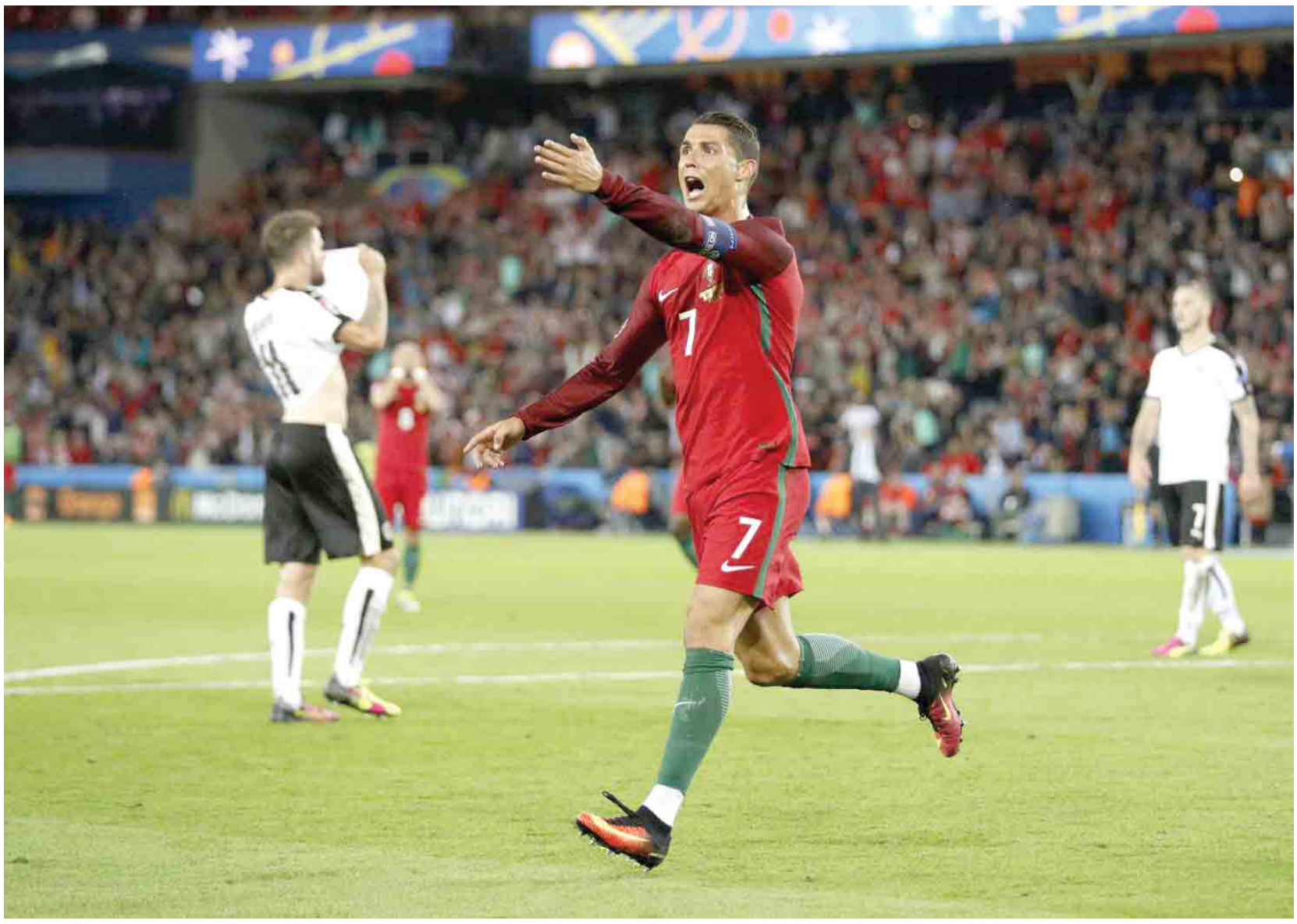

رونالدو.. صانع أمجاد البرتغال

□ **ليون (فرنسا)** – سجل النجم كريستيانو رونالدو بداية باهتة في يورو 2016 ولكن عندما استنجد به المنتخب البرتغالي ظهر بمستوى مذهل وقاد بلاده إلى دور الستة عشر في يورو 2016. لكن الأمور كلها لم تكن رائعة فيما يخص رونالدو (31 عاما) هداف ريال مدريد الأسباني، والذي جذب عناوين الصحف بعد الأداء المذهل الذي قدمه أمام المجر.

وفشل رونالدو في التسجيل في أول مباراتين للبرتغال في المجموعة السادسة أمام أيسلندا والنمسا وأهدر عدة فرص كما أهدر ضربة جزاء لبلاده. وأثار رونالدو عاصفة في وسائل الإعلام إثر مباراة أيسلندا بعدما بدا وأنه غادر الملعب دون أن يصافح بعض لاعبي الفريق الخصم. وتصاعدت حدة الصدام مع وسائل الإعلام بعد تشاجره مع صحافي برتغالي قبل المباراة أمام المجر.

ولم يخل المؤتمر الصحافي للمباراة الذي حضره رونالدو بصفته رجل المباراة، من الجدل حيث رفض نجم ريال مدريد الرد على أسئلة الصحافيين واكتفى بالإجابة على سؤال واحد وجهه له مسؤول بالاتحاد الأوروبي لكرة القدم (اليويفا). وقال رونالدو "إنه شرف لي أن أنال جائزة أفضل لاعب في المباراة". وأضاف "ولكن أولويتنا كانت الفوز بالمباراة، لقد فشلنا في تحقيق ذلك، كنا نريد التأهل وأنا أشعر بالسعادة لأن الفريق حقق مبتغاه". وأثار رونالدو المزيد من علامات الاستفهام بعد أن وجه اعتذارا للصحافيين خلال المؤتمر الصحافي.

وقال رونالدو باللغة الإنكليزية وهو في طريقه لمغادرة قاعة المؤتمر الصحافي "أنا لا أقرّر أيّ شيء"، مشيرا إلى أن عدم الرد على أسئلة الصحافيين جاء بناء على تعليمات الاتحاد البرتغالي لكرة القدم، لكن من الصعب التصديق أن رفض الرد على أسئلة الصحافيين كان تبعا لتعليمات ما يوحي بأن الأمر قرار فردي. وتعهد رونالدو بالتحدث إلى الصحافيين في ممر اللاعبين، ولكن مر من هناك دون أن يتوقف للحظة. مسيرة رونالدو داخل الملعب بمثابة قائمة طويلة من الأرقام القياسية، كما أضاف رقمين جديدين في المباراة أمام المجر، حيث أصبح اللاعب الأكثر مشاركة في مباريات كأس الأمم الأوروبية برصيد 17 مباراة كما أنه بات أول لاعب يسجل أهدافا في أربع نسخ من البطولة القارية. ويشارك رونالدو في سابع بطولة كبرى مع البرتغال وقد تمكن من تسجيل أهداف في جميع هذه البطولات السبع. وكان المنتخب البرتغالي في حاجة ماسة إلى أهداف رونالدو خاصة بعد تأخر الفريق بهدف كان كفيلا بأن يطيح بهم خارج البطولة.

وقال بيرند ستورك مدرب المنتخب المجري "نعرف أنه لاعب من طراز عالمي، لا يمكن السيطرة عليه في كل مرة، كنا ندرك أن علينا اللعب بمزيد من الأداء الدفاعي مقارنة بأول مباراتين، هذا بسبب إمكانيات الفريق البرتغالي، عندما تكون الكرة بحوزة رونالدو فإن بإمكانه التسجيل دائما". وأثبت رونالدو قدرته على صناعة الأهداف، ومرر كرة حاسمة لزميله ناني أحرز منها الهدف الأول، ثم سجل هدفا بالكعب وتبعه بتسجيل هدفا بالرأس من مسافة قصيرة.

سجل في أربعة نهائيات

بات مهاجم منتخب البرتغال كريستيانو رونالدو أول لاعب في تاريخ كأس أوروبا يسجل في أربعة نهائيات. ورفع المهاجم البرتغالي رصيده في النهائيات الأوروبية إلى 8 أهداف متفوقا على الإنكليزي آلان شيرر بعد أن عادله عقب الهدف الأول، بعد أن كان سجل هدفين في كأس أوروبا 2004، وهدفا في 2008، وثلاثة أهداف في 2012. ويبتعد رونالدو بهدف واحد فقط عن الرقم القياسي للفرنسي ميشال بلاتيني في عدد الأهداف المسجلة في النهائيات الأوروبية والتي سجلها في عام 1984 عندما قاد منتخب بلاده إلى لقبه الأول في البطولة.

وكان رونالدو قد حطم الرقم القياسي لعدد المباريات في النهائيات الأوروبية رافعا رصيده إلى 17 مباراة، بعد أن عادل السبت في الجولة الثانية أمام النمسا رقم الحارس الهولندي إدوين فان در سار والفرنسي ليليان تورام. وشهدت مباراة النمسا أيضا تحطيم رونالدو للرقم القياسي في عدد المباريات مع منتخب البرتغال، رافعا رصيده إلى 128 مباراة، بعد أن كان متعادلا مع النجم السابق لويس فيغو. ومباراة المجر حملت الرقم 129.

نجوم الدور الأول

وصل غاريث بيل نجم منتخب ويلز إلى فرنسا بمعنويات عالية بعد إحرازه على دوري أبطال أوروبا للمرة الثانية في صفوف ريال مدريد الأسباني وكان عند حسن ظن النقاد الذين توقعوا أن يكون من بين نجوم البطولة. فقد ألهم منتخب بلاده ويلز للفوز على سلوفاكيا 2–1 في مباراته الافتتاحية بتسجيله هدفا رائعا، قبل أن يكرّر السيناريو ذاته من 35 مترا خلال خسارة منتخب بلاده بفارق ضئيل أمام إنكلترا 1–2. ثم زار الشباك مرة ثالثة ضد روسيا لينتزع فريقه بطاقة التأهل إلى الدور الثاني متصدرا ترتيب أفضل الهدافين برصيد 3 أهداف بالتساوي مع الأسباني ألفارو موراتا.

من ناحية أخرى وبعد أن تألق بشكل لافت في صفوف وست هام الإنكليزي، ضرب ديميتري بايي لاعب المنتخب الفرنسي بقوة في البطولة القارية في المباراة الافتتاحية لمنتخب بلاده فرنسا ليمنحه الفوز على رومانيا. وكان بايي صاحب التمريرة الحاسمة لهدف الافتتاح في تلك المباراة والذي سجله زميله أوليفييه جيرو. وعندما ترك الملعب وقف له الجمهور احتراما، وقال بعد المباراة "لو قال لي أحدهم بأن الأمور ستسير بهذه الطريقة لما صدّقته". ثم سجل هدفا متأخرا آخر في مرمى ألبانيا بعد نزوله احتياطيا، في حين قدم لمحات فنية رائعة في المباراة الأخيرة ضد سويسرا.

كذلك يخوض أندريس إنييستا نجم منتخب أسبانيا بطولته الكبرى السادسة لكنها الأولى من دون زميله في برشلونة والمنتخب سابقا تشافي هرنانديز. أظهر إنييستا حتى مع بلوغه الثانية والثلاثين بأنه أحد أفضل لاعبي خط الوسط في العالم. قد يكون خيب الآمال خلال خسارة منتخب بلاده في مباراته الثالثة ضد كرواتيا 1–2 لكنه كان رائعا في المباراتين الأوليين خلال الفوز على تشيكيا 1–0 وعلى تركيا 3–0. يلعب بطريقة السهل الممتنع ومن الصعوبة انتزاع الكرة منه، كما برهن عن رؤية ثاقبة خصوصا لدى تمريره الكرة باتجاه دافيد ألبا الذي هيأها داخل المنطقة لألفارو موراتا الذي تابعها داخل الشباك ضد تركيا.

كما قدم صانع الألعاب المتألق لوكا مودريتش عروضا رفيعة المستوى خلال البطولة القارية وساهم بدرجة كبيرة في بلوغ منتخب بلاده الدور الثاني. فقد سجل هدف المباراة الوحيد والرائع في مرمى تركيا في مباراته الأولى. وفي المباراة الثانية ضد تشيكيا خرج مودريتش مصابا عندما كان منتخب بلاده متقدما 2–0 ليفقد توازنه في ربع الساعة الأخيرة ويخرج متعادلا 2–2. وغاب مودريتش عن المباراة الأخيرة. وعانى مايكل ماكغوفرن حارس مرمى أيرلندا الشمالية كثيرا الموسم الماضي في صفوف هاميلتون أكاديميكال الأسكتلندي، لكن منتخب بلاده يدين له ببطاقة التأهل إلى الدور الثاني بعد أن تعملق في مواجهة ألمانيا بطلة العالم وتصدّى لأكثر من كرة خطرة لو دخلت مرماه لخرجت أيرلندا الشمالية من البطولة بفارق الأهداف. وصفه مدربه مايكل أونيل بأنه خارق وقال "إنه حارس مميز. التصديات التي قام بها ضد ألمانيا أظهرت أن الأمر ليس شجاعة كبيرة فقط بل سرعة أيضا ورد فعل سريع بالإضافة إلى نجاحه في الخروج من مرماه في توقيت سليم". وأضاف "صفق له جميع لاعبي المنتخب عندما دخل غرفة الملابس. لقد قدم عروضا لافتة ذكّرت بحرّاس مرمى سابقين لأيرلندا أمثال بات جينينغز وتومي رايت ومايك تايلور".

خيبة الأمل

دخل زلاتان إبراهيموفيتش كأس أوروبا في قمة مستواه بعد موسم رائع مع باريس سان جرمان سجل خلاله 50 هدفا وقاده إلى رباعية محلية ثانية للموسم الثاني على التوالي. وبدا زلاتان مستعدا لترويع خطوط دفاع المنتخبات المنافسة للسويد. عشية المباراة الأولى لمنتخب بلاده ضد جمهورية أيرلندا، قال إبراهيموفيتش الذي لم يتحدث بتواضع "الأسطورة لا يزال قادرا على العطاء".

ولكن إيبرا ترك فرنسا التي ودّعها نهائيا بالنظر أيضا إلى انتهاء عقده مع فريقه باريس سان جرمان الفرنسي، دون أن ينجح في تحقيق مبتغاه في كأس أوروبا حيث كان يسعى ليكون أول لاعب ينجح في هز الشباك في 4 نهائيات. تسبب في الهدف الذي سجله مدافع جمهورية أيرلندا في مرماه عندما أدركت السويد التعادل، لكنه لم يتمكن من التسجيل في تلك المباراة ولا التي تلتها عندما خسرت السويد أمام إيطاليا 0–1. خاض مباراته الأخيرة أمام بلجيكا ولم يكن موفقا فيها أيضا فكانت نهاية مسيرته الدولية كونه أعلن عشيتها اعتزاله اللعب دوليا، ونهاية مشوار منتخب بلاده في الكأس القارية لأنه خسر 0–1.

من ناحية أخرى ومن بين الأسباب التي كانت تعول عليها بولندا للعب جيدا في فرنسا، تواجد هداف بايرن ميونيخ الألماني روبرت ليفاندوفسكي في خط هجومها. ولكن رجال المدرب آدم نافالكا نجحوا في بلوغ الدور ثمن النهائي دون تألق أبرز نجومهم. وسجلت بولندا هدفين فقط في ثلاث مباريات لكن لم يدخل مرماها أيّ هدف.

ووضع لاعب المنتخب التركي أردا توران كرمز في وطنه تركيا جعل المشجعين يعلقون آمالهم إلى حد كبير عليه لقيادة منتخب فاتح تيريم إلى التألق في فرنسا. ولكن بعد موسم صعب مع ناديه حيث وجد صعوبة في فرض نفسه في التشكيلة، عانى توران كثيرا مع منتخب بلاده ولم يقدم ما كان متوقعا منه فكان هدفا لسيل من الانتقادات من قبل المشجعين الأتراك عقب المباراة التي خسروها 0–3.

> إبراهيموفيتش ترك فرنسا، والتي ودعها نهائيا بالنظر إلى انتهاء عقده مع فريقه باريس سان جرمان الفرنسي، دون أن ينجح في تحقيق مبتغاه في كأس اوروبا حيث كان يسعى ليكون اول لاعب ينجح في هز الشباك في 4 نهائيات

سيكون من السهل تحديد نجم بايرن ميونيخ دافيد ألابا كأكبر خيبة أمل في مشوار النمسا في العرس القاري. ومع ذلك، فإن ألكسندر دراغوفيتش يتحمل الجزء الأكبر من المسؤولية أكثر من أي شخص آخر في الخروج المبكر للنمسا من البطولة. كان من المفترض له أن يكون القائد الأبرز في خط دفاع منتخب النمسا الذي اعتبر الحصان الأسود الخطير في البطولة. وخلافا لذلك، كان مدافع دينامو كييف كارثيا حيث طرد في المباراة الافتتاحية ضد المجر، وترك منتخب بلاده بعشرة لاعبين وبالتالي تعرض لخسارة قاسية 0–2. غاب عن المباراة الثانية ضد البرتغال والتي انتهت بالتعادل السلبي، وعاد في المباراة الأخيرة ضد أيسلندا ولكنه أهدر ركلة جزاء في الشوط الأول، عندما ارتدت كرته من القائم الأيمن، وخسرت النمسا 1–2 وخرجت خالية الوفاض.

كذلك كان لاعب وسط باريس سان جرمان المقاتل بليز ماتويدي دائما حيويا مع المنتخب الفرنسي، لكنه لم يكن في أفضل حالاته في تشكيلة رجال المدرب ديدييه ديشامب الذين عانوا كثيرا في المجموعة الأولى. وكان اللاعب الأكثر استخداما من طرف ديشامب منذ عام 2012 ولكن هناك الآن جدل في فرنسا حول ما إذا كان المنتخب الفرنسي سيكون أفضل حالا مع موسى سيسوكو بدلا من ماتويدي. وقدم سيسوكو، لاعب وسط نيوكاسل يونايتد الإنكليزي، عرضا جيدا في المباراة أمام سويسرا 0–0 عندما فضل ديشامب إراحة ماتويدي، كما أن وجود سيسوكو في التشكيلة يسمح لبول بوغبا باللعب في مركزه المفضل على الجانب الأيسر، وهو ما اتضح جليا حيث قدم الأخير أداء جيدا.

جولة جديدة من الأدوار الإقصائية في يورو 2016

ألمانيا في أول اختبار جدي وفرنسا للعبور من بوابة أيرلندا

تطوى اليوم صفحة جديدة من الأدوار الإقصائية في يورو 2016 يسجل فيها منتخبان عريقان حضورهما القوي وهما ألمانيا والبلد المضيف فرنسا، في حين قد تعلن هذه الجولة أيضا عن رغبة المجر في تحقيق حلمها المنشود.

«الديوك» وحلم اللقب الثالث

❑ **نيقوسيا**- ستكون أنظار المتابعين للبطولة القارية يورو 2016 مشتتة بين ثلاث مدن فرنسية والتي ستكون شاهدة على عبور ثلاثة منتخبات إلى الدور الربع النهائي من المسابقة. البداية مع المنتخب المضيف الذي سيكون في مهمة مواصلة العبور عندما يواجه نظيره الأيرلندي الباحث عن الثأر بعد "لمسة" اليد الشهيرة في 2009 بمدينة ليون، في حين يصطدم المنتخب الألماني بنظيره السلوفاكي في أول اختبار جدي لأبطال العالم في المسابقة القارية بمدينة ليل، أما اللقاء الثالث والأخير فستدور أطواره بمدينة تولوز بين المنتخب البلجيكي الذي سيلتقي نظيره المجري مفاجأة البطولة.

لا للثقة المفرطة

وبالعودة إلى سجلّ المنتخبات يعتبر المنتخب الفرنسي من أبرز المرشحين للقب الثالث في تاريخه بعد عامي 1984 و2000. وقدمت فرنسا أداء مقبولا في الجولتين الأوليين ولم تتمكن من فرض سيطرتها تماما أمام سويسرا في الثالثة لكنها كانت ضامنة لتأهلها، إلا أن ذلك لم يشفع لمدربها ديشامب الذي طاله سيل من الانتقادات بسبب التبديلات التي أجراها.

وتشكل البداية الجيدة في مباراة الافتتاح أمام رومانيا (2-1) مفتاح عدم تعرض منتخب "الديوك" لضغط كبير في الدور الأول، بعد أن خطف نجمه ديميتري باييت هدف الفوز في الدقيقة قبل الأخيرة إثر تسديدة رائعة من خارج المنطقة.

ولم تكن المباراة الثانية أمام ألبانيا المتواضعة سهلة واحتاجت إلى تدخل من باييت أيضا لتأكيد الفوز (2-0) بعد نزوله احتياطيا. وبات باييت من أبرز الأسلحة الفرنسية في هذه البطولة، إذ أنه قدّم أداء رائعا أمام سويسرا في الجولة الثالثة. ويمكن لديشامب أن يجد الحلول في نجم وسط يوفنتوس الإيطالي بول بوغبا المطلوب من أبرز الأندية الأوروبية بعد استعادة مستواه إثر الأداء الجيد الذي قدّمه أمام سويسرا والفرص التي حصل عليها خاصة من التسديدات البعيدة، لأنه كان عاديا جدا في مباراة الافتتاح ثم أبقاه المدرب احتياطيا أمام ألبانيا قبل الزجّ به في الشوط الثاني.

وتخطى ديشامب على ما يبدو مشكلة فنية تمثلت في اختيار المهاجمين بوجود أوليفييه جيرو وأنطوان غريزمان وأندريه بيار جينياك بعد أن اختبرهم في المباريات الثلاث الأولى.

وتضم تشكيلة منتخب فرنسا في كأس أوروبا 2016 أربعة لاعبين من التشكيلة التي خاضت تلك المباراة المشهودة عام 2009 هم الحارس هوغو لوريس والمدافعان بكاري سانيا وباتريس إيفرا وجينياك، في حين كان موسى سيسوكو والحارس ستيف ماندندا احتياطيين.

وفي الجانب الآخر أكد مارتن أونيل مدرب منتخب جمهورية أيرلندا أنه يريد من لاعبيه التركيز على تحقيق المجد عوضا عن التفكير في تحقيق الثأر من فرنسا. وقال أونيل "أعتقد أننا قررنا نسيان ما حصل، هذا موقف صادر عن الأيرلنديين. سيتم الحديث عن هذه النقطة بالطبع، لكن لا أعتقد أنها ستشغلنا عندما نخوض المباراة". ويحوم الشك حول مشاركة المدافع ستيفن وارد لإصابته أمام إيطاليا في الكاحل، وجون والترز لإصابة في وتر أخيل. وقال برادي مسجل الهدف في مرمى إيطاليا "الهدف الذي سجلته يجعلني أشعر بالفخر أن أكون جزءا من هذا التاريخ الرائع".

لوف يحذر

ورغم التاريخ الكبير والسجل الحافل للمانشافت الألماني إلا أن نتائج المواجهات المباشرة مع سلوفاكيا في الفترة الأخيرة لم تحدد بشكل دقيق إلى أيّ جهة تميل الكفة، حيث فازت ألمانيا 3 مرات أولها في 29 مايو 2001، وسلوفاكيا مرتين آخرهما في 29 مايو 2016 في أوغسبورغ في إطار الاستعدادات للبطولة الحالية.

ولم يخف المدرب الألماني يواخيم لوف خوفه من مواجهة سلوفاكيا وحذر لاعبيه خلال التدريبات من أيّ تهاون، وقال "لقد خسرنا أمام سلوفاكيا أواخر مايو، ونعرف تماما ما حصل. الآن سنحت الفرصة لنا للقيام بشيء ما وإلا عليكم أن تعلموا أنكم ستذهبون إلى البيت". واستدرك المدرب الألماني قائلا "هذا أحد الأسباب الذي يجعلنا نتطلع إلى المضي قدما"، متوقعا أن يكون الأسلوب لدى جميع المنتخبات هجوميا أكثر مما كان عليه في الدور الأول.

ويعرف لوف أن ساعة الحقيقة قد دقت، وأن المواجهة المرتقبة في حال بلوغ المانشافت ربع النهائي ستكون إما مع إيطاليا أو أسبانيا اللتين تلتقيان الاثنين في نهائي مبكر.

وتخطت ألمانيا الدور الأول بتصدرها المجموعة الثالثة برصيد 7 نقاط وبفارق هدف أمام بولندا، لكن غلّتها اقتصرت على 3 أهداف فقط. وفي المقابل تأهلت سلوفاكيا كأحد أفضل 4 منتخبات حلّت في المركز الثالث بعد أن أنهت الدور الأول خلف ويلز وإنكلترا في المجموعة الثانية وحققت فوزا وتعادلا مقابل خسارة.

طموحات مشروعة

حذر النجم السابق والمدرب الحالي لمنتخب بلجيكا لكرة القدم مارك فيلموتس من طموحات نظيره المجري المفرطة بالترشح على حساب فريقه في ثمن نهائي كأس أوروبا. وفيلموتس في هذه الحالة مطالب بالاستفادة تماما من قدرات لاعبيه لأنه لا مجال للتعويض الآن، فالخاسر سيحزم أمتعته ويعود إلى بلاده، ولكنه سيواجه طموحات باتت مشروعة للمجر التي تشارك في البطولة للمرة الأولى منذ ثلاثين عاما. من جهتها، فاجأت المجر الجميع بتصدرها المجموعة السادسة برصيد 7 نقاط من فوز مفاجئ على النمسا القوية في التصفيات 2-0، ثم بتعادل مع أيسلندا 1-1 قبل أن تقدّم مباراة مثيرة جدا أمام برتغال كريستيانو رونالدو انتهت بثلاثة أهداف لكل منهما. ورد فيلموتس بتعجّب لدى سؤاله عمّا إذا كانت المهمة سهلة في ثمن النهائي قائلا "ألم تشاهدوا منتخب المجر في البطولة؟ بالاش دشودشاك وآدم شالاي وكريستيان نيميث.. والعديد من اللاعبين". وتابع متوجها الى الصحافيين "كنتم تضحكون عندما فازت ويلز علينا في التصفيات، ولكن أنظروا إلى أين وصلت ويلز الآن. لم تعد هناك دول صغيرة أبدا".

ويذكر أن فيلموتس (47 عاما) كان قد تعرّض خلال الدور الأول بعد الخسارة أمام إيطاليا إلى انتقادات لاذعة من إعلام بلاده الذي اتهمه بأنه لم يحقق أفضل النتائج مع المنتخب الأفضل في البطولة.

لكن مستوى منتخب بلجيكا تحسّن تدريجيا ما جعل فيلموتس يسكت منتقديه بقوله "عشنا أربعة أعوام من النجاح، ومع الخسارة الأولى أمام إيطاليا تمّ نسيان كل شيء". ويؤكد فيلموتس أنّ لديه مناعة كافية ضد الانتقادات "يمكنني العيش مع الانتقادات، فالموت وحده يمكن أن يحزنني. يسعدني كثيرا العمل الذي أقوم به والأشخاص السلبيون لا يثيروا اهتمامي". ومن جهته، قال نجم المجر بالاش دشودشاك صاحب هدفين في مرمى البرتغال "جاء وقتي في النهاية في تلك المباراة. تعين عليّ الانتظار طويلا ولكن ذلك أعطى نتيجته". واعتبر المدرب الألماني بيرند شتورك (53 عاما) أن الماضي يؤثر كثيرا على الكرة المجرية بقوله "إن الماضي يظل كبيرا بالنسبة إلى كرة القدم المجرية".

> فرنسا قدمت أداء مقبولا في الجولتين الأوليين ولم تتمكن من فرض سيطرتها تماما أمام سويسرا في الثالثة، لكنها كانت ضامنة لتأهلها

كوبا أميركا منفردة أفضل من يورو منفلت

مراد البرهومي
كاتب صحافي تونسي

❑ من النادر للغاية أن يجود الزمن على هواة الكرة العالمية وعشاقها بطبقين شهيين للغاية في شهر رمضان المعظم بالذات، هما طبقان رياضيان بامتياز لبطولتين قاريتين ربما يعتبرهما البعض بمثابة المونديال المصغر، والأمر يتعلق هنا ببطولة أمم أوروبا المقامة حاليا في فرنسا وبطولة كوبا أميركا التي ستنتهي بعد سويعات في الولايات المتحدة الأميركية.

البعض من هؤلاء العشاق المتيمين بكرة القدم العالمية تمتعوا بلا شك بمباريات حماسية ومنافسات مشوقة في البطولتين والأهم من ذلك أن المتابع للمواعيد الكروية الكبرى ما إن ينتهي في بداية كل سهرة رمضانية من متابعة بعض مقابلات البطولة الأوروبية حتى يكون في وقت السحور مع طبق آخر قد يكون أمتع ضمن منافسات كوبا أميركا.

لكن هل يجوز عقد مقارنة بين بطولتي يورو وكوبا أميركا لتقييم مدى قوة كرة القدم في أميركا اللاتينية مقارنة بنظيرتها في أوروبا؟ وهل فعلا مازالت أوروبا بمنتخباتها القوية العتيدة والعريقة هي من تستحوذ على البطولة الكروية الأقوى واللاعبين الأفضل في العالم؟ وهل هي حقا من تضمن الفرجة الرائقة في أقوى بطولة قارية؟

نظرة عن كثب تكشف أن مقارنة بسيطة بين البطولتين المقامتين في آن واحد تكشف وجود اختلاف كبير في أساليب اللعب لدى المدرستين الأوروبية ونظيرتها اللاتينية، وهذا الأمر معلوم لدى الجميع، فبقدر ما تركز منتخبات أوروبا على الجانب الخططي والتكتيكي، فإن منتخبات أميركا اللاتينية تركز على الفنيات العالية واللياقة البدنية المتميزة وتبحث دوما عن المتعة والفرجة.

نظرة فاحصة لمستوى بطولة أمم أوروبا الحالية خلال منافسات الدور الأول، الذي يكشف بشهادة أغلب الفنيين والملاحظين، أن هذا المستوى تراجع بشكل رهيب ومخيف، بل إن معدل الأهداف يعتبر ضعيفا للغاية وهو ثاني أضعف معدل تهديفي في تاريخ هذه البطولة رغم أن البطولة شهدت زيادة عدد المنتخبات المشاركة في النهائيات من 16 فريقا إلى 24.

لكن يبدو أن ذلك لم يسهم في الرفع من مستوى البطولة بقدر ما ساهم في تراجع الأداء العام وأدى إلى انخفاض مستوى الإثارة والتشويق، حتى أن البطولة لم تقدم إلى غاية نهاية منافسات الدور الأول أيّ لاعب تألق بشدة أو خطف الأضواء عن الجميع. ربما كان تفكير صناع القرار المشهد الكروي الأوروبي منطقيا وعادلا بمنح بعض المنتخبات الضعيفة والمغمورة فرصتها في اللعب والمنافسة في النهائيات، لينتج هذا الأمر صعود منتخبات مثل بلاد الغال وأيسلندا لأول مرة إلى الدور الثاني وكذلك عودة المجر إلى دائرة الضوء بعد غياب طويل، لكن ذلك أضرّ بمستوى البطولة ككل، فمن غير المعقول على سبيل المثال أن تتأهل ثلاثة منتخبات من مجموعة تضم أربعة منتخبات إلى الدور الموالي، وليس من المقبول أن تنتظر بعض المنتخبات المتأهلة إلى غاية اليوم الأخير من منافسات الدور الأخير حتى تتعرف على منافسيها، وليس من المنطقي كذلك أن تتمتع بعض المنتخبات براحة تصل إلى أسبوع بين الدور الأول والدور الثاني مثل فرنسا في حين تركن بعض المنتخبات الأخرى لراحة لمدة يومين فقط والأمر ينطبق هنا على منتخب البرتغال.

هناك خلل ما بلا شك، وتجربة يورو 2016 بفرنسا لا تبدو ناجحة كثيرا في ظل انعدام التوازن بين المتنافسين وخاصة في ما يتعلق بتركيبة مباريات دور الستة عشر حيث ستكون أغلب المنتخبات القوية المرشحة لنيل اللقب في مواجهة مباشرة مع بعضها البعض، في حين تلوح بعض المباريات الأخرى غير قوية بما أنها تجمع بين المنتخبات التي لا تلعب عادة الأدوار الأولى في البطولة. أمر أخير وجب الحديث عنه يتعلق بغياب النجوم في البطولة، بل لم يظهر سوى عدد قليل من اللاعبين المعروفين بمستواهم العادي، فحتى رونالدو لم يقدر خلال الدور الأول على قيادة منتخب البرتغال إلى الفوز رغم أنه سجل ثنائية أدخلته التاريخ وعززت أرقامه القياسية. أما في الجانب الآخر من الكرة الأرضية فإن بطولة أخرى أقيمت، بطولة منفردة بكل المقاييس، بطولة احتضنتها الولايات المتحدة الأميركية احتفالا بمرور مئة عام على انطلاقها، هي بطولة كوبا أميركا التي فتحت ذارعيهما لكل المتنافسين التقليديين منهم أو الجيران، فبدأت فصول التشويق والإثارة منذ المباريات الأولى، وكلما تقدمت منافسات البطولة كلما زادت الإثارة وقدمت أفضل الأطباق الكروية.. عدد كبير من الأهداف، كل المنتخبات سجلت وأمتعت، حتى البيرو الضعيفة سابقا برزت فأقصت البرازيل، كل المباريات استأثرت بعدد كبير للغاية من الجماهير رغم أن البطولة أقيمت في بلد لا يعتبر كرة القدم اللعبة الشعبية الأولى لديه، لكن وجود لاعبين رائعين ونجوم متميزين أكسب هذه البطولة رونقا خاصا وجعلها تتزيّن بلون الفرح والاحتفال بالذكرى المئوية. بطولة شهدت تألق العديد من اللاعبين لكن يبقى الأرجنتيني ليونيل ميسي أفضلهم، وكأنه أراد أن يواصل منافسته غير المباشرة لرونالدو على تحطيم الأرقام القياسية بطريقته الخاصة، فسجّل الهدف تلو الآخر وبات الهداف التاريخي لمنتخب بلاده، وربما ينجح فجر الاثنين في فك العقدة والتتويج بأول لقب كبير مع الأرجنتين في بطولة قوية وممتعة أجمع أغلب المتابعين على أنها أفضل بكثير من يورو فرنسا.

الأرجنتين وتشيلي في نهائي يحبس الأنفاس

❑ **نيوجيرسي (الولايات المتحدة)**- مرة أخرى يعيد التاريخ نفسه فيضع المنتخب الأرجنتيني في مواجهة مع نظيره التشيلي فجر الاثنين بنيوجيرسي في نهائي كوبا أميركا 2016 التي تقام بالولايات المتحدة.

وكان المنتخبان قد بلغا سابقا نهائي النسخة السابقة التي أقيمت في تشيلي وفازت فيه الدولة المضيفة بركلات الترجيح 4-1 بعد تعادلهما سلبا في الوقتين الأصلي والإضافي.

ويعتبر فوز الأرجنتين مرتين بعد خيبة أملها في نهائي العام الماضي أول الفوارق بين الطرفين.

ومن الفوارق الأخرى يأتي في المرتبة الأولى نضوج نجم برشلونة الأسباني ليونيل ميسي والعديد من زملائه ومعظمهم شارك في البطولة التي احتضنتها تشيلي من 11 يونيو إلى 4 يوليو 2015. ويبدو أن النجم الأرجنتيني ميسي (29 عاما) لن يفوّت هذه الفرصة لسد الثغرة الأخيرة في سجله المليء بالألقاب من خلال التتويج في كوبا أميركا ومنح بلاده أول لقب بعد أن اقترب منه مرتين عامي 2014 في المونديال و2015 في هذه المسابقة بالذات. وقال ميسي "منذ عام، تطورنا كثيرا كمنتخب والمجموعة تعززت وتشعر بأنها أقوى بكثير. ما قدّمناه في النسخة الحالية رائع جدا، وعلينا أن نثبت ذلك مجددا فجر الاثنين في الملعب". وتشكل العودة المحتملة لإنخل دي ماريا من الإصابة ورقة قوة إضافية للأرجنتين التي ستخسر جهود إيزيكيل لافيتزي بعد تعرضه لكسر في كوعه جراء سقوطه على لوحة الإعلانات.

وإضافة إلى الخسارة في مونديال 2014 وكوبا أميركا 2015، ذاق ميسي، طعم الهزيمة مع منتخب بلاده لأول مرة في نهائي كأس القارات عام 2005.

وحذر النجم السابق دييغو مارادونا مواطنيه من الخسارة، وقال الأربعاء الماضي بمناسبة مرور 30 عاما على هدفه الشهير "يد الله" في مرمى الإنكليز في ربع نهائي مونديال 1986 (2-1) "إذا خسرنا، لا تعودوا إلى الديار!".

فرصة أخيرة لميسي

أهالي قرية النوبة يجازفون بحياتهم من أجل إفطار السائقين

❏ **النوبة (السودان)** – يتجمع أهالي قرية النوبة الواقعة في السودان يوميا مع غروب الشمس لقطع الطريق على السيارات والشاحنات بكل السبل بهدف مشاركتهم الإفطار.

وتعتبر مهمة استضافة عابري السبيل مهمة مشتركة يتقاسمها أهالي قرية النوبة، فمع غروب الشمس يفرد إبراهيم البُسط والحصر بجانب الطريق المؤدي إلى الخرطوم في حين يضع رفاقه أطباق الطعام وأباريق العصير عليها استعدادا للإفطار.

وبعد دقائق ينضمّ إليهم عدد من أهالي القرية الذين تقوم مهمتهم على توقيف السيارات والشاحنات العابرة للطريق السريع بكل وسيلة ممكنة حتى وإن اضطروا للوقوف في منتصف الشارع والتلويح بأذرعتهم حتى تقف. ويحظى ضيوف القرية بأطباق من الخضراوات واللحوم والأجبان والزيتون والطماطم وفطائر الذرة البيضاء، وبعض الماء والعصائر.

ويعود المسافرون بعد نحو عشرين دقيقة إلى سياراتهم وحافلاتهم وشاحناتهم لاستئناف رحلتهم شاكرين كرم وضيافة أهل القرية الواقعة على بعد خمسين كيلومترا جنوب الخرطوم.

وليست قرية النوبة سوى مثال على ما تفعله القرى الأخرى المحاذية للطريق السريع الممتد على 160 كلم بين واد مدني، مركز الولاية، والعاصمة، لإجبار السائقين والركاب على التوقف والإفطار معهم.

ويقول الطبيب إبراهيم عبدالرحيم إن الإفطارات الجماعية هي تقليد قديم. ويضيف "عندما تحلّ ساعة الإفطار نقوم بتوقيف كل السيّارات التي تمرّ بقريتنا ونصر على أن يتناول الركاب والسائقون الطعام معنا".

ويقوم متطوّعون بتوزيع الطعام على الرجال في حين تتناول النساء الطعام على بساط منفصل بالقرب منهم.

ويجازف أهالي القرية المكلّفون بتوقيف السيارات بالتعرّض لحادث سير أو التسبب بحادث سير إذا لم يلمحهم السائق في الوقت المناسب أو انحرف إلى جانب الطريق محاولا تفادي الاصطدام بهم.

ومع ذلك يفخر أهالي القرى بهذا التقليد الذي يعتبرونه واجبا يمليه عليهم دينهم الإسلامي وتماشيا مع تقاليد رمضان الذي يعتبر شهرا للخير والرحمة.

ولا يمانع الكثير من المسافرين التوقف لتناول الإفطار مع أهالي النوبة بعد صيام يزيد عن 15 ساعة في درجات حرارة تتجاوز 45 درجة مئوية.

ويقول المسافر عبدالله آدم الذي تناول إفطاره مع باقي المسافرين إلى واد مدني "من المعروف عن أهل الجزيرة أنهم يوقفون المسافرين في موعد الإفطار"، معبّرا عن فخره لأنه واحد منهم.

كريستينا قرانوح وجه إعلاني بجسد ملاكم

تحاول الملاكمة والوجه الإعلاني اللبناني كريستينا قرانوح أن تقطع مع التناقض الذي يراه الناس بين الصورة المفترضة للملاكمة والوجه الإعلاني وعارضة الأزياء، موضحة أنه لا فرق بين الصور الثلاث فالجامع واحد أنثى متعددة المواهب.

شادي علاء الدين

❏ كسرت كريستينا قرانوح الحصار الاجتماعي على ممارسة المرأة لرياضة الملاكمة، وقدمت نفسها كامرأة مقاتلة ووجه إعلاني تتسابق عليه العدسات والمطبوعات.

وتعرض كريستينا لهذه النظرة الاجتماعية التي تحاصرها قائلة "كان الناس دائما يتساءلون حول الأسباب التي دفعتني إلى ممارسة هذه الرياضة. البعض كان يعتبر أن المسألة تتعلق برغبتي في ضرب أحد ما أو الدفاع عن نفسي. البعض الآخر كان يعتمد التحليل النفسي ويتساءل إذا كنت قد تعرضت لشيء ما أو إذا كنت أسيرة عقدة معينة".

وتضيف قرانوح "لعل وضعي الشخصي كامرأة مطلّقة ساهم في إضافة تعقيدات إلى هذه الصورة العامة حيث تم الربط بين فشل حياتي الزوجية وبين حبّي للملاكمة، وسمعت تحليلات تربط بين الأمرين في حين أن الواقع هو على العكس من ذلك تماما، ولكن المجتمع يحب تركيب رواية تحمّل المرأة المسؤولية".

وأوضحت عارضة الأزياء اللبنانية أن "معظم الناس يرون في الأمر تناقضا ما، ولكنني لا أشعر بهذا التناقض، وأعتبر أنه يشبه ذهاب طبيب إلى النادي الرياضي وتربية عضلاته، ثم إنني لا أمارس عرض الأزياء بصيغته الكلاسيكية التي تتطلب مقاييس معينة لم تعد مقبولة، وباتت العديد من الدول تعتبر أنها تقدم نموذجا غير صالح ويتناقض مع المعايير الصحية".

وأكدت الملاكمة اللبنانية "أنا امرأة أملك مواهب متعددة وأسعى إلى استثمارها وتوظيفها، ولا أرى تناقضا بين موهبتي في الملاكمة وبين أنوثتي وأمومتي".

وشددت قرانوح على أن عبارة "أف مش مبيّن عليكي" التي كثيرا ما تتردد على مسامعها تفصح عن وعي عام مأزوم في ما يتعلق بالأنوثة والرياضة والجمال في آن واحد، مشيرة إلى أن العيش في لبنان لا يزال تحت سلطة نظرة تفصل بين كل هذه المكوّنات، ولا ترى رابطا منطقيا ممكنا يجمع بينها بل تعتبر أنها تنتمي إلى عوالم مختلفة ومتناقضة.

وترى صاحبة الوجه الإعلاني الجميل أن عالم الرياضة وخصوصا القتالية لا يزال خاضعا لتصوّر مسبق لا يقيم وزنا كبيرا للمهارة والدقة، ويحل مكانهما العنف الخالص والعضلات المفتولة التي تكوّن صورة البطل كما تتمثله المخيلة الشعبية.

وأضافت كريستينا أن هذا التصور الاجتماعي الغالب يفرض حصارا خانقا على المرأة يحرمها من الانتماء إلى مجال الرياضة التي أثبت التصور اللبناني لها أنها استعادة لسياقات حربية تناقض كل أخلاقيات الرياضة ومفاهيمها، لذا فإنه من البديهي أن تكون الرياضة فعلا متناقضا مع الأنوثة ومفاهيمها المرتبطة بنبذ العنف ومعاداة الحروب.

وقالت كريستينا قرانوح إن مهمة المرأة في مجتمعنا لا تزال وعلى الرغم من كل ما يقال عن الخصوصية اللبنانية المتميزة في هذا المجال خاضعة لما ترسمه بعض العبارات التي تتردد في مسلسل باب الحارة من قبيل "حاضر ابن عمي" و"عراسي تشكل آسي" وهي الكلمات التي يريد المجتمع للمرأة أن تكررها على الدوام.

وأكدت الملاكمة اللبنانية أن كل امرأة تنجح في كسر هذه التصورات وإثبات خوائها وعدم صحّتها سيكون عليها الفوز في سلسلة متّصلة من المعارك التي لا تنتهي، مشيرة إلى أنها تشكل نموذجا حيا على ذلك، إذ أنها نجحت في الفوز بعدة بطولات

أنوثة تفيض من روح القتال

وذلك دون رعاية رسمية من الدولة اللبنانية على الإطلاق، مؤكدة أن كل تكاليف التدريب والمشاركة في البطولات كانت تقع على عاتقها.

وأرجعت غياب الرعاية الرسمية لها ولأمثالها إلى نوع معلن من التبخيس الاجتماعي الذي ينظر إلى المرأة التي تمارس هذا النوع من الرياضة بوصفها امرأة تحمل نزوعات وسمات ذكورية، وتوصف بأنّها امرأة مسترجلة.

والجدير بالذكر، أن كريستينا قرانوح لا تمثل سوى عيّنة من جدل مفتوح إلى أجل غير مسمى حول معنى الأنوثة والصور والسلوكيات التي يفترض المجتمع أنها تتلاءم مع المرأة.

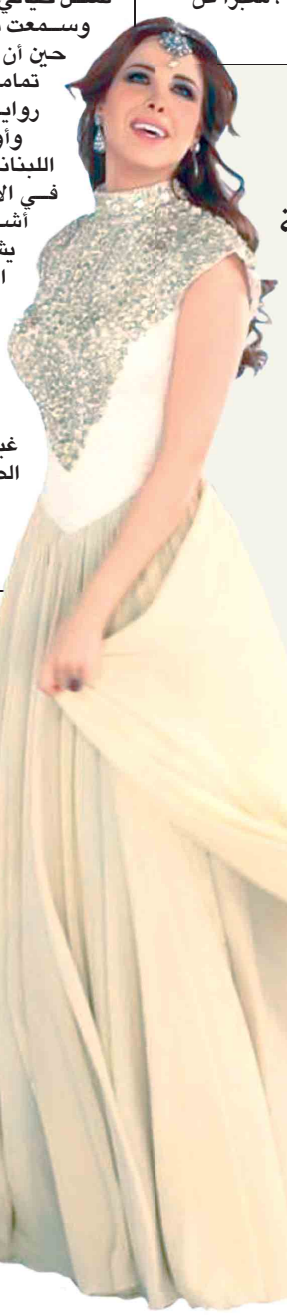

تداولت مواقع التواصل الاجتماعي على نطاق واسع أغنية مغربية تحمل اسم «يتربى في عزكم»، قدمتّها الفنانة نانسي عجرم للعائلة المالكة في المغرب كهدية بمناسبة استقبال الأميرة أم كلثوم والأمير رشيد لمولودهما الجديد أحمد.

شير تمنح الحياة لفيل في الأسر

❏ **إسلام آباد** – قامت نجمة البوب الأميركية شير بتكليف ممثلها الشخصي بالإشراف على عملية تحسين الظروف المعيشية لفيل يعيش وحيدا بحديقة حيوان باكستانية.

واعتبرت النجمة الأميركية عيش الفيل وحيدا بحديقة حيوان باكستانية ضربا من المحنة والأسر، مبدية تأثرها من ذلك مما دفعها إلى تكليف ممثلها الشخصي بالإشراف على عملية تحسين ظروف الفيل المعيشية.

وعلمت شير بأمر الفيل كافان البالغ من العمر 29 عاما عندما شاهدت صوره على وسائل التواصل الاجتماعي وهو مقيد بالسلاسل دون مأوى إلا سقيفة متهالكة وبركة صغيرة قذرة.

وأرسلت نجمة البوب ممثلها الشخصي مارك كاون إلى إسلام آباد لتفقد أحوال كافان الذي ظل مقيدا بالسلاسل في حديقة ماراجازار بالعاصمة الباكستانية على مدى 27 عاما.

وبعد أن زار كاون الحديقة كتبت شير على تويتر "مارك وفر لكافان ماء ومأوى وفك سلاسله. مارك يفعل كل ما يمكن فعله لتحريره". وقال كاون إن شير ستطلق قريبا حملة دولية لمساعدة الأفيال في الأسر. وكانت سريلانكا قد أعطت كافان لباكستان في الثمانينات. وماتت رفيقته الوحيدة عام 2012.

إنسانية نجمة البوب تنقذ كافان

صباح العرب

حكيم مرزوقي

مفاتيح «الصول» والروح..

❏ أخاف من عالم تغيب فيه الموسيقى.. أطول الألسنة وأفصحها، لغة الذين ينطقون عن الهواء، ويتحدّثون باسم السحب والأنواء والأقدار والمسافات، وكل شعوب الأرض.

الموسيقيون قوم، تعبت في مرادهم الأجسام، والتراجم والتأويلات، هزموا قواعد النحو والصرف والإيتيكيت، حاوروا القصب والخشب والجلود والوبر، نفخاً وقرعاً وضرباً وهمساً ولمساً.. ولكن، هل أسمعت أنغامهم من بهم صمم؟

الموسيقيون -في أغلبهم- قليلو الكلام، سريعو النسيان، واهنو الحركة، شاردو الذهن، ذابلو العيون، نافرو الأصابع.. وغاضبون بلطف ساحر، مثل ملائكة يترجّلون.

أحسد أصدقائي الموسيقيين لأنهم يقبّلون العالم في ثغر واحد.. أسكت في حضورهم مثل نحلة فوق زهرة، وأكتفي بكلمة (الله.. !).

المعذرة أيها النحويون، من قال: إنّ "الموسيقا" تكتب بألف مقصورة؟! إنها لا تكتب إلاّ بألف ممدودة العنق نحو السماء، مثل بجعات الباليه، وراقصي الميلويّة، وصوامع النسّاك ومناجاة المتبتّلين، والزاهدين في الكلام فوق الكلام.

تتحدّث الرواية القديمة عن ذاك الرجل الذي دخل مجلس الخليفة العبّاسي بآلة غريبة، عزف عليها فأضحكهم ثمّ أبكاهم ثمّ أرقدهم، وغادر.. لكنّ الراوي غفل عن تتمّة الحادثة بعبارة "ثمّ عاد في صباح اليوم التالي فأيقظهم".. ليته لم يعد، فنوم الظالمين والحمقى "عبادة"، لو تعلمون.. عفوا، ليته عاد، لعلّ الخليفة وبطانته يصحون على سماع الموسيقى، بدلاً من طنين الدسائس وقرع طبول الحرب، وأبواق التأهّب وصليل السيوف، ونعيق الغربان المحلّقة فوق الجثث.

باغنيني، الملقّب بشيطان الكمان، كان قد أطلق صهيل جنونه في أحد تجلّياته الموسيقيّة، حتى انقطعت به أغلب الأوتار، لشدّة تماهيه، ولم يبق منها إلاّ وتر واحد، واصل الإدهاش على نفس السويّة، بل وأكثر، وحين أكمل، سألته إحدى الحاضرات: كيف تسنّى لك ذلك! فأجاب "لكم تمنّيت الاستمرار في العزف دون أيّ وتر يا سيدتي".

الموسيقيّ نبيل صامت، وهو الذي يحضن آلة العود، ينحني للقانون، يقبّل الكمان، يهمس للناي، يحاور الطبل، ويجلس إلى حضرة البيانو بكامل أناقته، وقد حطّت فراشة حريريّة سوداء على رقبته، تكريماً وإجلالاً لرحيق فنه الساحر.

الموسيقيّ تنصت إليه جدران القاعة دون تهامس أو تململ أو سعال أو نعاس، يفرغ كل ما في أصابعه من حنين و"خواتم".. ثمّ يعود إلى بيته بذات الإيقاع، وهو يحتضن آلته والأفق.

الموسيقيّ ترجمان بين الآلة وسامعها، بل ترجمانِ الأشواق بعينه، إنه أنين القصب الذي اجتث من أحراشه البعيدة، ألم الجلود التي غادرت أصحابها، وندم بعض الخشب الذي غادر أمّه، ضلّ طريقه، وعاد إليها قبضة فأس.

مع الموسيقيّ، نطرب، ننتشي، نغمض العينين، نتمايل، نرقص، نحلّق حتى يذوب شمع الجناحين على طريقة إيخروس الإغريقي أو ابن فرناس الأندلسي، لكننا لا نسقط إلاّ إلى الأعلى.

الموسيقيّ يكتب بخطّ سرّي.. لا، عفواً، إنه يكتب بحبل سريّ، يصلك مع الرحم الأوّل، والعشق الأوّل، واللغة الأولى.